مقدمة

الجزء الثالث

(تلخيص لما سبق)

في الجزء الثاني من هذا الكتاب حدثتك عن الوقائع التي وقعت في فلسطين من اليوم الذي انتهى فيه الانتداب وزحفت الجيوش العربية في ١٥ ايار ١٩٤٨ حتى نهاية المعارك التي وقعت عند باب الواد .

ولابد أنك ، ايها القارىء الكريم ، تذكر ان في ذلك الجزء من الكتاب صفحات بيض . . واخرى سود . . فيه الشيء الكثير عن الاعمال التي قامت بها الجيوش العربية : متى اجتازت الحدود ؟ وعن اي طريق ؟ وما هي المعارك التي خاضت غمارها؟ وكيف انتهت تلك المعارك ؟ ولماذا انتهت الى ما انتهت اليه ؟

هناك حدثتك عن الجيش السوري ومعركتي سمخ ودجانيا .

وعن الجيش العراقي ومعركتي كيشر وكوكب الهوى . .

وعن الجيش اللبناني ومعركة المالكية . . وعن القري اللبنانية التي اضاعها . . ثم استردها

وعن الجيش المصري ومعارك الدنقورد يدمر دخاى وكفار نتسانيم . .

وعن الاخوان المسلمين المصريين والمعـــارك التي دخلوها في كفار داروم ورامات راحيل وبير السبع . .

وعن جيش الأنقاذ وفعاله وانسحابه من البلاد . . وماقيل عنه وله في مختلف الأوساط .

وعن المناضلين الفلسطينيين ، ومختلف الفرق التي ينتمون اليها : كفرقة التـــدمير والجهاد المقدس والمجاهدين المستقلين . . والمعارك التي خاض غمارها هؤلاء واولئك في مدينة القدس . . ورامات راحيل . . وعند باب الواد . . وفي مختلف انحاء البلاد .

وعن الجيش العربي الاردني ومعاركه في مدينة القدس . وفي الحي اليهودي من هذه المدينة . والمستعمرات اليهودية التي استولى عليها : عطارون والنبي يعقوب وكالية .

وفي ذلك الجزء بحث مستفيض عن هذا الجيش .. وعن رئيس اركانه غلوب باشا . وما فعله هذا من اجل الحيلولة دون تقدمه . . والأسباب التي ادت الى تأخر وصوله الى مدينة القدس والنتائج الخطيرة التي اسفرت عن ذلك التأخير والدمار الذي الم بهذه المدينة واماكنها المقدسة طوال فترة القتال . .

والأهم من هذا وذاك انني حدثتك في الجزء الثاني من الكتاب عن الخطط الحربية التي رسمها رؤساء الاركان العرب والتى استبدلهـــا غلوب بخطط غيرهـــا . . تلائم الاستعمار واهدافه . .

●

كل ذلك تجده في الجزء الثاني . وفي صفحاته الاخيرة وصف « مسهب » لجميـــع المعارك التى قامت عند باب الواد : من اليوم الذي نشب فيه القتال حتى المعركة الاخيرة التى وقعت عنـــد (صفا) بتـــاريخ ١٨ تموز ١٩٤٨ والتى خر فيها اليهود ٣٣٠ قتيلاً . واما خسائر العرب في تلك المعركة فكانت احد عشر شهيداً وعشرة جرحي .

هذا من الحامية . يضاف اليه سبعة من المناضلين (١) . وغنم العرب في هذه المعركة مصفحتين يهوديتين ومقادير كبيرة من العتاد الحربي .

ولم تهدأ الاحوال عند باب الواد الا بعد ان اعلنت الهدنة الثانية ووقف القتال . وقد بدأت هذه في تمام الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر تموز سنة ١٩٤٨

وفي ١٧ تشرين الاول ١٩٤٩ سمح لليهود بنقل جثث قتلاهم من قطاع اللطرون باب الواد عملا بالقرار الذي اصدرته لجنة الهدنة الاردنية ــ اليهودية المشتركة ، وقد تم هذا العمل بحضور احد رجال الدين اليهود وممثل عن الجيش العربي وآخر عن الصليب الاحمر .

هذا ولا بد لنا من القول ان المعارك العنيفة التي جرت عند باب الواد كلفت اليهود خسائر فادحة (٢) لو عرف القادة الكبار كيف يستغلونها ، وكانوا مخلصين ، لتغير الوضع الحربي في ذلك القطاع ، ولغير التاريخ مجراه في فلسطين .

ولكن .. قاتل الله السياسة .. فقد ربحنا ضحيتها . وراح معنا دماء الكثيرين من ابنائها هباء منثوراً ...

ماذا قال الملك عبد الله عن الانكليز والدول العربية

●

في ٢٨ ايار ١٩٤٨ هبط جلالة الملك عبد الله القدس القديمة فزار الحرم وكنيسة القيامة ثم ذهب الى باب الواد . وبعد ان تفقد سير القتال هنا وهناك عاد الى رام الله ... واليك ما قاله لي يومئذ بالحرف الواحد :

« سمعت قبل اليوم ، الشيء الكثير عن جبن اليهود ، ولكنني رأيت اليوم بام عيني ما سمعته من قبل باذني . انهم حقاً جبناء يفرون من ساحة الوغى زرافات ووحدانا قتلاهم كثيرون خسائرنا قليلة ، والحمد لله .. »

ولكن الملك كان بالرغم من ذلك ، عابسا . وفيما كنت اسأل نفسي عن السبب قال الملك:

---

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

(٢) قال دافيد بن غوريون ، رئيس وزراء اسرائيل في بيان القاه في البرلمان اليهودي (الكنيست) في ١١ حزيران ١٩٤٩ ان اليهود خسروا في معارك باب الواد ، بين قتلى وجرحى ضعفي العدد الذي خسروه في معارك فلسطين كلها .

«غريب طبع هؤلاء الانكليز . انهم سبب الامتعاض الذي يبدو على وجهي : :: يقولون اننا اذا لم نستمع لنصائح مجلس الامن ولم نتوقف عن اطلاق النار ، سيضطرون لسحب الضباط الانكليز الذين يشتغلون معنا ، وسيمتنعون عن تقديم الاسلحة والذخائر لجيشنا ، ويظهر انهم لا يريدون ان نكسر اليهود كسراً تاماً »

سكت جلالته برهة ، ثم استأنف حديثه ، وقال :

الا ، فليسحبوا ضباطهم .. عندنا اثنان وعشرون ضابطا بريطانيا .. فليأخذوهم انا لا يهمني هذا .. انني استطيع الحرب بدونهم ، وعندي العدد الكافي من الضباط العرب الاكفاء ..

واما الاسلحة والذخائر فانها تنقصنا .. وانا في حاجة لمساعدتهم من اجل الحصول عليها . »

وفي الحقيقة ان الرأي كان سائدا يومئذ ان الجيش العربي ما كان ينقصه الرجال ، ولا السلاح ، ولا الذخيرة الخفيفة . فقد كان لديه من ذلك الشيء الكثير . حتى انه ارسل مقادير كبيرة من ذخائره الى جيش الانقاذ في سورية والى الجيش السوري نفسه . وانما كان في حاجة لقنابل المدافع الثقيلة من عيار ٢٥ رطلا ، ومدافع الهاون والمورتر ذات الثلاث بوصات (١) . ولقد زاد في الطين بلة ان سفينة كانت تحمل للجيش العربي مقادير كبيرة من الاسلحة والذخائر التي كان في حاجة اليها (ومنها خمس عشرة الف قنبلة من قنابل المدافع الثقيلة) صادرتها الحكومة المصرية عندما رست في ثغر الاسكندرية وبعد مخابرات دامت بين الحكومتين عدة ايام تنازلت الحكومة الاردنية لشقيقتها الحكومة المصرية عن تلك الاسلحة والذخائر ، وكانت هي ايضاً في حاجة اليها . الامر الذي احدث ازمة سياسية بين الانكليز ، مصدري تلك الاسلحة والدول العربية .

ثم راح جلالته يتحدث عن الدول العربية قائلا :

«انها قصرت في هذا المضمار ، ولم تعمل الى الان عملا يذكر ، وكان باستطاعتها ـ لو شاءت ـ ان تفعل الشيء الكثير فتمد فلسطين بالأسلحة والمال والذخائر والرجال» ::

قال الملك لرجال حاشيته بعدئذ ان غلوب باشا ، رئيس اركان الجيش العربي ، وهو انكليزي قال له : «ان المصلحة تقضي بالانسحاب من باب الواد لانعدام المقدرة على مقاومة اليهود هناك .» قال ذلك والمعركة قائمة على اشدها . فغضب الملك ونادي وزراءه اليه ، فقال لهم انه يعارض في انسحاب جيشه من باب الواد ، وانه على استعداد للتنازل

---

(١) كان الجيش العربي يشتري قذائف المورتر ذات البوصتين بجنيه ونصف للواحدة هذا في السوق السوداء بينما كان سعرها في مصنعها لا يزيد عن واحد في المئة من هذا المبلغ .

عن عرشه او يقود الجيش بنفسه ويقاتل حتى النفس الاخير .

وقال عبد الرحمن عزام الامين العام لجامعة الدول العربية في مقال له نشرته مجلة (آخر ساعة) المصرية (١) ما يلي :

«بعد ان اكد لي الملك عبد الله انه ينوي مهاجمة القدس القديمة ، ثم محاصرة القدس الجديدة، ثم الزحف صوب تل ابيب . انتظرت فتم تطهير القدس القديمة ولكن بعد ذلك لاشيء فادركت عندئذ ان اصابع الانجليز تلعب من وراء ستار !.. لقد قصدوا الا تسقط القدس الجديدة ،ولا تحاصر ورتبوا بمعونة رجالهم الا يتحرك الجيش الاردني الا في اطار التقسيم!».

جبل الرادار

●

عندما اغار اليهود بطائراتهم على رام الله والبيرة وعلى سائر المواضع الهامة في القطاع الشمالي ، عندئذ ادرك الجيش العربي ان اليهود لن ينفكوا عن مهاجمة هذا القطاع ما دام جبل الرادار في ايديهم (٢) . اضف الى ذلك ان السيطرة على طريق القدس ـ باب الواد تبقى ناقصة ما لم يكن هذا الجبل بيد الجيش . ولهذا اعتزم ان يسترده منهم مهما كلفه ذلك من ثمن ، فتولت سرية من رجال الكتيبة الاول يقودها الملازم الاول خالد الصحن هذه المهمة . وزحفت مع الفجر في ٢٦ ايار نحو الجبل من ناحيته الشمالية ، يدعمها اربع مصفحات ، فاقتحمته بعد عراك دام بينها وبين اليهود ساعة من الزمن ، كان سلاحها فيه القنابل اليدوية والبنادق سريعة الطلقات . وانسحب اليهود الى قريات عنافيم تاركين وراءهم ٤٢ قتيلا وعدداً من الجرحى . واستشهد اربعة من العرب .

وجاء اليهود بعد ذلك بيومين (٢٩ ايار) يريدون استرجاع جبل الرادار من يد العرب ولكنهم صدوا . وخسروا ١٨ قتيلا .

وبعد ليلتين اخريين (١ حزيران) حشد اليهود قوة اكبر من التي سبقتها وجاءوا يبغون استرداد الجبل . وهاجموه من اربع جهات ، وكادوا ، في هذه المرة ، ان ينجحوا لولا ان صمد لهم العرب . وجاءت بعض المصفحات العربية لنجدة الحامية فتقوت هذه

---

(١) اقرأ العدد ١٨ من مجلة (الصريح) المقدسية لصاحبها هاشم السبع بتاريخ ٣٠ ايار ١٩٥٣

(٢) اقرأ ما كتبناه عن هذا الجبل في ٢٨ نيسان وفي اواسط شهر ايار . انه واقع الى الشمال من قرية العنب ، وعلى بعد كيلومترين عنها . وهو على مقربة من مستعمرة الخمس ويسيطر سيطرة تامة على الطريق التي تصل باب الواد بالقدس .

وصلتهم . وفي هذه المرة ايضاً خسر اليهود خمسين قتيلا . وأيقنوا ان الجبل منيع ، وان اقتحامه يكاد يكون مستحيلا . ولما سيطر الجيش العربي على هذا الجبل اصبح حصار القدس تاماً وكانت مهمة السرية الاردنية التي وضعت في هذا الجبل سد الطريق بين قرية ابي غوش وقرية بدو فرام الله .

معركة رأس العين

●

رغم جميع المساعي التي بذلها اليهود للاستيلاء على النبع المعروف بـ(رأس العين)(١) وكانوا في اشد الحاجة اليه لينقذوا اخوانهم المحصورين في القدس ، وكان العطش قد اخذ منهم مأخذه (٢) – فقد احتفظ العرب بهذا النبع من اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ / ١١ / ١٩٤٧) ونشب القتال الى اليوم الذي نشبت فيه معركة اللد والرملة وتخلى الجيش العربي عن هاتين المدينتين (في ١١ و١٢ تموز ١٩٤٨) .

كانت رأس العين في اثناء تلك المعركة بيد الجيش العراقي . وكان يرابط في ذلك القطاع حامية عراقية هي السرية التي يقودها المقدم الركن علي غالب عزيز . انها من سرايا الفوج الاول (اللواء الاول) الذي جاء من قطاع جسر المجامع وحط رحله هناك في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ .

ولما سقطت اللد والرملة اصبح الجناح الايسر للجيش العراقي هناك مكشوفاً ،فاضطر ان يترك رأس العين ويرجع الى الوراء ، وما كاد يفعل ذلك حتى جاء اليهود واستولوا عليها .

هذا ولا بد لنا من القول ان المعارك لم تنقطع بين اليهود والمناضلين من عرب فلسطين في الايام التي سبقت مجيء الجيش العراقي الى ذلك القطاع ، وكان اشدها تلك المعارك التي وقعت في الايام الثلاثة الاخيرة من شهر ايار ١٩٤٨ ، فقد قامت بين الفريقين حول النبع معارك مريرة ابلى فيها كل منها بلاء حسناً . واستماتت اليهود في سبيله ، وكادوا ينجحون ، لا بل تغلبوا على حاميته واخرجوها منه . واحتلوا رأس العين ٣٠ – ٣١

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن هذا النبع في الفصل الذي اعددناه لمعارك الحياة ومياه القدس في ١٨ نيسان الثاني سنة ١٩٤٨ وفي ١٠ نيسان سنة ١٩٤٨ .

(٢) خلافا لما كان عليه العرب الذين كانوا يزودون بالماء من عين فارة وقد احتفظوا بها طوال فترة القتال .

٥ / ١٩٤٨ : ولكنهم لم يبقوا هناك سوى ليلة واحدة ، اذ ما كاد الخبر ينتشر في القرى العربية المجاورة حتى راح المناضلون من كل صوب يزحفون ، وكان على رأسهم قائد القطاع الاوسط الغربي الشيخ حسن سلامة . وفي طريقه اليها استنجد بالمناضلين من ابناء دير طريف وبيت نبالا والقرى الاخرى المجاورة لها . ومـا ان وصل هؤلاء الى الميدان حتى انضموا الى اخوانهم الذين كانوا هناك . وراح الجميع يعملون يداً واحدة على اخراج اليهود .

وكان الفجر قد اطل (٣١ ايار سنة ١٩٤٨) ووقعت بين الفريقين معركة دامية ، جرح فيها القائد اثر شظية اصابته في رئته اليسرى ، فنقل على محفة الى مستشفى الميدان. وازداد المناضلون حماساً فراحوا يقاتلون الاعداء بقلوب ملؤها الايمان وعند الضحى كان لواء النصر معقوداً للعرب ، فطردوا اليهود واستردوا العين (٣١ ايار سنة ١٩٤٨) .

وما كاد هذا الخبر يتصل باليهود حتى راحوا يعدون العدة ، وما هي ، الا برهة حتى اعادوا الكرة على رأس العين ، وكانت في تلك اللحظة سرية عراقية من سرايا الفوج الاول اللواء الاول قد وصلت يقودها المقدم الركن علي غالب عزيز . وصلت في ١ حزيران سنة ١٩٤٨ . وما ان نزلت الى الميدان ، حتى ارتد اليهـود الى الوراء . ارتدوا دون ان يشتبكوا في قتال مع العراقيين . وقد تسلم هؤلاء (رأس العين)وقطاعها وراحوا يحصنون ذلك القطاع ، لئلا يأتي اليهود فيحاولوا الاستيلاء عليها مرة اخرى .

كان الشيخ حسن سلامة ، ذلك اليوم ينـازع سكرات الموت ، وما كاد يسمع بارتداد اليهود وبقاء رأس العين في يد العرب حتى حمد الله ،واسلم الروح من فوره (١)

---

(١) ولد في قولة من اعمال اللد . وله من العمر ٤٥ سنة . اشتغل بالمسائل الوطنية يوم اعلن الاضراب عام ١٩٣٦ ، ولمع نجمه في ثورة عام ١٩٣٨ يوم نسف هو ورفيقه محمد سمحان قطار حيفا — اللد ، نسفاه على مقربة من ويلها ، فانقلب ومات عدد كبير من الجنود البريطانيين كانوا فيه واقتفى الجند اثرهما فقتلوا رفيقه واما هو فقد جرح . ولكنه تمكن من الفرار فنزل العراق والتحق بالجيش هناك واشترك مع من اشترك من الفلسطينيين في الثورة التي قادها رشيد عالي الكيلاني ضد الانكليز ولما اخمد الانكليز تلك الثورة ، واشترك في اخمادها الجيش العربي يقوده غلوب باشا ام ايرن ومنها سافر الى المانيا . وهناك اتم تدريبه في شؤون القتال والالغام . وجاء الى فلسطين سنة ١٩٤٥ مع ذي الكفل عبد اللطيف ، وثلاثة من الالمان في طائرة هبطت في سهل اريحا ، قاصدين اشعال نار الثورة ضد اليهود وحماتهم الانكليز وا كتشفت السلطة امرهم فالقت القبض على ذي الكفل واثنين من الالمان فاعتقلتهم واما هو والالماني الثالث فقد اختفيا في العباسية حيناً ثم فرا الى سوريا . وبقي الشيخ حسن هناك الى ان صدر قرار التقسيم سنة ١٩٤٧ . فعهد اليهم الحاج امين بقيادة المناضلين في القطاع الغربي للمنطقة الوسطى ، ذلك القطاع الممتد من يافا الى وادي الصرار .

حدثني المقدم الركن علي غالب عزيز عندما اجتمعت به في بغداد مستطلعاً رأيه فيما جرى ، وكان يومئذ قد رقي فأصبح عقيداً ، «ان مناضلا تركياً اسمه حسن وستة من المناضلين الفلسطينيين اشتركوا مع العراقيين في المعركة الاخيرة وان هؤلاء المناضلين ابلوا فيها بلاء حسناً ، وانه قتل من اليهود يومئذ اربعة : اثنان منهم يمانيان وامرأة، وشخص رابع لم تعرف هويته، واما العرب فلم يقتل منهم أحد وقد جرح ثلاثة احدهم عراقي ،واثنان فلسطينيان ». هذا ما قاله لي العقيد علي غالب عزيز وقد غادر رأس العين بعد يومين تاركا هناك فصيلا مؤلفا من ثلاثين جندياً معهم ثلاثة رشاشات من طراز برن ، وترك بقية افراد السرية في كفر قاسم وعاد هو الى نابلس.

ظلت رأس العين بيد العراقيين من ١ حزيران سنة ١٩٤٨ الى ما قبل سقوط اللد ١١ تموز سنة ١٩٤٨ والرملة ١٢ تموز سنة ١٩٤٨ فمن قائل انهم (اي العراقيين) انسحبوا من هناك والمعارك قائمة بين اليهود والاردنيين حول هاتين المدينتين ، ومن قائل انهم ما انسحبوا من هناك الا بعد سقوطها ، اذ انكشف جناحهم الايسر بسبب ذلك السقوط وراح اليهود يهدون الجنود المرابطين في ذلك الجناح .

فقد اكد لي العقيد الركن علي غالب عزيز ان السرية العراقية التي كانت قبل سقوط اللد والرملة ترابط في رأس العين لم تنسحب من هناك الا بعد سقوط اللد والرملة بيومين وان القيادة العراقية ما كانت لتأمر بانسحابها الا بسبب احتلال تينك المدينتين ، وسقوط قرى مجدل صادق وقولة والمزيرعة بيد اليهود . وكانت هذه القرى بيد الاردنيين ، فخشي العراقيون ان يقطع اليهود عليهم خط الرجعة فانسحبوا .

ويقول علي غالب عزيز ان السرية العراقية التي كانت في رأس العين والتي كانت مهمتها حماية الطريق التي تربط طول كرم باللد والرملة انسحبت بعد سقوط اللد والرملة الى شرق الطريق التي تربط بينها (رأس العين) وكفر قاسم ، حيث كان يقوم المعسكر البريطاني في زمن الانتداب .

الفريقان يوقفان القتال ساعتين

●

قضى الفريقان النصف الاول من اليوم الاول من شهر حزيران ١٩٤٨ يتبادلان النار

مخلص ، جريء مغامر . جرح ثلاث مرار : الاولى عندما نسف القطار سنه ١٩٣٨ وقد اطلق يومئذ شعر لحيته ليخفي نفسه عن انظار السلطة ، فكناه الناس بالشيخ . والثانية في ٥ نيسان سنة ١٩٤٨ والثالثة والاخيرة في معركة رأس العين تلك المعركة التي خاض غمارها وقضى نحبه فيها و كان ذلك بتاريخ ٢-٦-١٩٤٨ .

من مدافعها في القدس وقد قتل من سكانها يومئذ عربيان. احدهما من سلوان والثاني من الخليل ثم اتفقا على وقف اطلاق النار عند الباب الجديد ساعتين ليتمكنا من نقل جثث موتاهما، ونقل المرضى العرب الذين كانوا في المستشفى الافرنسي. فوقف القتال بالفعل من الساعة الواحدة حتى الثالثة بعد الظهر. بيد انهما لم يستطيعا الا نقل بعض الجثث بسبب تفسخ البعض الآخر، وانتقل خمس من راهبات دير القربان الى المنطقة العربية وما كادا ينسحبان حتى رجعا الى سيرتهما الاولى، وراحا يقتتلان :

« قال خذها، ولا تخف ؛ سنعيدها سيرتها الاولى (١) » .

وخرقت احدى القنابل التي كانت تطلقها مدافع الجيش العربي من علي جبل المشارف (سقوبس) جدران مدرسة الفرير في اربعة مواضع، خرقتها خطأ . رغم استغاثة رجال هذه المدرسة بقائد المدفعية وكان هذا انكليزياً .

العرب يحاولون نسف النوتردام

●

ولقد حاول العرب في اليوم التالي (٢ حزيران) ان ينسفوا ما تبقى من عمارة النوتردام (وقد كانت بيد اليهود) الا انهم منعوا بامر من القيادة الاردنية. وأعادوا الكرة بعد ذلك بيومين (٤ حزيران). الا ان السياسة لعبت هذه المرة ايضاً لعبتها، فصدوا ؛ وخرقت قنبلة يهودية سطح الدير المعروف بـ (فيرونيكا) بقصبة المفتي، فهدمت جانباً منه. وتبعتها قنبلة ثانية في نفس الموضع، الا انها لم تنفجر.

وسقطت احدى القنابل اليهودية على كنيسة الارمن الكاثوليك في حي الواد، فخرقت القبة.

مجلس الامن يخول الوسيط الدولي حق تحديد الموعد الفعلي لتنفيذ الهدنة

●

قرر مجلس الامن، في الجلسة (٣١١) التي عقدها في ٢ حزيران، تخويل الوسيط الدولي حق تحديد الموعد الفعلي لتنفيذ الهدنة في فلسطين، ذلك عملا بالقرار الذي اتخذه المجلس المشار اليه في ٢٩ ايار. وقد اشرنا اليه في غير هذا المكان.

---

(١) سورة طه الآية ٢١.

(١) اقرأ ما فعله الوسيط في ٧ حزيران ١٩٤٨.

معركة غور الصافي

●

عند مطلع فجر اليوم الثاني لشهر حزيران ١٩٤٨ هاجم اليهود غور الصافي (١) من اعمال الاردن . وكانوا في وقت متأخر من مساء اليوم الذى سبقه قد قطعوا اسلاك الهاتف وزرعوا الالغام في الطريق التي تربط الغور بالكرك. زرعوها عند المضيق المعروف ؛ (المريصد) ذلك المضيق الكائن بين البحر والجبل ، قاصدين الحيلولة دون وصول النجدات الى تلك البقعة من الارض .

جاء اليهود يومئذ (اي في ٢ حزيران) من الطريق التي انشأوها على محاذاة البحر من الجنوب والتي تصل الغور بمنشئاتهم . جاءوا في ثلاث سرايا قوامها ستمئة محارب (٢) مزودين بعدد من مدافع المورتر ، والبرن ، وراجمات الالغام وكان معهم اربع دبابات .

وبعد ان استولوا على مساحة واسعة من الغور راحوا يهاجمون المخفر ، وقد طوقوه ، وراحوا يصلونه ومن فيه بنيران حامية . فقتلوا نائباً هو المرحوم زايد رشيد الطوالية وجندياً هو المرحوم محمد راشد الخنيطي ، وجرحوا سبعة جنود (٣) ، ونفق ثلاثة وعشرون حصاناً من خيل للفرسان . وكانوا يستولون على المخفر نفسه ، لو لا ان اتت في اللحظة الاخيرة نجدة مؤلفة من سبعة جنود ونقيبين هما ابراهيم العايد وعلي الفارع وثلاثة نواب هم قاسم الزعبي وابراهيم محمد الشوبكي واحمد عودة ، وعريف هو مفلح مصطفى يقودهم وكيل القائد نديم رجب ، وكان هذا هو المسؤول عن قطاع الكرك . وكان هؤلاء مزودين بأربعة صناديق من العتاد .

جاءوا مشياً على الاقدام . ولم تتمكن سيارتهم من الوصول الى المكان ، بسبب

---

(١) يقع هذا الغور في «الطرف الشرقي الى الجنوب من البحر الميت وعلى بعد خمسة اميال من المستعمرة اليهودية التي انشاها شركة البوتاس على شاطىء البحر المذكور من الجنوب ويقوم على جانب ذلك الغور وفوق هضبة مرتفعة من الارض مخفر للدرك ، فيه فئة مؤلفة من تسعة وعشرين دركيا يقودهم ضابط هو الرئيس ابراهيم السحاقات وكان هذا تابعا للاوامر التي يتلقاها من الكرك واما المكان الذي وقعت فيه المعركة فيدعى ارض المشنقة وهو على بعد ١٥٠ متراً من المخفر .

(٢) كان لديهم في مستعمرتهم تلك يومئذ الف وخمسمئة محارب ، هم الذين ذكرناهم عند ذكرنا لحوادث كالية في ١٦ ايار سنة ١٩٤٨ .

(٣) عرفنا منهم حسين شتوي ، عبد الرحمن شخيبي ، والنائب محمد علي الروسان ومنهم أيضاً اسماعيل ايضاً عفان ورغم ان هذا اصيب بثلاثين جرحا في مواضع مختلفة من بدنه ، فانه لم يمت

عطل طرأ عليها . اذ كانت الطريق وعرة للغاية ، وكانت زاخرة بالغوارنة الذين ما كادوا يشمون رائحة القتال حتى راحوا يرحلون عن منازلهم ، وكان اول عمل قام به المنجدون ان رفعوا الالغام ، وربطوا الاسلاك ، واتصلوا برجال الحامية في عمان وطلبوا نجدة اقوى . وفي الوقت نفسه راحوا يتمركزون في نقب الابرش المشرف على المخفر والمطل على الغور . وحلقت في الجو ثلاث طائرات اردنية مقاتلة، وكان المشاة قد طوقوا المخفر من جهاته الاربع فتمكنوا من صدهم عنه ، وارتد اليهود الى مستعمرتهم تاركين وراءهم عدداً من القتلى قال الذين شهدوا المعركة انهم اربوا على الاربعين :

وانت في اليوم التالي (٣ حزيران) نجدة اخرى من عمان، مؤلفة من مئة مقاتل يقودهم الزعيمان برود هارست وفارادي . وجاءت نجدة اخرى من الطفيلة بقيادة الرئيس سليمان الساكت .

وكان المخفر قد انقذ ، فنقل الشهيدان في نعش واحد ، ودفنا في قبر واحد ، واتجهت النية الى مهاجمة المستعمرة ، الا انه رؤي بعد قليل ان مهاجمتها يكاد يكون ضرباً من الجنون ، لانها كانت محصنة للغاية ، وكان يفصل بينها وبين الغور طريق صعبة مبثوثة بالالغام وسبخة فسيحة يكاد يكون من المستحيل اجتيازها . فاكتفي بقصفها بالمدافع ، وكان رجال النجدة الثانية قد اتوا معهم بمدفعين من عيار ٢٢ رطلا . وكانت قذائف هذين المدفعين تضرب الاهداف البعيدة من مسافة تزيد على عشرة اميال : وقد قصفوها بخمسمئة قنبلة ضربت معظم المعامل واعطبت الكهرباء وظلت هذه معطوبة ستة اشهر .

ولكن ما كانت الهزيمة التي المت باليهود في غور الصافي لتفل من عزيمتهم ، اذ كانت شوكتهم في مستعمرتهم القائمة على شاطىء البحر الميت من الجنوب قد تقوت بانضمام اخوانهم الذين كانوا في كالية ، على شاطئه من الشمال (١) وازدادوا قوة وغطرسة عندما سقطت بئر السبع في ايديهم (٢٢ تشرين اول ١٩٤٨) فسار الجميع معا نحو الجنوب . ساروا صفاً واحداً فسيطروا على (واد العربة) ووقفوا على شاطىء البحر الاحمر (١١ آذار سنة ١٩٤٩) يقطعون كل صلة من البر بين الاردن وشقيقتها مصر،

---

(١) اقرأ ما كتبناه عن كالية وعن اللين الذى ابداه الفريق غلوب باشا في مقابلته لسكانها وعن هربهم وانضامهم الى اخوانهم في جنوب البحر الميت في موضع آخر من هذا الكتاب عندما ذكرنا الحوادث التي حدثت في ١٦ ايار سنة ١٩٤٨ .

هدنة تدوم نصف يوم

●

وفي ٣ حزيران ١٩٤٨ اعلنت ، باتفاق الفريقين ، هدنة شملت القدس كلها ، ودامت من الساعة السابعة صباحاً حتى السابعة مساء . فتبادل الفريقان المدنيين . وتسلم العرب يومئذ خمسة وثلاثين مدنياً كانوا في المنطقة اليهودية . كلهم شيوخ ونساء وأطفال وكانت علائم التعب والجوع والحرمان بادية على وجوههم .

واهتبل اليهود هذه الفرصة (اي الهدنة) فسحبوا معظم قواتهم المرابطة هنا الى قطاع جنين ، حيث كانت تدور بينهم وبين العراقيين معركة طاحنة .

معركة جنين الاولى

●

شن اليهود هجوماً كبيراً على جنين في ساعة مبكرة من صباح يوم الخميس ٣ حزيران سنة ١٩٤٨ . جاءوها بقوات كبيرة تتراوح بين اربعة آلاف وخمسة آلاف مقاتل (١) ، جاءوها فرقاً اربعة كل فرقة مؤلفة من ١٢٥٠ مقاتلا ، ثلاث منها تولت الهجوم ، والرابعة ظلت في المؤخرة على سبيل الاحتياط ، جاءوها من العفولة ، وكانوا قبل ذلك بيوم واحد (٢ حزيران) قد احتلوا زرعين وصندلة وجلمة وراحوا يقصفون مدينة جنين من الجو ، وكان يرابط في القرى المذكورة فئات قليلة من المناضلين الفلسطينيين والمتطوعين الاردنيين يقودهم الرئيس الاول عبد الرحمن الصحن ، فاضطروا الى الانسحاب (٢) تجاه قوات العدو الضخمة .

حدثني الملازم نايف الصالح البرغوش وكان يومئذ في جنين ان القوة العربية التي كانت ترابط في جنين في ذلك الحين كانت عبارة عن :

(آ) عشرين مناضلا فلسطينياً يقودهم فوزي جرار .

---

(١) حدثني الزعيم العراقي عمر علي انهم عثروا في جيوب القتلى من اليهود على اوراق جاء فيها ان القوة اليهودية التي هاجمت جنين كانت عبارة عن ست كتائب وان مجموع افرادها اربعة الاف وستمائة مقاتل .

(٢) شكا لي الضابط العراقي المقدم الركن نوح عبد الله الحلبي ان هذا الانسحاب قد تم قبل وصول الفصيل العراقي الى هذا القطاع .

(ب) ثلاثة من رجال البوليس الفلسطيني يقودهم الملازم نايف الصالح البرغوش ؛
(ج)سرية اردنية يقودها الرئيس عصر المجالي (اخو حابس ونجل رفيقان المجالي) ؛
وان هذه السرية انسحبت من قطاع جنين بامر القيادة ، وقد تم انسحابها من هناك فجأة وقبل وصول العراقيين باربع وعشرين ساعة ، وان هذا الانسحاب جعل الرعب يدب في افئدة السكان ، فراحوا يرحلون ، ولم يبق منهم سوى اولئك الذين لجأوا الى القلعة ، وعددهم لا يزيد على الخمسين ؛

وكان هناك ، بالاضافة الى حامية المدينة المتقدم ذكرها في (آ) و (ب) عدد من المناضلين في القرى المجاورة لجنين ، لا يزيد على المئة .

بعد ان احتل اليهود قريتي جلمة وصندلة تقدموا صوب جنين باتجاهات ثلاثة : فقد جاء جناحهم الايمن عن طريق وادي برقين الى الغرب من جنين ، والايسر من ناحيـة المزار وعربونة منها الى الشمال ؛ وفيما كان هؤلاء يزحفون نحو المرتفعات المحيطة بالمدينة (المراح من الشرق وابو ظهير من الغرب) قاصدين قطع الطريق التي تربط جنين بنابلس جاءت جماعة من الوسط ، وكانت في القلب على الطريق العام ، فهاجمت الفصيل العراقي الذي كان قد وصل في تلك البرهة وحط رحله في تل الحروبة (١) وهو اي الفصيل العرقي مؤلف من سبعة وثلاثين مقاتلا ، وكان يرافقه زهاء خمسين مناضلا مـن الفلسطينيين ؛ وايقن الفصيل العراقي انه لا قبل له بالزاحفين فاستنجد بالقيادة ، فأمدتـه ببقية الرتل الذي كان مخيما في (دير شرف) (٢) وكان عبارة عن سرية من المشاة (ثمانون مقاتلا) مزودين بأربعة مدافع هاون واربع رشاشات من طراز فيكرز وخمس مدرعات وفصيل هندسي ، يقود الجميع ضابط عراقي) اسمه نوح عبد الله الحبلي) وهو مقدم ركن .

ثم جاءت سرية اخرى يقودها الرئيس الأول محسن الاعظمي ، وبهذا بلغ عدد العراقيين في جنين مئتين وخمسين ، والمناضلين الفلسطينيين خمسين ، وما كاد الرتل اليهودي الذي قلنا انه كان في القلب يشتبك مع الفصيل العراقي الذي قلنا انه كان قد حط رحله في تل الحروبة في قتال ، حتى تغلب عليه واحتل التل ، وكان الليل قد انتصف (٢-٣)حزيران وكان الرتلان الاخران قد احتلا التلال الاخرى ، وتم لهم تطويق المدينـة ، فانسحب العراقيون الى (القلعة) (٣) وتحصنوا فيها .

---

(١) تل يقع علي بعد ثلاثة كيلومترات من جنين الى الشمال وقد اطلق العراقيون عليه الرقم ١٥٢
(٢) هبط هذا الرتل دير شرف في اليوم الرابع والعشرين من شهر ايار وقد اطلق عليه اسم الاسد .
(٣) عمارة البوليس المعروفة بتيجارت وهي واقعة عند مدخل جنين من الغرب .

وكان قد سبقهم اليها عدد غير قليل من السكان شيوخاً ونساءاً واطفالاً ، ممن لم يستطع مغادرة المدينة عندما راح اليهود يقصفونها من الجو . وأما المناضلون الفلسطينيون ففريق منهم لجأ الى القلعة وفريق اعتصم بالجبال وراح يقاتل الاعداء بقلب ملؤه الايمان .

حدثني المقدم نوح فقال : كان معي في قلعة جنين ، عندما حاصرنا اليهود مئتا نسمة سرية مشاة ، وفلول السرية التي انسحبت من التل ذي الرقم ١٥٢ وعشرون شرطياً فلسطينيا وخمسة من الموظفين الفلسطينيين (١) وعدد من النساء والشيوخ والاطفال ، وكان معنا اربع مدافع هاون واربعة من عيار ٧ ، ٣ عقدة الى ان قال : - وكان معي زهاء عشرين مناضلاً من المسلحين الفلسطينيين ، خشيت ان يكونوا جواسيس فسجنتهم ولكن عدت فأطلقت سراحهم (٢) .

دام القتال بين الفريقين (العراقيون في داخل القلعة واليهود خارجها) من الساعة الواحدة بعد نصف الليل حتى الساعة السادسة صباحا ، وكاد اليهود يتغلبون ، وقد احتلوا معظم احياء المدينة . فلم يبق بيد العراقيين سوى القلعة وقاربت ذخيرة العراقيين على النفاذ ، لولا ان وصل بعد ساعة من الزمن (٣٠ ، ٧ من صباح ٣ حزيران) فوج عراقي يقوده المقدم عمر علي ، قوته عبارة عن خمسمئة بندقية واربعة مدافع هاون وثمانية رشاشات من طراز فيكرز وتسع وعشرون رشاشة خفيفة ، انه الفوج الثاني من اللواء الخامس وهو من الافواج التابعة لجحفل الملكة عالية (٣) وكانت هذه القوة متجهة نحو (ناثانيا) حتى انها اشرفت على البحر وكادت تحتل ناثانيا ، لولا انها امرت بالانسحاب والتوجه الى جنين (٤) .

حاول اليهود صد الهجمات العراقية والحيلولة دون تقدمها ، ولهذا اغارت طائراتهم على نابلس ودير شرف من الجو ، ولكن الفوج العراقي المتقدم ذكره تمكن بالرغم من

---

(١) القائمقام عصام رشدي الشوا وحاكم الصلح خليل العبوشي ، والدكتور نصفت كمال ، وضابطا البوليس نايف البرغوثي ونور الدين العبوشي .

(٢) عندما اجتمعت باللواء الركن عارف باشا رئيس اركان الجيش العراقي ببغداد في ١٨-١٢-٥٣ امتدح المناضلين من ابناء جنين وكذلك قال اللواء الركن طاهر باشا الزبيدي الذي اكد لي ان ابناء جنين كانوا من البطولة والاخلاص على جانب عظيم

(٣) القائد المسؤول عن هذا الجحفل هو العقيد الركن صالح زكي توفيق . واما قائد الجيش كله فكان يومئذ الزعيم طاهر الزبيدي . ومقره نابلس .

(٤) هذا ما قاله لي الزبيدي نفسه يوم زرته ببغداد مستطلعاً طلع الخبر .

ذلك من الوصول الى الميدان ، وما ان وصل الى مفرق قباطية على بعد ثلاثة كيلومترات من جنين حتى قوبل بنيران المدافع اليهودية من الاكمة القائمة الى الجنوب من جنين : وكان اليهود قد احتلوا الاكام المحيطة بجنين . سيما الاكمة الممتدة من الطريق العام الى برقين .

حاول عمر علي ، بادىء ذي بدء ، ان ينقذ الحامية المحصورة في القلعة من غير قتال ، فطلب الى قائدها نوح ان ينسحب . الا ان هذا ابى ان ينصاع للامر قائلا انه لا يستطيع الانسحاب لانه محصور ، ولو استطاع لما فعل ، ذلك لان في القلعة نساء وشيوخا واطفالا لا بد من التفكير بمصيرهم . ولو انصاع للامر وانسحب لسقطت جنين وضاعت معالمها ، اذاً لا بد من القتال ، وبدأ القتال بالفعل . بدأ من الساعة الثامنة من صباح اليوم الثالث من حزيران ، اذ راح العراقيون يقصفون المواضع اليهودية بنيران مدافعهم .

وفيما كانت المعركة قائمة اراد اليهود ان يبلغوا قائد الفوج العراقي ، فانتحل احدهم شخصية المقدم نوح ، وكلم عمر باللاسلكي طالبا اليه ان يقصف القلعة ولبى هذا بادىء ذي بدء الطلب ، وقصف القلعة بقنبلة سقطت في طرفها ، فقتلت واحداً وعشرين من رجالها العراقيين ، وسرعان ما اكتشف نوح الحيلة ، فاتصل بعمر وطلب منه توجيه حممه الى المواضع اليهودية ، ففعل ، وراح يقصفهم بشدة . رغم ان العراقيين المحصورين في القلعة عرفوا ان القنبلة التي سقطت عليهم عراقية الا انهم فرحوا . اذ ايقنوا ان ساعة الخلاص قريبة .

وعندئذ قذف اليهود الى ميدان المعركة بنجدة ثالثة عززوها بنيران مدافع الهاون نصبوها في (الخروبة) . وراحت هذه تصب قذائفها على المدينة ، وبصورة خاصة على الشارع العام - من عين الشريف الى الجامع الكبير - لاعتقادهم بأن الجيش العراقي لا بد وان يكون زاحفا في تلك الساعة عبر ذلك الشارع ، وهذا ما وقع بالفعل ، اذ راح المشاة العراقيون يساعدهم المناضلون الفلسطينيون يزحفون صوب المدينة لا من الشارع العام فحسب بل ومن الجبال .

وما ان دقت الساعة التاسعة حتى كان العراقيون قد احتلوا سفوح برقين ، وعند الظهيرة احتلوا احدى الاكام المشرفة على المدينة بعد معركة نشبت بين الفريقين بالسلاح الابيض ، وقد ابلت فيها السرية الاولى يقودها الرئيس الاول ادريس عبداللطيف بلاء حسنا ، واندحر اليهود الى محطة السكة الحديدية ، تاركين وراءهم على الاكمة

خمسة وعشرين قتيلا . وست رشاشات (اربع منها براوننغ وواحـدة هوتشكس ، والسادسة من طراز فيكرز) ومدفع هاون (٢و٢عقدة) وقاذفة فيات ومقدار من الالغام.

عندما فشل الجناح اليهودي الايمن وارتد الى المحطة ، راح جناحهم الايسر يحاول صد العراقيين الذين كانوا يحاولون عبور المدينة من الطريق العام (طريق نابلس ـ جنين) فوقفت حوالي العصر اربع من مصفحاتهم (اي المصفحات اليهودية) في مداخل المدينة من ناحيتها الشمالية ، ووقفت احداهن عند الجامع الكبير ورابطت الثلاث الاخرى في نقاط مختلفة تحمي ظهود المتقدمين ، واشتبك رجال هذه المصفحات في قتال مع المناضلين كانت ساحته الجزء من الشارع العام الواقع بين الجامعين وقد قتل فيه اثنان من المناضلين العرب وزهاء عشرين من اليهود ، وفر الآخرون ، وكان بينهم عدد غير قليل من اليهود العراقيين ، يكاد المرء لا يميز بينهم وبين العراقيين المسلمين لا في الكساء ولا في الكلام.

وفي الساعة الرابعة من بعد الظهر (٣ حزيران) وصل فوج عراقي آخر ، هو الفوج الثاني من اللواء الرابع ، يقوده شليمون مخائيل (١) وهذا ايضاً جزء من جحفل الملكة عالية الذي تقدم ذكره .

اكد لي عصام الشوا ، قائمقام جنين في ذلك الحين، ان القائد شليمون اختار الطريق العام الى جنين ، وانه عندما وصل وجنده الى (عين نين) رأى الماء يتفجر منها فشرب هو ، وشرب جنده ، واستغرب القوم في جنين كيف يتفجر الماء ، وكان غائضاً فيهـا منذ عام او يزيد ، واستمر النبع يومين ، وعندما انتهت المعركة عاد ، ففاض ! ..ولولا ان محدثي شاب مثقف ، ورجل مسؤول لما صدقت هذا الخبر . ولله في خلقه شؤون ...

وراح الفوجان (فوج شليمون هذا وفوج عمر علي المتقدم ذكره) يتعاونان ويشاغلان اليهود بقية النهار ريثما يجن الليل ، يشاغلانهم بنيران المدافع ، وقد خف للنجدة ـ في الوقت نفسه ـ زهاء مئة من المجاهدين الفلسطينيين ، جاءوا من عرابة وبرقين ومن رمانة وسيلة الظهر وصانور وجاء معهم عدد من النساء يزغردن .

وما كاد الليل ينتصف (٣ ـ ٤ حزيران) حتى قام العرب ، عراقيون وفلسطينيون بهجوم على اليهود ، وعلى الآكام التي كان اليهود قد تحصنوا فيها ، هاجموهـا تؤيدهم نيران المدافع والرشاشات . وفيما كانت هذه تفتك باليهود ، راح المشاة يزحفون زحفا جانبياً من الطريق العام ، ومن وادي برقين ، وما كاد الفجر يبزغ حتى كانت سريـة الفوج الثاني من اللواء الرابع يقودها الرئيس حسيب علي توفيق ، قد وصلت الى مدرسة جنين على طريق بيت قاد : وفي الساعة الثالثة والدقيقه الثلاثين مـن صباح يوم الجمعة

---

(١) من الاشوريين الذين انخرطوا في الجيش العراقي .

الموافق الرابع من شهر حزيران بدأ اليهود ينسحبون ، وما كادت الساعة تدق الحادية عشرة (اي قبل صلاة الجمعة بساعة) حتى كانت مدينة جنين كلها قد طهرت من الاعداء .

اكد لي القائد العراقي المقدم الركن عمر علي عندما زرته ببغداد ، مستطلعا رأيه فيما جرى . ان قتلى اليهود في هذه المعركة كثيرون ، وانهم سحبوا جثث الكثيرين من قتلاهم ، ومن لم يسحبوهم احصاهم فوجد انهم ثلاثمئة وخمسون (١) بينهم قائد الحملة وفتاتان وجدت جثتاهما الى جانب رشاشيهما ، ووجد في جيب القائد اليهودي المقتول اوراق تقول ان اليهود كانوا بعد احتلال جنين يعتزمون السير قدما حتى مفرق قباطية ومن هناك يتفرعون : فرع يسير باتجاه دير شرف ، ليقطع خط الرجعة على العراقيين الموجودين فى قطاع طولكرم ، وفرع يسير باتجاه وادي الهيدان ليقطع خط الرجعة على العراقيين الموجودين في قطاع طوباس . واما الجرحى فاكثر من ذلك ، اذ اكد لي سكان جنين انهم رأوا عن بعد ثلاثين سيارة من السيارات اليهودية المصفحة الكبرى وهي تنقل القتلى والجرحى ، واما قتلى العرب فانهم اقل من المئة : عشرون منهم عراقيون (٢) احدهم ضابط وعشرون فلسطينيون ، هؤلاء مقاتلون ؛ واما المدنيون فانهم ستةواربعون بينهم عدد ضئيل من النساء والاطفال .

واكد لي المقدم نوح ان عدد الذين استشهدوا في داخل القلعة خمسة عشر : ضابط برتبة ملازم ، هو عبد اللطيف صبري ، وأربعة عشر جندياً . وجرح طبيب عسكري ، ومعظم هذه الاصابات كانت نتيجة قنبلة يهودية سقطت فاخترقت سقف السجن ، وفي قول انها قنبلة عراقية هي التي قلنا انها سقطت خطأً في وسط القلعة .

وفيما يلي بيان الاسلحة التي غنمها العرب في هذه المعركة : —

العدد	النوع
٣٠٠	بندقية (تركية قديمة وانكليزية وتشيكوسلافاكية)
٣	مدافع هاون (انكليزية ذات ثلاث عقد)
١	مدافع هاون (اميركية ذات ٨١ ملم)
٤	مدافع هاون (انكليزية ذات عقدتان)
٥	رشاشات (من طراز برن)

---

(١) قال اليهود ان عدد القتلى والمفقودين من رجالهم بلغ في معركة جنين ١٢٦١ .

(٢) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع

٤ رشاشات (من طراز براوننج)

٢ رشاشات (من طراز فيكرز)

٣ رشاشات (من طراز هوتشكس)

١٥ رشاشة (من طراز ستن)

٢ رشاشان (من طراز تومي)

٤ رشاشات ايرانية

٣٠٠ لغم

٤ اجهزة لاسلكية

ومقادير كبيرة من العتاد من قنابل الهاون .

وهكذا انتهت معركة جنين بنصر مبين للعرب (١) هذا مع العلم بان اليهود وان كانوا قد ارغموا على مغادرة مدينة جنين الا انهم ظلوا محتفظين بالقرى العربية العشر الآتي ذكرها : مقيلة ،جلمة، زرعين،نورس،المزار ،زبوبا، ديرغزالة ، عربونةعرانه، فقوعة ولجأ سكان هذه القرى الى مدينة جنين.

هذا ولا بد لنا من اطراء ما ابداه اثنان من العراقيين في معركة جنين من بطولـــة واخلاص : وهما المقدم نوح عبد الله الحلبي الذي حوصر في القلعة . والمقدم عمر علي الذي جاء على رأس النجدة وكان له الفضل في انقاذ ليس المحصورين فحسب بل وجنين باسرها . اما نوح فقد ولد في الموصل سنة ١٩٠٩ وتخرج من الكلية العسكرية سنة ١٩٣٠ برتبة ملازم ثان . ودخل كلية الاركان سنة ١٩٣٥ وعين آمراً للفوج الآلي الاول سنة ١٩٤٤ واشترك في حرب فلسطين ، فحوصر في قلعة جنين (٣ حزيران سنة ١٩٤٧) ورقي بعد انسحاب الجيش الى العراق ، فاصبح عقيداً .

واما عمر علي فقد ولد في كركوك سنة ١٩١٠ ، وتخرج من الكلية برتبة ملازم ثاني سنة ١٩٣٦ ودخل كلية الاركـــان سنـــة ١٩٣٥ ، وعين آمراً لفوج المشاة الثاني للواء الخامس سنة ١٩٤٤ واشترك مع فوجه في حرب فلسطين وتدرج في رتب الجيش حتى اصبح زعيما ركناً :

---

(١) بعد هذا اقرا انباء المعركة التي دارت في قطاع جنين بتاريخ ٨ تموز سنة ١٩٤٨ .

قاقون (١)

سقطت قاقون بيد اليهود في اليوم الخامس من شهر حزيران ١٩٤٨ . ولهذا السقوط قصة رواها لي المناضلون فقالوا : -

« كان فيها عند صدور قرار التقسيم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ خمس وخمسون بندقية ومدفعان رشاشان من طراز برن ، خمس وثلاثون من هذه البنادق زودتنا بها الهيئة العربية العليا ، والباقي شريناه باموالنا وباسعار باهظة . وكنا جميعا على استعداد لان ندرأ الشر عن بلدنا ، مهما كلفنا ذلك من ثمن . ذلك لانا كنا على مقربة من عدد من المستعمرات اليهودية القوية ، وكان بيننا وبين اليهود خصام يرجع عهده الى ثورة ١٩٢١ .

ونشبت بيننا وبين اليهود ، في اثناء الشهور الخمسة التي سبقت مجيء الجيش العراقي عدة معارك ، كان النصر فيها كلها حليفنا - فلم نخسر سوى ثلاثة شهداء وعـدد قليل من الجرحى .

ولما جاء الجيش العراقي ، بعد انسحابه من معركة كيشر ، وحـط رحله في مدينة طول كرم وكان ذلك في النصف الاخير من شهر ايار ، رجونا الخير على يده ، ورحنا نتوقع سقوط المستعمرات اليهودية القريبة منا الواحدة بعد الاخرى . ولكن سرعان ما خاب املنا . وكم كان استغرابنا شديدا عندما رأينا انه مذ حط رحله في طولكرم ، ظل قابعا فيها . فلم يتخط حدود المدينة والمحطة والقسم الذي يحد هذه المحطـة مباشرة من الغرب بلى وربك ، انه لم يتعدها شبراً واحداً الى الامام . بل اكتفى بضرب المستعمرات اليهوديـة الواقعـة الى الغرب من طولـكرم ، بمـدافعه الثقيلـة . وأمر اصحاب البيارات المجاورة لها (٢) بمغادرتها ، حتى المناضلين المسلحين الذين كانوا الى ذلك الحـين يذودون عنها ، فقد أمروا بالنزوح بحجة ان الجيش وحده هو المسؤول . وما كدنا ننزح عن بياراتنا ومزارعنا ، حتى جاء اليهود فاحتاوها . وباحتلالهم لهـذه البيارات سيطر اليهود على جميع السهل الواقع الى الشرق منها . وهو قسم من سهل شارون المعروف في التاريخ ، والمشهور بخصبه وجودة ترابه .

« كل هذا جرى امام سمع الجيش العراقي وبصره ، دون ان يحرك ساكنا . لا ، ولا

---

(١) قرية كبيرة من قرى طول كرم ، يسكنها (عام ١٩٤٥) ١٩٧٠ نسمة . كلهم مسلمون

(٢) كبيارات آل النابلسي (الحاج نمر واولاده ؛ راضي وحسن) وبيارات آل المصري وآل سمارة وغيرها .

ركض لتحصين القرى الامامية كالطيرة وقلنسوة وباقة الغربية وقاقون .

«ولما ازداد تساؤلنا واستغرابنا ارسلوا الى قريتنا قاقون ثلاثة وثلاثون جندياً. وكان ذلك في اليوم الاخير من شهر ايار ١٩٤٨ .وجاء القائد المسؤول طارق بك في ٢حزيران مع ثلاثة من ضباط الجيش وبعد ان درسوا الوضع عادوا الى مقرهم قائلين انهم سيقصفون الليلة هذه المستعمرة القريبة منا بمدافعهم ، وسيحرثونها حرثا ، فيجعلون عاليها سافلها وطلبوا منا ان نهيء العدد الكافي من المناضلين لاحتلالها ، بعد الانتهاء من القصف . فاعددنا لهم مئة مسلح . وبقينا ننتظر. و سرعان ما خاب رجاؤنا فلم تقذف في تلك الليلة قذيفة واحدة . لا ولا في الليلة التي تلتها .

« وراح اليهود في اليوم الرابع من شهر حزيران يحتشدون في بياراتهم التي لا تبعد عنا اكثر من اربعة كيلو مترات ، وكنا نرى العدد العديد من مصفحاتهم ومدافعهم وسياراتهم تنقل المقاتلين من رجالهم . واخبرنا من فورنا قادة الجيش العراقي الموجودين في طولكرم ومع ذلك فانهم لم يحركوا ساكنا .

«وراح اليهود في الساعة الخامسة والنصف من بعـد ظهر ذلك اليوم (٤ حزيران) يقصفون القريـة بمدافعهم . فقتلوا منا عشرة اشخاص ، وجرحوا عشرة ، ورجونا اخواننا العراقيين ان يقوموا بعمل مماثل ، فيقصفوا الاماكن التي حشد اليهود فيها جموعهم ولكنهم لم يلبوا طلبنا لا ، ولا اطلقوا طلقة واحدة ، ولو على سبيل الارهاب ، الامر الذي جعل الرعب يـدب في قلوبنا ، فحملنا نساءنا واطفالنا ووضعناهم في البيارات الكائنة في شرقي القرية ، وبقينا نحن المناضلون مع رجال الحامية العراقية المرابطة في القريـة ؛ وكانوا من القلة بحيث لا يؤبه لهم ، واستأنف اليهود (عند منتصف الليل ٤ـ ٥ حزيران) قصف القرية بمدافعهم ، وفي تمام الساعة الثانية ، راحوا يزحفون ، ورحنا نحن نبذل ما في وسعنا من جهد لصدهم ، ولكن أنى لحامية صغيرة ان تنجح في صد عدو اعد العدة الكافية التي تمكنه من الوصول الى هدفه ، سيما وهو يرى ان الجيش المرابط في الخطوط الخلفية القريبة منا لم يحرك ساكنا ولم يطلق طلقة واحدة ، وهذا ما جرأه على الزحف فما كادت الساعة تدق التاسعة حتى كان العدو قد وقف على ابواب قاقون يبغي احتلالها

«عندئذ استنجدنا بالمسلحين من اخواننا سكان القرى المجاورة، فانجدونا ، كما انجدتنا نابلس بعدد من مسلحيها ، وكذلك فعلت عنبتا ، ورابط المنجدون عند السكة الحديدية في موضع يبعد عن قاقون زهاء خمسمئة متر ، ينتظرون صدور الامر من قادة الجيش العراقي بالزحف . ولم يستطيعوا الزحف من تلقاء انفسهم . ذلك لان الجيش كان اذاع

في اليوم الذي سبق (٤ حزيران) انه سيقوم بمناورة في سهل شارون وانه سيعاقب كل من يجده غربي الخط الحديدي .

«وعندما تحرك الجيش العراقي في ذلك اليوم (٥ حزيران) وكانت الساعة تشير الى السابعة ، كان الوقت قد فات ، وكان اليهود قد وقفوا - كما سبق وقلنا - على ابواب قاقون . وعندما اقترب العراقيون من القرية لم يحاولوا دخولها . بل اكتفوا بقصفها بمدافعهم ودباباتهم ، وبقوا على تلك الحال حتى المساء ، ولما غابت الشمس انسحبوا الى طولكرم ، ودخل اليهود القرية . وكانت نتيجة تلك المعركة ان قتل من اهل القرية اربعون رجلا ، ومن الحامية العراقية سبعة عشر رجلا ، ومن سكان القرى المجاورة الذين خفوا للنجدة عشرة . ويظهر ان العراقيين شعروا بتبكيت الضمير ، اذ راحوا في صبيحة اليوم التالي (٦ حزيران) يقصفون القرية بمدافعهم . ودام القصف طيلة ذلك النهار . فما كادت الشمس تجنح الى المغيب حتى كانت القرية قد هدمت . وكانت منازلها قد اصبحت طللا بالياً . ولكن الضباط العراقيين لم يسمحوا لاحد من اهلها ؛ لا ، ولا من الجنود ، باجتياز الحدود ، الامر الذي جعل الاعتقاد يسود ان هناك خطة موضوعة تقضي بالا يجتاز الجيش العراقي ايضاً الحد المعين له في قرار التقسيم . ولله في خلقه شؤون

ويقتضيني الانصاف ان اذكر ما قاله لي العراقيون انفسهم عن معركة قاقون هذه: فقد حدثني المقدم الركن طارق سعيد فهمي الذى كان مسؤولا عن هذه المعركة ، عندما التقيت به في بغداد بعد وقف القتال ، وكان يومئذ (١٦-١٢-٥٣) زعيما ، انه تسلم قاقون من الضابط محمد اسحق من ضباط الجيش العربي ومن مدلول عباس من ضباط جيش الانقاذ ، وان القوة اليهودية التي هاجمت قاقون كانت عبارة عن مئة وخمسين مسلحاً ، وان القوة العربيةالتي كانت ترابط فيها مئة وعشرون مقاتلا : ثمانون فلسطينيون واربعون عراقيون ، اسلحتهم بنادق اعتيادية وكان معهم اربعة رشاشات برن واربعة مدافع هاون ، اثنان ذاتا عقدتين واثنان ذاتا ثلاث عقد . وكانت المدافع العراقية من وزن ٢٥ رطلا تسندهم من طول كرم ؛

ومما قاله لي الزعيم طارق : -

ان رتله المعروف بـ (رتل نمر) كان ، فور وصوله الى طول كرم في الاسبوع الاخير من شهر ايار ، قد احتل مستعمرة (غوليم) القريبة من كفاريونا على طريق ناتانيا ، ودمرها . ثم اغار على (كفاريونا) ولكنه لم يستطع احتلالها ، اذ جاء اليهود بقوات كبيرة ، فاخرجوهم منها ومن غوليم ، واضطر العراقيون الى الانسحاب ، فانسحبوا

الى طول كرم ، وفيما كانوا يناوشون اليهود في (الطيرة و (باقا الغربية) ، قام هؤلاء (اي اليهود) بهجوم كاسح على (قاقون) فاحتلوها (٥ حزيران ١٩٤٨) .

وحاول العراقيون في اليوم التالي (٦حزيران) استردادها، الا انهم اخفقوا ،بالرغم من انهم كانت لديهم ـ على ما يقول الزعيم طارق ـ سرية مشاة عدد رجالها ١٤٠وسرية مدرعات عددها ١٦ وبطارية من المدافع عددها ٤ ووزن الواحد منها ٢٥ رطلا وكتيبة مدفعية عددها ١٢ مدفعاً من عيار ٣,٧ وكانت لديهم ايضاً اربعة رشاشات من طراز فيكرز واربعة مدافع هاون ، وقصفوها يومئذ (٦ حزيران) بالطائرات ويقول طارق ان اليهود كانوا اقوى منهم عدداً وعدة .

واتتهم (اي العراقيين) نجدة بعد الظهر ، عبارة عن سرية يقودها الرئيس الاول الركن شكري محمود نديم ، فقامت هذه بالاشتراك مع المناضلين الفلسطينيين بهجوم ثان الا انهم لم يفلحوا في استرداد قاقون . اذ كان اليهود قد لغموا الطريق اليها ، وظلت هذه بيد اليهود ، وعاد العراقيون الى الشويكة ، ليؤمنوا طريق نابلس .

خسر العرب في معركة قاقون هذه واحداً وستين شهيداً : سبعة واربعون عراقياً ، واربعة عشر فلسطينياً ، ومن العراقيين شهيدان برتبة ضابط، هما الملازم يعقوب يوسف والملازم محمود اسعد الدوري ، وجرح آمر رتل قريش الرئيس سعيد القريشي .

بيت داراس

●

في ٥ حزيران سنة ١٩٤٨ سقطت بيت داراس (١) بيد اليهود . سقطت في ايديهم بعد ان قاتلتهم قتالا عنيفاً ، واشتبكت معهم في اربع من اشد المعارك التي قامت في قطاع غزة ، وتفصيل ذلك :

ان اليهود هاجموها بعد صدور قرار التقسيم اربع مرات ، يبغون التخلص منها لانها واقعة امام مستعمراتهم ، وكثيراً ما عرقل المناضلون من ابنائها، طرق مواصلاتهم (٢) وكان في القرية ثمانون مناضلا .

اما المعركة الاولى فقد نشبت بين الفريقين في اليوم السادس عشر من شهر آذار ١٩٤٨ ورغم ان عدد المناضلين ما كان يومئذ ليزيد عن الثمانين (٣) وان اليهود هاجموهم

---

(١) قرية عربية من اعمال غزة ، كان يعيش فيها قبل سقوطها اربعة آلاف نسمة كلهم عرب مسلمون ، وكلهم مزارعون نشيطون .

(٢) هناك عدد من المستعمرات القريبة من بيت داراس ، اهمها « بيارتعيبا » و (كفارنتاليم) .

(٣) سلاحهم البنادق وعتادهم لا يزيد عن المشطين للبندقية الواحدة

بأربعة اضعاف هذا العدد من مقاتليهم ، فقد تمكن الجدارسة من صدهم فارتد اليهود تاركين وراءهم عدداً غير قليل من القتلى ، وقتل من المناضلين يومئذ ثلاثـة كما قتلت امرأة ونفق جمل . وهدم اليهود قبل انسحابهم منزلين من منازل القرية . واصيب مختار القرية حسين عقيل صالح بجرح بالغ .

وبعد مدة تقرب من الشهر ١٣ نيسان جاء اليهود بأعداد كبيرة يبغون مقاتلة العرب، وكـان معهم هذه المرة اربع من المصفحات وكان الوقت عصراً . وبعد ان اطلقوا النار مـن برناتهم انسحبوا دون ان يحدثوا اي ضرر .

فقد كان القصد من الهجومين المذكورين جس النبض ومعرفة درجة المقاومة عنـد العرب .

اذ ما كاد ينتهي شهر نيسان حتى جاء اليهود (١ ايار ١٩٤٨) بأعداد كبيرة يبغون احتلال القريـة وازالة معالمها ليصفو لهم الجو هناك . جاءوا مـع انبثاق اشعة الفجر وتركزوا في موضـع يسمى (نصار) وراحوا مـن هنـاك يقصفون القريـة بمدافعهم القوسية (المورتر) وفيما كانوا يفعلون ذلك من شرق القرية ، راح مشاتهـم يزحفون من غربها ، فاحتلوا المدرسة وتقدموا صوب القرية . فوقعت القرية بـين نارين : نار المدافع من الشرق والبرنات من الغرب ،ولكن حماة القرية لم ييأسوا ولم يهنوا بل راحوا يقاتلون الاعداء بقلوب عامرة بالايمان ، وظلوا كذلك الى ان تمكنوا مـن دحرهم فردوهم الى الوراء ، واستردوا المدرسة وما ان استوت الشمس في كبد السماء حتى كانت المعركة قـد انتهت بنصر للعرب ، واراد المناضلون ان يقتفوا اثر اليهود المنهزمين لولا ان هؤلاء كانوا قد استنجدوا بالقوات البريطانية القريبة منهم فهبت هذه لنجدتهم في ثلاث مصفحات وهب لنجدة بيت داراس في الوقت نفسه مناضلون مـن اسدود وحمامة والسوافين والبطاني ، ومن المجدل والفالوجة ، ومن كل مكان .

ولكن البريطانيين اسرعوا ، فوقفوا بـين الفريقين ، يحولون دون اصطدامهما . وقد انقذوا ، بعملهم هذا ، اليهود من ورطة كبيرة (١) :

ومع ذلك فقد اكد لي المطلعون انه قتل من اليهود في هذه المعركة مئتان واربعون وفي قول ان قتلاهم يومئذ لم يجاوزوا المئة والخمسة والسبعين. وجرح منهم كثيرون، وامـا قتلى العرب فثمانية وجرحاهم اثنان وعشرون وان هذه المعركة يصح ان تعتبر من اهم المعـارك

---

(١) يلاحظ ان القوات البريطانية ما هبت للنجدة الا عندما شعر اليهود بالخطر ، وانها لم تفعل مثل هذا عندما كان العرب يعمون في مثل هذا الخطر .

التي وقعت في قطاع غزة ان لم تكن اهمها كلها . وكانت قوة بيت داراس يومئذ عبارة عن ١٩ بندقية ، منها سبع لا تصلح للعمل .

وأما المعركة الرابعة فقد وقعت في ٢١ ايار ١٩٤٨ اذ جـاء اليهود بأعداد كبيرة تدعمهم المصفحات ، وقد طوقوا القرية من جهاتها الاربع يبغون الحيلولة دون وصول النجدات اليها . وبعد ذلك راح مشاتهم يزحفون صوب القرية من الجنوب ، وقد بدأ الزحف مع الفجر ، وكانت مدافعهم في الوقت نفسه تقذف حممها على القرية .

واقترف سكان القرية خطأ كبيراً بأخراجهم الشيوخ والنساء والاطفال من الناحيـة الجنوبية اذ تلقفهم اليهود الزاحفون من تلك الناحيـة فقتلوا منهم خلقاً كبيراً . وكانت احدى فتيات القرية تتقدم صفوف المجاهدين وتحضهم على النضال ، كما كان عدد آخر من الفتيات ينقلن الماء الى المجاهدين ، فاغتاظ اليهود وخطفوا احداهن فهتكوا عرضها وحرقوا بيادر القرية ، ونسفوا اربعاً من الدور الكائنة خارج القرية ولئن هب المناضلون من أبناء القرى المجاورة لنجدة القرية الا انهم لم يتمكنوا من الوصول اليها ، لان اليهود كانوا قد احسنوا ضرب النطاق حولها ، ومع ذلك فقد أبلى البدارسة بلاءاً حسنافتمكنوا من صد اليهود ، وما كاد النهار ينتصف حتى كانت المعركة قد انتهت بنصر للعرب .

وتمكن اليهود من جر قتلاهم معهم . خسر البدارسة في هذه المعركة ثلاثة وثلاثين شهيداً (١) وبلغت خسائرهم في المعارك التي سبق ذكرها في الاسطر المتقدمة ثمانين قتيلا .

ان المعركة الاخيرة هذه وان كانت قد انتهت بنصر للعرب الا ان الذعر كان قـد دب في قلوبهم ، ولقد زاد طينهم بلة فقدان العتاد ، ورغم انهم استنجدوا بالهيئـات والجماعات العربية المختلفة الا ان احداً منها لم يلب نداءهم ، ولم يزودوهم بالعتاد الذي كانوا في اشد الحاجة اليه خلا بضع مئات من الطلقات زودتهم بها اللجنة القومية بغزة ؛ ولهذا راحوا ينزحون عن منازلهم حتى انه لم يبق منهم في القرية سوى عدد ضئيل من المناضلين .

ومع ذلك فلم يجرؤ اليهود على دخولها الا قبل اعـلان الهدنة الاولى ببضعة ايام (٥ حزيران ١٩٤٨) (٢) .

محاولات قبل الهدنة الاولى

●

ان سقوط الحي اليهودي بالبلدة القديمة (٢٨ ايار) وفشل اليهود في رفع الحصار

---

(١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

(٢) بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن بيت داراس في ٣٠ حزيران يونيو عندما استؤنف القتال في ٩ تموز يوليو ١٩٤٨

الذي فرضه العرب ، على الاحياء اليهودية رغم المعارك التي خاضوا غمارها في قطاع باب الواد ، والخسائر الجسيمة التي تكبدوها هنا وهناك ، جعل اليهود ييأسون ، وايقنوا ان النصر الذي يبتغون بعيد المنال . فلم يجدوا بداً من تلمس جميع الطرق الموصلة لعقد هدنة مع العرب .

وفيما كانت المساعي تبذل في هذا السبيل من لدن رجالهم السياسيين ، يؤيدهم في ذلك أصدقاؤهم الاميركيون ، وهم كثيرون ، راح رجالهم العسكريون يفرغون ما في جعبهم من عتاد ومكر ودهاء . وقد اثروا على مجلس الامن ، فاصدر قراره (في ٢٩ ايار ١٩٤٨) القائل بوجوب قيام هدنة في فلسطين .

فقذفوا الى الميدان بكل ما يملكون من مدافع ، وطائرات ، ومن راجمات الالغام ، ولم يكن لديهم يومئذ اكثر من مدفع واحد من عيار ١٨ رطلا وبضعة مدافع قوسية (مورتر) من عيار بوصتين وثلاث بوصات ، ولم يكن لديهم سوى اربع طائرات مقاتلة واربع قاذفات للقنابل الخفيفة وثلاث للقنابل الثقيلة وتسع وعشرون طائرة للتدريب والمواصلات . واما راجمات الالغام ، فكانت عبارة عن انبوب محشو بالالغام طوله ٧٥ سنتمتراً وقطره ٧٥ مليمتراً . انه من صنع محلي . وكذلك الالغام ، انها وان كانت ذات صوت مزعج ، الا أن تأثيرها على العمارات والسكان كان ضئيلا للغاية .

ومهما كان الامر ، فقد استعمل اليهود في الايام الثلاثة التي سبقت الهدنة كل ما يملكون من سلاح وعتاد وقاموا بمحاولة المستميت للحصول على اكبر قدر مستطاع من الربح قبل ان تفرض الهدنة ويقف القتال ، فقصفوا ، يوم الاحد الموافق ٦ حزيران الاحياء العربية بنيران مدافعهم ولا سيما حي الشيخ جراح من اجل الوصول الى الهداسا ونسفوا جميع المباني القائمة بين الباب الجديد ومدرسة تراسانطة بين النوتردام والسور ، واصيب عدد كبير من الاديرة ، منها كنيسة الارمن الكاثوليك وبطريركية الروم الارثوذكس والقازانوفا ودير الاباء الفرنسيين غير ان تأثيرها على الارواح كان ضئيلا اذ لم يقتل سوى عربيين . احدهما اردني يوسف الفهد من العدوان والاخر مقدسي هو فتحي داود عبد من مناضلي حي الثورى وكذلك فعل العرب ، فقد قصفوا بمدافعهم الاحياء اليهودية ، ودام قصف المدافع بين الفريقين طيلة اليوم التالي (٧ حزيران) ، وفي ٨ حزيران ١٩٤٨ قام اليهود بهجوم على مراكز الدفاع العربية في اللطرون وباب الواد ولكن الجيش العربي صمد لهم وردهم على اعقابهم ، بعد أن كبدهم خسائر فادحة في الاموال والارواح ، وبهذا فشلت محاولتهم في امرار القافلة وتزويد حامية القدس

بالمؤن والرجال ، وظلت الاحياء اليهودية محصورة من كل جانب . لا يصلها الماء ، ولا المؤن ، ولا الرجال ، واشتد كرب هذه الاحياء من جراء قلة المؤن والمـاء فوصل الى الى درجة لا تطاق :

وفيما كانت المعركة قائمة عند باب الواد كـان اليهود يقصفون (في ٧ حزيران) الاحياء الغربية في القدس ويفرغون عليها كل ما تبقى لديهم من قنابل المورتر وكذلك قـل عنها في ٨ حزيران ورغم ان عدداً من هذه القنابل قد أصاب الهدف ، وسقط على قبة كنيسة القيامة (١) والحرم القدسي (٢) الا انها لم تحدث الاثر الذي كان يهدف اليه الاعداء ، فان المجاهدون الذين كانوا يعملون في قلب المدينة بهمة ونشاط صمدوا لهم واستغل هؤلاء ما جرى لاثارة العالم الاسلامي والمسيحي ضد اعدائهم ، فأبرق رؤساء الدين المسيحي الى قداسة البابا ، كما ابرق رؤساء الدين الاسلامي الى فضيلة شيخ الازهر ، وأرسلت نسخ عن برقيات الاحتجاج الى مجلس الامن وهيئة الامم وقناصل الدول الاجنبية ورؤساء الحكومات وعلماء المسلمين في العالم كله .

اطلعت على نداء وجهه علماء الشام الى المسلمين في مشارق الارض ومغاربها . لافتين انظارهم الى ما حل بالحرم القدسي وبالمسلمين من سكان بيت المقدس من جراء تلك الغارة الشنعاء ، والنداء موقع من لدن العلماء الآتية أسماؤهم : ــ

١ ــ	محمد شكري الاسطواني	المفتي العام للجمهورية السورية
٢ ــ	محمد سعيد آل حمزة	نقيب السادة الاشراف
٣ ــ	محمد عزيز الخاني	قاضي الشام
٤ ــ	ابو الخير الميداني	رئيس رابطة العلماء
٥ ــ	محمد المكي الكتاني	نائب رئيس رابطة العلماء
٦ ــ	محمد ابراهيم الغلاييني	مفتي وادي العجم
٧ ــ	محمد حسن الميداني	رئيس جمعية التوجيه الاسلامي
٨ ــ	احمد الدقر	نائب رئيس الجمعية الغراء

(١) تلك هي المرة الثالثة التي تصاب فيها هذه الكنيسة بقنابل اليهود . وكان حجم الثغرة التي فتحتها القنابل هذه المرة ٣٠س×٤٠س ولم يخترق الواح الرصاص . وقال رئيس معهد الفرير انه راى القنبلة موجهة نحو الكنيسة من عمارة النوتردام .

(٢) سقطت قنبلتان منها يومئذ في ساحة الحرم . وكان اليهود يقصدون الانتقام لكنسهم التي تهدمت يوم سقوط الحي اليهودي في ٢٨ ايار . ولكنهم نسوا انهم استعملوا كنسهم لغايات حربية بينما لم يستعمل لا المسلمون ولا النصارى اماكنهم المقدسة لمثل تلك الغايات .

٩ ــ عمر بهاء الاميري نائب المراقب العام للاخوان المسلمون

١٠ ــ محمد معروف الدواليبي نائب حلب

١١ ــ محمود الشقفة نائب حماه

١٢ ــ محمد المبارك نائب دمشق

وفي الوقت الذي كانت فيه نداءات الاستغاثة توجه الى العالمين الاسلامي والمسيحي راح حماة المدينة يذودون عن الحي بكل ما اوتوا من عزم وتصميم. وراحوا يضيقون الخناق على اليهود في كل مكان، في حي الثورى والنبي داود وفي المصرارة والشيخ جراح، كما راحوا يقصفون الاحياء اليهودية بمدافعهم [١] ودام القتال طيلة ذلك النهار ومن أهدافها حبعات شاؤول وروميما وبيت هاكيرم وشرفة عين كارم ومياشورم وشنللر ودار الوكالة اليهودية، بعض هذه الاهداف على مسافة قدرت بثمانية آلاف وتسعمئة متر، والبعض الاخر بعشرة آلاف.

وكانت المدافع العربية تصيب الهدف بشكل يدعو للارتياح، وكنا نرى لهب الحرائق المشتعلة في الاحياء اليهودية، من مسافات بعيدة، وكان اكبرها ذلك الحريق الذي شب في دار الاذاعة بشارع الملكة ميليسندة.

قال الكاتب اليهودي (آرثور كوستار) في كتابه (وعد وفاء) ص ٢٣٨و٣٤٢ انه «ليس في الاحياء اليهودية بالقدس بيت واحد لم يصب برصاصة او بشظية من قنابل المدافع العربية. وكانت ضحايا اليهود المدنيين، قبل عقد الهدنة، بمعدل عشرين شخصاً في اليوم الواحد.

واما العرب فلم يقتل منهم في ٧ حزيران سوى شخص واحد (هو قسطندي زخريا مصرصع)، وتسعة اشخاص في التاسع: اربعة منهم اردنيون، والباقون من ابناء

---

(١) بعد سقوط الحي اليهودي بيد العرب استبدل الجيش مواضع مدافعة بالشكل الاتي:

أ ــ المدافع التي كانت على جبل الزيتون بقيت مكانها.

ب ــ والمدافع التي كانت في بيت حنينا نقلت الى قطاع بدو والنبي صمويل ومن هناك تولت فئة منها قصف الاحياء اليهودية بالقدس وتولت فئة اخرى قصف المستعمرات اليهودية من طريق القدس ــ يافا الى الغرب من المدينة.

ج ــ والمدافع التي كانت بباب الواد بقتا مكنها.

د ــ والمدافع التي كانت في البلدة القديمة نقلت الى حي الشيخ جراح واصبت في مكان ما على جبل سكوبس بالقرب من معسكر البوليس.

بيت المقدس . وكان بين قتلى اليهود قائد [١] الجيش الأسرائيلي في القدس الامر الذي ادخل الرعب في افئدة اليهود . ولم يكن لهم يومئذ في المدينة اكثر من الفي مقاتـل . معظمهم من اليمانيين والسفراديم (اي اليهود الشرقيين) ، هذا من مجموع مقاتليهم في البلاد كلها وكان عددهم لا يزيد غن ثمانية آلاف [٢] لقد بلغ الامر باليهود قبل الهدنة الاولى بقليل ان شربوا المياه التي كانت في المستنقعات مثل بركة السلطان وبركة مأمن الله وهاجر الكثير من يهود القدس الى القرى المجاورة مثل لفتا وعين كارم التي كانت تحت سيطرتهم طلباً للماء من الينابيع الموجودة فيها . ولم تكن حالة يهود القـدس من حيث الطعام بأحسن من حالتهم من حيث الماء حتى ان الاهلين كانوا يقومون بمظاهرات طالبين التسليم للجيش العربي ، وهذا ما دعاهم لملاحقة امر الهدنة . يؤيدهم في ذلك أصدقاؤهم الامـيركيون . وظلوا في سعيهم سائرين الى ان تكلل سعيهم بالنجاح . وتقررت الهدنة . وكانت هذه اكبر مصيبة ألمت بالعرب في تلك الفترة من الزمن .

هنا يجدر بنا ان نقف قليلا لنستمع الى ما يقوله الزعيم عبد الله التل ، قائد الكتيبة السادسة التي كانت تحارب في وسط المدينـــة . فقد قال هذا ، بعد ان وقف القتال واستقال من عمله ، ما يلي [٣] .

« في ٧ حزيران ١٩٤٨ عثرت على وثائق ومعلومات سرية كشفت لي الستار عن الخطة التي رسمها غلوب باشا للجيش الاردني والتي تقضي بالا يحتل هذا الجيش القدس، والا يشتبك مع اليهود في حرب حقيقية ، واعترف التل بان الجيش الاردني دخـل فلسطين دون ان يكون مزوداً بخطة عسكرية موضوعة ، وانه كان بامكان الجيش العربي لو اخلص قادته النية ، ان يحتل القدس كلها ، وان الجيوش العربية لم تكن متفقة على خطة معينة ولو كانت متفقة لاستطاع الجيشان المصري والعربي ان يلتقيا عنـد ابواب تل ابيب . »

وقال هذا القائد ، في حديث آخر [٤] انه ـ والنار مستعرة في بيت المقدس ـ اقترح أن يرسل اليه اللواء العراقي الذي كان مرابطاً في قطاع السامرة على سبيل الاحتياط كي

---

(١) انه الكولونيل ماركس وهو اميركي يهودي كان يقود معارك القدس ولما مات « ٧ حزيران ١٩٤٨ » خلفه في القيادة الكولونيل موشه دايان .

(٢) هذا ما اعترف بة رئيس حكومة اسرائيل دافيد بن غوريون في خطبة القاها بعد ذلك التاريخ

(٣) مجلة آخر ساعة . العدد ٧٩٧ التاريخ ١-٢-١٩٥٠

(٤) اقرأ رسالته المنشورة في العدد ٢٣٢١٧ من جريدة الاهرام بتاريخ ٢٠ ايار ١٩٥٠

يعملا معاً من اجل الاستيلاء على القدس كلها ، وان العراق قبلت هـذا الاقتراح ، الا انها اشترطت توحيد القوتين العراقية والاردنية ، وان يعهد اليها هي بالقيادة لتطمئن على مصير جنودها ، وان الحكومة الاردنية وافقت ، الا انها ارجأت تنفيذ الخطة ريثما يعود غلوب باشا ، رئيس اركان حرب الجيش الاردني ، من لندن. ولما عاد هذا رفض الفكرة . ولم تجرؤ الحكومة الاردنية على ارغامه .

قبل الهدنة الاولى

عندما اتصل بالمناضلين ان هناك مفاوضات من اجل عقد هدنة بين العرب واليهود تمنوا ان لو يساعـدهم الجيش العربي الذي كان يرابط في قطاع اللد والرملة ، فيمدهم بالعتاد وبعدد من المدرعات ، ويحمي ظهورهم بمدافعه ، على ان يزحفوا هم ببنادقهم فيستردون العباسية وكفر عانة والسافرية وصرفند وما الى ذلك من القرى الواقعة غرب السكة الحديدية والتي كان لا بد من استردادها لحماية اللد والرملة . وتقدموا الى قائـد القطعات العربية التي كانت هناك ، وكان هذا انكليزياً ، باقتراحهم هذا . وكان ذلك قبل اعلان الهدنة بيوم واحد (٩ حزيران) ، وبعد ان وافق القائد على تلك الخطة عاد فعدل ، وانبأ المناضلين انه يؤثر ارجاء المسألة الى اليوم الثاني . واقترح القائد في الوقت نفسه ، مهاجمة مستعمرة جيزر الكائنة جنوبي الرملة. فهاجم المناضلون المستعمرة واحتلوها واسروا ٣٦ من رجال حاميتها . ثم عادوا ، فاخلوها بأمر من القائد نفسه .

وفي ساعة مبكرة (الساعة الثالثة) من صباح اليوم الثاني (١٠ حزيران) تقـدم المناضلون فاحتلوا العباسية وتوغلوا في قرى كفرعانة والسافرية ، وكادوا يحتلونها. لولا ان صدر الأمر بوقف القتال . فوقفوا . وكانوا قد خسروا في تلك المعركة ١٨ شهيداً و ٦٣ جريحاً .

مجلس الامن يقر هدنة مدتها اربعة اسابيع

في ٢٩ أيار سنة ١٩٤٨ أقر مجلس الأمن اقتراح بريطانيا القائل بان يوقف العرب واليهود القتال في فلسطين ، وان يقبلوا هدنة مدتها أربعة اسابيع ، يعمل خلالها وسيط هيئة الامم ، الكونت فولك برنادوت، على التوفيق بينهم. ولقد ابلغ المجلس قراره هذا الى الفريقين طالباً منهما ان يعطيا قرارهما قبل مساء اليوم الأول من شهر حزيران . وتلقى الوسيط ، في اليوم التالي ، برقية من المستر تريجفي لي يخبره فيها بما جاء في ذلك القرار .

ومما جاء في ذلك القرار قول مجلس الأمن أنه لا يجوز لأي فريق من الفريقين ان يُدخل ، خلال فترة الهدنة ، رجالا مقاتلين الى فلسطين ومصر والعراق ولبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية والاردن واليمن. واذا دخل هذه البلاد رجال في سن الجندية ، فعلى الفريقين ان يتعهدا بعدم تجنيدهم أو استخدامهم في شؤون القتال ، وعليهما ان لا يستوردا أو يصدرا اسلحة أو آلات للقتال ، وان يصونا مدينة القدس ، وان يضمنا سلامة الوصول الى المعابد والأماكن المقدسة بقصد العبادة .

وفي القرار امر للوسيط الدولي كي يراقب ، بالاشتراك مع لجنة الهدنة ، الفريقين ، ويرى انهما قاما بتنفيذ هذه الشروط ، وان يكون على اتصال دائم مع الفريقين من اجل الوصول الى هذه الغاية . وعليه ان يرفع لمجلس الأمن تقريراً في كل اسبوع يصف فيه الوضع في فلسطين .

وطلب المجلس من الفريقين ، العرب واليهود ، ان يعلموه عما اذا كانوا يقبلون امره هذا أو يرفضونه قبل الساعة السادسة من بعد ظهر اليوم الأول من شهر حزيران١٩٤٨ . حتى اذا مارفضه أى الفريقين بحث المجلس في تطبيق العقوبات التي نص عليها الفصل السابع من ميثاق هيئة الامم .

وفيما كانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية مجتمعة في عمان لتقرر ما يجب في

هـذا الصدد قامت الطائرات اليهودية بضرب عمـان . وكان ذلك في وقت مبكر من صباح اليوم الأول من شهر حزيران . فقذفتها باربع عشرة قذيفة . سقط معظمها على مقربة من قصر رغدان ومن المطار. وقتل من جرائها سبعة اشخاص ، وجرح عشرون. ولم يشك أحد في ان اليهود ، كانوا يهدفون ، من وراء تلك الغـارة ، الى التأثير على الرأى العام الاردني ، ومليكه الذي كان يرأس اجتماع اللجنة ، وعلى المجتمعين . وكانت تلك الغارة أول غارة يقوم بها اليهود من الجو على عمان .

وراح العرب أيضاً يقاتلون اليهود حيثما وجدوهم . وسقطت قنابلهم في احد عشر موضعاً من المواضع اليهوية في القدس . وكان زمام المبادرة في المدينة بايديهم .

وفي ٢ حزيران ١٩٤٨ أبلغ الفريقـان مجلس الأمن في ليك سكسس انهم يقبلون اقتراحه ، وانهم على استعداد لاصدار الأمر بوقف القتـال . وقبل العرب قرار مجلس الأمن فقرروا الهدنة في الاجتماعين اللذين عقدوهما في عمان بتاريخ ١ حزيران وفي عالية في اليوم التالي . ولكن كلا الفريقين اشترط شروطاً لا يقبلها الاخر . فاشترط اليهود ان لا يتسلم العرب ، خلال فترة الهدنة ايـة اسلحة من أيـة دولة اجنبية ، وان يسمح لهم بتزويد مدينة القدس بالماء والمؤونوبهجرة يهودية غير محدودة... واشترط العرب وقف الهجرة اليهودية ، والغاء التقسيم .

ولكن ... كم كان استغراب الوسيط شديداً عندمـا تلقى برقية المسيو تريجفي لي بتاريخ ٣ حزيران ١٩٤٨ وقد جاء فيها (١) أن الفريقـين قبلا اقتراح الهدنه وقررا وقف القتال **دون قيد أو شرط** . وجاء في تلك البرقيـة أن مجلس الأمن خول الوسيط تعيين الوقت الذي يراه مناسباً لوقف القتـال بعـد أن يستشير الفريقـين وأعضاء لجنة الهدنة .

---

١) مذكرات برنادوت . ص ٤٧

المخابرات التي سبقت اعلان الهدنة الاولى

في ٧ حزيران سلم الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، الدول العربية مذكرة قال فيها انه « عين الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ١١ حزيران ١٩٤٨ موعدا لبدء الهدنة ، وان على الفريقين ان يمتنعا عن اطلاق النار وعن القيام باية حركة عسكرية اعتباراً من تلك الساعة والى مدة أربعة اسابيع »

وذكر الوسيط في مذكرته هذه الشروط التي قرر فرضها على الطرفين ، والتي اعتبرها حلا وسطاً لشروطهما . وطلب من الفريقين ان يعلماه ، فيما اذا كانا يقبلان الوقت الذي حدده لوقف القتال ، أو يرفضانه . مشترطاً ان يصله الرد قبل ظهر الاربعاء الموافق ٩ حزيران . مهدداً برفع الأمر الى مجلس الأمن في حالة الرفض .

ان قبول الهدنة يعني ، كما قال الوسيط في مذكرته وكما نص عليه القرار الذي اتخذه مجلس الأمن في ٢٩ أيار ، وقف اعمال العداء دون ان يؤثر وقفها في حقوق كلا الجانبين ، العرب واليهود ، وفي وضعهما ومطالبهما في المستقبل . وقال انه يعلم ان هناك شروطاً لكلا الفريقين من اجل الهدنة ، وان هناك تناقضا في ارائهما في بعض الشؤون، فان المهم في الأمر « ان لا يحرز اي من الفريقين أي غنم خلال فترة الهدنة » وانه ، توصلا لهذه الغاية ، يؤكد ما قاله لكلا الفريقين من أنه « لا يجوز ادخال الأشخاص المنتمين الى منظمات عسكرية ، ولا اولئك الذين يحملون سلاحا ، الى أية دولة من الدول العربية أو الى اي جزء من فلسطين » وانه سيتولى مراقبة المهاجرين الذين يفدون الى البلاد ، خلال فترة الهدنة ليتأكد من انه لن يكون بينهم رجال في سن الجندية ، وانه سيحول دون دخول امثال هؤلاء الرجال ، فان دخولهم « غنم » يؤثر ولا شك على دفة القتال ، واذا دخل فريق منهم البلاد ، فانه « سيحتفظ بهم في معتقلات يديرها المراقبون الذين وضعتهم هيئة الامم تحت سيطرته » بحيث لا يتمكنون من الانخراط في صفوف القوات المسلحة ، ولا يتدربون على شؤون القتال .

ويمنع انتقال الجيوش ومعدات القتال ، خلال فترة الهدنة ، من بلاد الى اخرى من البلاد التي يعنيها الأمر والمتاخمة الى فلسطين ، والى جبهات القتال في فلسطين . وتبقى خطوط القتال في جميع الجبهات ثابتة كما كانت عند بدء الهدنة « فلا يزداد عدد المقاتلين ، لا ، ولا معدات القتال . ولا يجوز ادخال الاسلحة ومعدات القتال الى اي جزء من

الأراضي الواقعة تحت سيطرة اي فريق من الفريقين .

واما السكان المقيمون في المناطق البلدية والذين ذاقوا الشدائد بسبب القتال، كما هي الحال في القدس ويافا ، فانه يجوز اغاثتهم بالمؤن بواسطة لجان الصليب الأحمر الدولي، بحيث « لا يزيد ما يتبقى منها عند انتهاء الهدنة على ما كان لديهم عند بدئها ؛ ولا يقل ... »

وتمنع جميع الأعمال والحركات الحربية خلال فترة الهدنة: في البر والبحر والهواء...

معركة بين عشيرة الصبيح و كيشت

منذ المعركة التي قامت في ٣/١/١٩٤٨ لم يحدث أي حادث يستحق الذكر بين عشيرة الصبيح ومستعمرة كيشت ، وان كان تبادل النار لم ينقطع بين الفريقين . وظل الحال على هذا المنوال حتى قبل اعلان الهدنة الاولى بثلاثة أيام . فقام اليهود في اليوم الثامن من شهر حزيران ١٩٤٨ بمهاجمة مضارب العشيرة بقوة لا يقل عددها عن ستمئة مقاتل ، تحميهم مدافع المورتر. جاءوا من الناحية الشمالية الغربية . وتمكنوا من الوصول الى منزل الشيخ علي النمر ، وهو من مشايخ الصبيح المعروفين وقائد المجاهدين من ابناء تلك العشيرة . فقامت بين الفريقين معركة حامية ، جرح فيها الشيخ علي واستشهد أربعة من رجال عشيرته ، ونسف اليهود بيت الشيخ، وقتلوا شقيقته وطفلا كان الى جانبيهما، ورأى الناس بعد انتهاء المعركة هذا الطفل مشطوراً الى شطرين ، فقد شطره اليهود ببلطة حادة .

قام اليهود بهذا الهجوم المفاجىء عندما كان المناضلون منشغلين في مواضع اخرى . ولم يكن هناك في مضارب العشيرة سوى ثلاثين مقاتلا . وما كان في مقدور الثلاثين ان يصدوا ثلاثمئة ، دع عنك ستمئة . ولم يك بد من التراجع . فتراجع المناضلون غرباً . وتقدم اليهود حتى (عين ماهل) . وهناك التقى الجمعان : اليهود من الناحية الواحدة . والمناضلون من أبناء عشيرة الصبيح والناصرة وكفركنا وعين ماهل من الناحية الاخرى. ووصل في تلك اللحظة توفيق الابراهيم المكنى باني ابراهيم ، ومساعده محمد العورتاني .

جاءا مع عدد من رجال الجهاد المقدس، ارسلتهم الهيئة العربية العليا . وكان مع المجاهدين العرب مدفع مورتر واحد من عيار بوصتين . ولكن عتاده كان قليلا .

وشطر المناضلون انقسم شطرين : شطر تولى مهمة الهجوم واخر قام بحركة التفاف حول العدو وتقدم الشطران وكانا يهللان ويكبران . ورغم ان اليهود كانوا اكثر عدداً وعدة فان الرعب قد تسرب الى افئدتهم ، فلم يصمدوا في مراكزهم اكثر من نصف ساعة ثم انسحبوا تحميهم المدافع الرشاشة التي كانت تطلق نيرانها من منازل الصبيح ومدافع المورتر التي نصبوها في المستعمرة . وبعد مضي سبعين دقيقة كان اليهود قد جلوا عن اراضي عين ما هل . وفي منازل الصبيح اشتبك الفريقان بالسلاح الأبيض من عمارة الى اخرى ومن دار الى دار . وما كاد الليل يجن حتى كان لواء النصر معقوداً الى العرب .

وقد تمكنوا من استعادة الاراضي والمنازل التي احتلها اليهود ، وخسر اليهود ثمانية وعشرين قتيلا . وظلت كلمة العرب هي العليا في ذلك القطاع الى ان انسحب جيش الانقاذ وسقطت الناصرة بيد اليهود .

اعظم قصف مدفعي شهدته المدينة

وشهدت الأحياء اليهودية ، في ٨ حزيران ، أعظم وأسوأ قصف مدفعي منذ نشوب القتال . وقال الكاتب اليهودي Harry Levin في الصفحة ٢٣٧ من كتابه Jerusalem Embattled ان قذف اليوم قد القى بآمال اليهود ومعنوياتهم الى الحضيض ، فراحوا يصرخون ، اوقفوا القتال .

وقال ان العرب كانوا يقصفون من مدافعهم الثقيلة عشر قذائف لقاء كل قنبلة كانت تقذف بها مدافع المورتر اليهودية الخفيفة . وقال أنه سقطت في الحي الذي يعيش فيه خمس قذائف ، واما عدد القذائف التي سقطت في قلب المدينة وفي بحر ساعتين فخمسون . ودام القصف ليلا . وكان تأثيره شديداً .

وفي ٩ حزيران تلقى الوسيط رد الدول العربية[١] بامضاء النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية وقد جاء فيه ما يلي :

« سيدي الكونت ،

« تسلمت مذكرتك المؤرخة في ٧ حزيران ١٩٤٨ والمتضمنة المقترحات الاخيرة لتنفيذ قرار مجلس الأمن في ٢٩ أيار ١٩٤٨ بشأن وقف اطلاق النار في فلسطين لمدة اربعة اسابيع .

« ولي الشرف أن اخبرك بأسم حكومات مصر والسعودية ولبنان وسوريا ، باننا نوافق على تلك المقترحات لنبرهن على رغبتنا الصادقة في التعاون مع هيئة الامم لوضع حل سلمي عادل لقضية فلسطين . والحكومات التي امثلها توافق على المقترح القائل بأن تبدأ الهدنة من يوم الجمعة ١١ حزيران ١٩٤٨ من الساعة السادسة صباحاً .

«واني أرغب في أن أعرب لكم عن ثقة الحكومات العربية التامة في عزمكم على تنفيذ قرار مجلس الأمن بعدالة .

« وختاماً أقبلوا فائق الاحترام . »

وفي الساعة الثامنة من بعد ظهر ذلك اليوم تلقى الكونت رد اسرائيل أيضاً بالموافقة . فشعر الكونت[٢] اثر ذلك ، بالغبطة والسرور . وضرب الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافق ١١ حزيران موعداً لوقف القتال .

---

١) كتب الرد باللغتين الانكليزية والفرنسية . وقد سلمه الى الكونت برنادوت ضابط مصري ارسله عبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الدول العربية .

٢) هكذا قال في مذكراته التي نشرت بعد وفاته .

وقام العرب ، في ١٠ حزيران ، بقصف مدفعي على الأحياء اليهودية في القدس ، وعلى مواضع القتال اليهودية في الجبهات الاخرى ، مستعملين ؛ لأول مرة ، مدافع من عيار مئة رطل وقيل اذ هذا القصف كان أشد من أية مرة سبقت . وأراد المناضلون يومئذ ، بالاشتراك مع فريق من رجال الجيش العربي ، ان يحتلوا النوتردام . الا ان القيادة منعتهم . ومع ذلك فان التراشق بالرصاص والقنابل والألغام لم ينقطع تلك الليلة من الجانبين . فقتل من اليهود خلق كثير . والم بهم يأس شديد[1] . وأما العرب فلم يقتل منهم يومئذ سوى أربعة : اثنان من رجال الجيش العربي ، ومقدسيان ، وطالبة من طالبات دار الايتام . وتعرضت دور القنصليات الأجنبية أيضاً لقذائف المدافع الطائشة : لا فرق في ذلك بين انكليزية وافرنسية واميركية وتركية ويوغسلافية . حتى الدار التي كانت تقيم فيها لجنة الهدنة فقد اصيبت بعدد من القذائف . ودام القصف ليلا .

هذا في قطاع القدس .

واما في القطاعات الاخرى فقد أراد اليهود ان يبرهنوا على أنهم قادرون على المضي في القتال فقاموا ببعض الهجمات على الجيش العراقي في قطاعي جنين ورأس العين، وعلى الجيش العربي في قطاع اللطرون ، وعلى الجيش المصري في جنوب فلسطين . ولكنهم صدوا في جميع هذه القطاعات . واحرزت القوات السورية التقدم في مناطقها واحتلت بعض القرى .

---

١) قال الكاتب اليهودي Harry Levin في الصفحة ٢٤٣ من كتابه Jerusalem Embattled ما يلي :

«اننا اليوم في ١٠ حزيران. والقدس ما برحت في خطر شديد ، رغم طريق بورما الجديدة . فليس لدى الجنود طعام الا قليل من الخبز ... وليس ثمة وقود ، لا في المنازل ولا في الافران . عدد الرجال قليلون . انهم ينقصون ولا يزيدون . والموجودون منهم القادرون على القتال في تنقل مستمر : تارة هنا وطوراً هناك. في الطرق والخنادق ، والجبهات . تارة في الشمال وطوراً في الجنوب . يكادون يموتون من الجوع والتعب . اسلحتهم ناقصة . وعتادهم قليل ... وليس باستطاعتنا ان نأتي بالسلاح او الذخيرة او المؤن . ذلك لاننا محصورون . حتى طريق بورما الجديدة، فانا لا نستطيع ان نستعملها كما نشاء. ذلك لانها لا تصلح للاستعمال. ولن تصلح الا اذا عبدت واصلحت اصلاحاً تاماً . وهذا يحتاج الى وقت ورجال . وها هي الاحياء الغربية تكاد تتمزق من شدة القصف .

اذاً لا بد من الهدنة . انها رحمة. والا قتلنا العرب جوعاً ».

الهدنة الاولى

في ١٠ حزيران ١٩٤٨ أعلن رسمياً ان الفريقين ، العرب واليهود ، قبلا اقتراح مجلس الأمن بوقف القتال ، وان القتال سيقف في الساعة العاشرة من صباح اليوم التالي .

وفي ١١ حزيران أصدرت قيادة الجيش العربي في عمان وقيادات الجيوش العربية الاخرى اوامرها بوقف القتال . فوقف . وأعلن رسمياً ان هدنة مدتها أربعة أسابيع ، قد بدأت . وان الوسيط سيسعى خلال هذه المدة لايجاد حل لقضية فلسطين .

فاستاء العرب لهذا القرار . وأما اليهود فقد تنفسوا الصعداء . وراحوا يرقصون في الشوارع طرباً . وراح بعضهم يقبل بعضا . واذاعت صحفهم نبأ هذه البشرى باحرف بارزة . ولم يكن فرح القادة ، قادة جيش اسرائيل ، بأقل من فرح الشعب . إذ كانت الحرب عليهم أشد مما كانوا يتوقعون[١] . ولا سيما في القدس ، حيث كان الجيش العربي يمطر الأحياء اليهودية بوابل من قنابله . وقتل منهم ما ينوف عن ٤٠٠ شخص . هذا بالاضافة إلى من مات منهم جوعاً وعطشاً ، وإلى ما تهدم من منازلهم ، وما انحط من معنوياتهم .

وقد لا يخلو من فائدة أن ندون فيما يلي البيان[٢] الذي القاه زعيم الارغون (مناحيم بيغن) وقد جاء فيه :

« ما ان أعلنت الدولة اليهودية حتى دخلت الجيوش العربية إلى فلسطين . أما جيش اسرائيل فلم يكن لديه سوى ٨٠٠٠ مقاتل . وقد أحس حكام تل ابيب بالخطر ، ووجه بن غوريون نداء إلى العالم ، يطلب فيه مساعدة الدول الصديقة . وتواردت الأنباء من جميع المدن والمستعمرات اليهودية ان الشعب اليهودي اصابه الخوف ، وخصوصاً اهل القدس الذين شهدوا فشل القوات اليهودية في فتح طريق باب الواد

1)«Seve Fallen Pillars » by Jon Kimche P(i 245

٢) جريدة (الحياة) البيروتية بتاريخ ٢٨ / ١٢ / ٤٨ وكتاب (غبرة فلسطين) لموسى العلمي ١٩٤٩، طبع بيروت ، الصفحه ٢٨ .

وتموينهم ، وكان الجيش العربي قد دخل القدس وبدأ يقصف احياءنا بمدافعه الثقيلة . فجعل الشعب اليهودي يقوم بالمظاهرات الصاخبة ، داعياً إلى إنهاء الحرب بأي ثمن . وعندها طلب إليَّ بن غوريون ان اذهبَ إلى القدس ، واتولى حفظ النظام فيها والدفاع عنها . وصلتُ إلى المدينـــة والشعب اليهودي فيهـــا ثائر يطالب بالخلاص . فأعلنتُ الأحكام العرفية ومنع التجول . واخذتُ الشبان ووضعتُهم في الخطوط الأمامية للدفاع عنها . ولكن لا سلاح ولا عتاد ولا غذاء ولا ماء إلا قنابل الأعداء . وكانت الدوائر الصهيونية تعمل لارسال رسول سلام إلى فلسطين ، وعقد هدنة مؤقتة ، تتلاشى معهـــا الفضيحة الكبرى . ووردت الأنباء بان رسول السلام في طريقـــه إلى فلسطين . وتمت الهدنة، فجئنا إلى يهود القدس بالطعام وبعض الماء وكانت الهدنة في صالحنا ، فاستعددنا وجلبنا الأسلحة والعتاد والمتطوعين والمحاربين من الخارج ... »

ولا نعرف حتى الآن كيف ولماذا قبلت الدول العربية الهدنة ، وقد كان الوضع ، بوجه عامة في صالحها . وساد الاعتقاد يومئذ ان الدولة التي ارادت الهدنة وعملت لهـــا اكثر من غيرها هي المملكة الاردنية . وثبت بعد حين أن الحكومة المصرية أيضاً كانت تواقة لعقد الهدنة نزولا على رغبة قادة الجيش المصري .

ولقد قرأت في الصفحة ٢٠١ من التقرير الذي وصفته (لجنـــة التحقيق النيابية في قضية فلسطين) .. ذلك التقرير الذي رفعته إلى مجلس النواب العراقي بتاريـــخ ٤ أيلول ١٩٤٩ .. ان الفريق الركن نور الدين محمود فاه ببيان أمام اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية جاء فيه « انه لم تكن هناك أسباب عسكرية ملحة تلجىء الحكومات العربية إلى التماس الهدنة ، أو قبولها . »

وجاء في التقرير نفسه أيضاً ما يلي : « المفهوم ان الدول العربيـــة تعرضت لضغط سياسي شديد من الدول الكبرى بقصد حملها على قبول الهدنة . »

وادعت الوزارة العراقية انه لا علم لها بالعوامل السياسية التي حذت بالحكومـــات العربية لقبول الهدنة ، وأنه ليس لديها ما تقوله بشأن الكيفية التي تم بها هذا الضغط .

وقال رياض الصلح رئيس وزراء لبنان في كتابه الذي أرسله إلى مزاحم الباججي رئيس وزراء العراق بتاريخ ١٤ آب ١٩٤٨ : « ان ممثلي شرق الاردن بلغونا قبل قرار

مجلس الأمن وعند الاجتماع في عالية ان شرق الاردن لا يمكنه ان يرفض قرار هـذا المجلس حتى ولو رفضته جميع الدول العربية . »

وقال أيضاً : « ان القيادة العراقية أعلنت عندئذ ان الجيش العراقي في حالة انسحاب الجيش الاردني ينسحب هو أيضاً من الميدان دون ريبة . » وهذا ما وقع .

وقال عبد الرحمن عزام ، الأمين العام لجامعة الدول العربية ، بعد ان رفع استقالتـه إلى مجلس الجامعة في ١٠ أيلول ١٩٥٢ وقُبلت ، انه لم يوافق على الهدنة الاولى بعد ما ثبت له من المعارك الاولى ان العرب يستطيعون قهر اليهود لو اخلصوا النيات . ولمـا اعلنت الهدنة الاولى ضد رأيه كتب استقالته من الجامعة في اليوم نفسه . ولكنه عـاد فاستردها نزولا على رغبة النقراشي رئيس وزراء مصر في ذلك الحين .

حدثني فارس بك الخوري ممثل سوريا في هيئة الامم – وكان عند فرض الهدنة الاولى عضواً في مجلس الامن ، انه العضو الوحيـد الذي خالف قرار الهدنـة ، وان القرار اعطي بأكثرية سبعة أصوات ، وليس بصحيح ما قيل عنه من انه نصح حكومته بقبول الهدنة ، والحقيقة هي انه لا هو ولا احد آخر من زملائه ممثلي الدول العربية في هيئة الامم نصح بقبول الهدنة ، وكل ما قالوه لحكوماتهم ، عندمـا استشيروا في الامر ، ان قبول الهدنة ورفضها متوقف على الوضع العسكري في فلسطين. فاذا كانت الجيوش العربية قادرة على القتال ، فلترفض الهدنة ، وإلا ، فلتقبلها ...

اليهود يخرقون الهدنة

خرق اليهود الهدنة ولما ينقض على اعلانها اكثر من ثلاث ساعات[١] . فبعث الأمين العام لجامعة الدول العربية ، عزام باشا ، إلى الوسيط الدولي كتاباً جاء فيه « ان هـذه الدول مضطرة بكل أسف ان تعتبر الهدنـة لاغية ، بسبب خرق اليهود لهـا وقيامهم باعمال تنافيها . »

ولكن هذه الدول لم تنفذ تهديدها . بل سكتت على مضض . وراح اليهود يستوردون

---

١) مذكرات برنادوت . ص ٨٢

السلاح ، ويحشدون المقاتلين من كل صوب . وما كانت ساعة من ساعات الليل او النهار تمر دون ان يسمع فيها ازيز الرصاص يلعلع في ناحية من انحاء القدس[٢] .

بلى وربك ؛ فقد خرق اليهود الهدنة من نواح عديدة ، منها واهمها :

(١) تموين الجزء اليهودي من القدس بمقادير من المؤن اكثر بكثير من المقادير التي اقرتها لجنة الهدنة .

(٢) ادخال المقاتلين .

(٣) تزويدهم بالسلاح والعتاد .

وهذا ما جعل كفتهم ترجع عند ما استؤنف القتال .

طريق بورما

اتم اليهود ، في فترة الهدنة ، فتح الطريق الجديدة التي اسموها (طريق بورما) . أتموها في ١٢ حزيران ١٩٤٨ . وقد شرعوا في فتحها عندما تسلم الجيش العربي قطاع اللطرون ، (١٨ أيار) وراح يسيطر على ذلك القطاع وعلى طريق باب الواد . واليك ما فعله اليهود يومئذ :

فقد بدأوا يفكرون في الاستعاضة عن طريق باب الواد في ١٨ أيار إذ انتدبوا يومئذ ثلاثة من مشاتهم ليجوسوا خلال الديار ، ويبحثوا عن طريق يمكن الاستعاضة بها عن باب الواد من اجل وصل القدس وجبالها بالسهل . على ان تكون الطريق الجديدة متاخمة قدر المستطاع لساحة القتال في اللطرون . فسار المشاة الثلاثة ليلا . ووصلوا خلدة عند مطلع الفجر . فابرقوا إلى قيادتهم يقولون انهم وفقوا في مهمتهم ، ووجدوا ضالتهم . ورجعوا إلى القدس ورجع معهم ثلاثون مقاتلا من رجال البالماخ .

وأرسل في اليوم التالي ، ١٩ أيار ، ثلاث سيارات من طراز جيب لارتياد الطريق نفسها . وكان مع القافلة ، المرة هذه ، عدد من البغال . فشقوا طريقاً ، وان شئت فقل ،

---

٢) مذكرات برنادوت . ص ١٤١

وسعوا الطريق الرجلية القديمة . مستخدمين من اجل ذلك مئتين وأربعين شاباً وشابة من المهاجرين الذين جاءوا حديثاً من معتقلات قبرص . وضاعفوا جهودهم في سبيل انشاء هذه الطريق في ١ حزيران ١٩٤٨ بعد أن احتلوا بيت جبزوبيت سوسين . وراح المهندسون بعدئذ يبحثون عن توسيعها وتعبيدها . وكانت في كل مرة تصبح أحسن من المرة التي سبقتها . واستعملها اليهود لاغراضهم الحربية رغم انها عبارة عن اتربة وصخور ووعور ومنعطفات خطرة ومنحدرات وعرة ، انها مليئة بالاخطار ، لا تتسع لسيارتين في وقت واحد . إذا ما التقتا لا بد للواحدة منها أن تنتحي جانباً من الطريق حتى تمر الاخرى .

وقصارى القول : انها طريق عسكرية ووعرة للغاية . تبدأ عند خلدا وتنتهي عند التلال الواقعة إلى الجنوب من باب الواد . أنشأها رجال الهاغانا سراً ، وكانوا يشتغلون بها ليلا . وقد استخدموا لانشائها كل ما لديهم من فطنة ودهاء لئلا يكتشف العرب أمرهم . فقد حظروا على العمال أن يتكلموا أثناء العمل ، أو ان يستعملوا الضوء من أي نوع كان . وما كان لهم ان يستعملوا أية آلة من الات الحفر ، ونقر الصخور ، خشية ان يراهم ويسمع صوتهم العرب . وكل ما كان بأيديهم لتكسير الحجارة ازاميل اعتيادية للنحت ومطارق مصنوعة من الخشب . وكانوا يصبون على الأرض مقادير كبيرة من الزيت لئلا يثور الغبار ، فيلفت الانظار .

انهم فعلوا ذلك أثناء الهدنة . ولم يقف المراقبون الدوليون في وجوههم، ولم ينهوهم عن عملهم . فقد ذكر الكاتب اليهودي (ارثور كوستلر) في كتابه (وعد ووفاء) ص ٢٣٨ أنه رافق المستر الكيس Alexis من مراقبي هيئة الامم في رحلة قام بها هذا ليرى الاعمال التي كانت قائمة هناك ، فذهبا بادىء ذي بدء ، إلى خلدا . وهناك تركا سيارة هيئة الامم ، وامتطيا سيارة عسكرية وضعها تحت تصرفهما البريغادير رابنيوفيتش قائد الجيش اليهودي الذي كان يحارب في ذلك القطاع ومساعده الماجور بتروولف اللندني من ضباط الجيش البريطاني . ذلك لان الطريق لم تكن قد تمت ، وكان السفر عليها في سيارات هيئة الامم خطراً .

ورأى جنود الجيش العربي الذي كان مرابطاً في التلال القريبة من ذلك المكان ، الكاتب وصحبه وهم يقطعونها . ولكنهم ـ على ما يقول الكاتب ـ لم يطلقوا عليهم النار بسبب الهدنة.

كذلك كانت طريق بورما عندما استؤنف القتال . وكان بالامكان استعمالها رغم انها لم تكن مرصوفة . ولقد تم رصفها في ١٠ آب أي بعد اعلان الهدنة الثانية .

وما كان اليهود لينجحوا في شق هذه الطريق التي أفادتهم كثيراً لو كان الجيشان الاردني والمصري على اتصال . فقد كانا رغم المسافة القصيرة التي بينهما ، منفصلين : الاردني يرابط على التلال الواقعة بين اللطرون ودير ايوب . والمصري في القطاع الواقع إلى الجنوب من وادي الصرار [١] .

تزويد يهود القدس بالمؤن

كانت المهمة الرئيسية في نظر اليهود ان يمونوا القدس في فترة الهدنة ، تموينا يضمن لهم الثبات والنصر ، فيما إذا استؤنف القتال مرة اخرى .

وعبثا حاول الوسيط ان يقنعهم انه لا يجوز لهم ان يزيدوا مؤنهم بحيث تكون المقادير المتبقية لديهم عند انتهاء الهدنة اكثر مما كان لديهم منها عند بدئها . . وكان هذا هو رأي لجنة الهدنة القنصلية التي عينها مجلس الامن . وقد قدرت هذه المؤن التي تحتاج اليها القدس ، خلال فترة الهدنة، بثمانية الاف وخمساية طن ، معتبرة ان الشخص الواحد من السكان يحتاج إلى ٣١٠٠ وحدة حروية Calories في اليوم الواحد .

ولكن اليهود لم يعبأوا بما قيل لهم . وراحوا يستوردون المؤن تحت سمع المراقبين الدوليين وبصرهم . ولاجل الوصول إلى غايتهم اتموا انشاء (طريق بورما) . التي ذكرناها في الفصل المتقدم

فدخل القدس ، خلال فترة الهدنة ، زهاء ثمانية آلاف سيارة محملة مؤناً ، هذا بالاضافة إلى عشرة آلاف رزمة أرسلت ليهود القدس هدايا من مختلف انحاء العالم .

وتمكن اليهود ، في غضون الهدنة من تموين مستعمراتهم الاخرى في سائر الجبهات .

---

١) قال (ش . غذيت) وهو كاتب عسكري يهودي اشترك في معارك باب الواد ، ان اليهود ما كانوا ينجحوا في انشاء هذا الممر المعروف بطريق بورما لو كان هناك اتصال بين الجيش العربي والجيش المصري في تلك البقعة من قطاع باب الواد . ولو اتصل الجيشان هناك لما تمكن اليهود من شق هذا الممر ، ولظلت القدس معزوله عن الساحل عزلا تاماً .

تزويد يهود القدس بالماء

وطلب الوسيط من الحكومات العربية ان تزود اليهود القدس بالماء . ولما رفضت هذه طلبه احتج عليها احتجاجاً شديداً ، قائلا ان هذه مسألة انسانية لا يجوز للعرب ان يتعنتوا في صددها . هذا رغم انه لم يكن مفروضاً في شروط الهدنة تزويد اليهود بالماء الذي حرموا منه قبل الهدنة .

ولم يترك الوسيط ، من أجل حل هذه المشكلة ، بابا الا وطرقه .

وكان أول من تحدث اليه في هذا الموضوع (٢ تموز) البريغادير لاش قائد الفرقة الاولى للجيش العربي . فاقتنع هذا برأي الوسيط ، ووعده بتقديم كل ما في امكانه من تسهيلات لحل هذه المشكلة[١] .

وتحدث الوسيط إلى توفيق باشا ابي الهدى رئيس الوزارة الاردنية في الموضوع نفسه، فوافقه هذا في رأيه ، ووعد ببحثه مع الملك . وقال الكونت في مذكراته[٢] انه استطاع ان يستنتج من حديثه مع الوزراء يومئذ ان الاردن ميال للتساهل في الموضوع[٣] .

ولقد برّ هؤلاء بوعودهم . اذكنا نرى ، في فترة من الزمن سيارات الجيش العربي تنقل الماء عبر حي الشيخ جراح العربي إلى المباني اليهودية القائمة على جبل الزيتون . وان كنا لا نستطيع ان نجزم فيما اذا كان رجال الجيش (غاوب ولاش) فعلوا ذلك من تلقاء انفسهم ، أو انهم حصلوا على اذن المليك .

موقف اليهود والمصريين من الهدنة

وقصارى القول فعل اليهود ، خلال فترة الهدنة ، كل ما في وسعهم ، ليس فقط لتقوية خطوط القتال في مناطقهم ، بل وللتسلل عبر المناطق التي كانت بيد العرب ، واحتلال المواقع الاستراتيجية المسيطرة على ما حولها ليقفزوا منها ، يوم تنتهي الهدنة ، إلى الامام .

---

١) مذكرات برنادوت ، ص ١٤٢

٢) مذكرات برندوت ١٤٦ .

٣) بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن نسف محطة المياه في اللطرون بتاريخ ١١ اب ١٩٤٨

وكانت هذه النية ظاهرة في اعمالهم في الجبهتين الاردنية والمصرية . فقد ذكرنا في السطور المتقدمة ما فعلوه في قطاع القدس. ونود ان نذكر هنا ما فعلوه في الجبهة المصرية. حيث احتلوا ، في اليوم الاول للهدنــة ، قرى عبــدس ؛ وبيت داراس ، وجسير ، وجولس . هذا في الشمال . واما في الجنوب فقد احتلوا عصلوج الكائنة على الطريــق من بئر السبع والعوجا وخضير . وراحوا يحصنون هذهالقرى لئلا يكر المصريون عليها، فيحتلوها عندما تنتهي الهدنة .

ويقول جمال عبد الناصر في مذكراته التي نشرها بعد وقف القتال « ان هم القــادة المصريين كان يومئــذ منصرفاً إلى اعداد التقارير الضافية عمــا جرى من يوم بدأت المعركة إلىان فرضت الهدنة،ووصف حماس الجنود الذين كانوا كلما اقتحموا مستعمرة(؟) يهتفون بحياة قائــدهم الاعلى صاحب الجلالة الملك فاروق . وهو مــا لم يحدث بالقطع ... »[1]

محاولات الوسيط للتوفيق بين الفريقين

في ١٦ حزيران عقد في القاهرة اجتماع حضره الوسيط الدولي ، الكونت برنادوت ، ورئيس الوزارة المصريــة محمود فهمي النقراشي باشا ، ورئيسا وزراء الاردن ولبنان ، والامين العام للجامعة العربية . فأكد الحاضرون للوسيط انهم لا ولن يقبلوا اي حــل ينطوي على الاعتراف بتقسيم فلسطين ، وقيام دولة لليهود فيها . وطالبوه بايجاد حــل يضمن للفريقين ان يعيشا بأمن وسلام فى دولة فلسطينيــة موحــدة ، وعــلى اسس ديموقراطية ثابتة .

فقال الوسيط ، ان حلا كهذا وان كان يبدو قريباً إلى العقل والمنطق ، إلا انه غــير قابل للتنفيذ : اولا لانه يخالف القرار الذي اصدرته هيئــة الامم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ والذي يقضي بالتقسيم . ثانيا : لان اليهود انفسهم لن يقبلوه ، وهم قد اعلنوا دولتهم ، وقالوا انهم لن يقبلوا عنها بديلا .

---

١) اقرأ العدد ١٠٤٦ من مجلة (اخر ساعة) بتاريخ ١٠ / ٣ / ١٩٥٥

الباخرة (الطالينا) والاسلحة التي هربها اليهود في فترة الهدنة

لم يقم الوسيط الدولي ، خلال فترة الهدنة ، بأي اجراء جدي لمنع اليهود من تهريب السلاح الى البلاد . فقد قام هؤلاء باستيراد الاسلحة في وضح النهـــار تارة وتهريباً في طي الخفاء اخرى . واليك الحادث التالي الذي اتوا بالسلاح فيه على مرأى ومسمع منه ومن مساعديه المراقبين الدوليين : ـــ

ففي اليوم العشرين مـــن شهر حزيران سنة ١٩٤٨ رست على شاطىء البحر في (كفار فيتكين) إلى الشمال من ناتانيا باخرة تدعى (الطالينا) حمولتها اربعة آلاف طن يقودها (مونرو فاين) ، وكانت هذه الباخرة محملة اسلحة وذخائر ابتاعتها جماعة من المنظمة الارهابية المعروفة بـ (ارغون تسفاي ليومي) . وابتاعوها باموال حصلوا عليها من أثرياء اليهود في الولايات المتحدة . فاستقبلها على الشاطىء رئيس هـــذه المنظمة الارهابي المعروف مناحيم بيغن ، وجاء على الباخرة نفسها بيتر برغسون رئيس اللجنـــة التحرير القومي العبري الذي تولى شحن تلك الاسلحة ، وكان في الباخرة تسعمئةمتطوع من اليهود الاميركيين جاءوا ليقاتلوا في سبيل اسرائيل يقودهم الياهو لانكن من قيادة الارغون . واما الاسلحة التي حملتها الباخرة فكانت عبارة عن خمسة آلاف بندقيةواربع ملايين طلقة انكليزية من عيار ٣٠٣ وثلاثمئة مدفع من المدافع الرشاشة مـــن طراز برن ومئة وخمسون مدفعاً من طراز هوشكس وخمس دبابات مدرعة وعدد من السيارات وآلاف من القنابل المضادة للطائرات ومقادير اخرى من الآلات المعدة للقتال .

وتظاهر بن غوريون رئيس حكومة اسرائيل المؤقتة انه غير راض عن هذا العمل ، ذلك لان ادخال الاسلحة والمواد الحربية إلى البلاد والهدنة قائمة محظور بموجب اتفاقية الهدنة ، ذلك الاتفاق الذي تم على يد الوسيط الدولي الكونت برنادوت ، وكذلك قل عن ادخال المقاتلين : ـــ فانذر بيغن طالباً منه أن يوقف التفريغ وأن يسلم الاسلحة التي افرغها إلى الحكومة وان يبقى المهاجرون في السفينة ، فاجابه بيغن بقوله : انا لم اقبل انذاراً كهذا من البريطانيين ، فكيف اقبله منك !!

وقيل ان الفريقين ، الارغون والهاغنا ، راحا يتبادلان النار !! وكان قد وصل إلى ذلك المكان عدد من المراقبين الدوليين فعاد رجال الارغون وفي طليعتهم بيغن الى الباخرة وكانت هذه تحمل على صاريها علم اسرائيل .

وفي اليوم الثاني (٢١ حزيران) وبعد ان كان الظلام ارخى سدوله (!) ابتعدت الباخرة عن الشاطىء وفي صباح اليوم الثالث (٢٢ حزيران) كان مركب صغير يؤم شطر الشاطىء حاملا بعض الرشاشات وصناديق الذخيرة فأفرغ شحنته على مرأى من رجال الهاغنا ، ولم يحرك هؤلاء ساكنا ... ولا اطلقوا عليه النار ، ولما جاء المركب الثاني ، وكان ساعتئذ قد وصل كبير المراقبين ، أصدر بن غوريون امره باطلاق النار على المركب ولا يعلم أحد فيما إذا كان أحد من الفريقين قد اصيب وان قال قائل ان عدد القتلى والجرحى بلغ يومئذ المئة .وسرى خبر هذا الاشتباك (؟) الى الجهة ، فراح المحاربون من رجال الارغون يفرون مولين وجوههم شطر البحر وقامت بين الفريقين معركة كان رجال الهاغنا يرمون من ورائها الى التخلص من منافسيهم رجال الارغون ، ليس الا ، وكانوا يخشون أن يستعمل هؤلاء الاسلحة ، التي اتوا بها ، فيضعوا ايديهم على الحكم .

واصطادوا في الوقت نفسه ، عصفوراً آخر ، فأفهموا المراقبين الدوليين الذين هرعوا الى مكان الحادث انهم (أي رجال حكومة اسرائيل المؤقتة) متمسكون (!!) الشروط الهدنة .

ولم يكن المراقبون الدوليون اقل اخلاصاً (؟) لواجبهم حيال الهدنة من رجال بن غوريون ، فقال قائل منهم وهو يرقب ما جرى من شرفة الفندق المسمى (كيتي دان) انه لا يستطيع أن يفعل شيئاً (؟) او ليس في الاوامر التي وجهها مجلس الأمن الى المراقبين الدوليين ما يخولهم حق التدخل في (حرب اهلية) كهذه !!! [١] واما بيغن فيقول ان رجال الارغون حالوا دون وصول المراقبين الى الباخرة . لا ، ولا سمحوا لهم برؤية ما انزل من الأسلحة .

«١» اقرأ ما كتبه كنيث بيلي في كتابه « نجم جديد في الشرق الاوسط : ١١٩ – ١٢٥ .

وبعد أن كان رجال الارغون قد انتهوا من مهمتهم وانزلوا ما في السفينة من سلاح ورجال امر بن غوريون باطلاق نار المدافع عليها ، فاطلقت وفي اقل من ساعة كانت النيران قد التهمتها ويقول بيغن أن الاسلحة التي تم انزالها من الباخرة قبل حرقها هي الفان من البنادق الحديثة ومئتان وخمسون مدفع برن وزهاء مليون طلقة فقط .

وذكر شاريت وزير خارجية اسرائيل ، في مؤتمر صحفي عقده في صبيحة اليـوم التالي ، انه لا صلح بعد اليوم مع الأرغون !!! وقد حضر المؤتمر نفسه رئيس الاركان الكولونيل ييغال يادين : وكتب المراقبون الدوليون الى مجلس الامن في ليك سكسس يقولون : ـ

« ان العسكريين المسؤولين من اليهود مخلصون (!) في اعمالهم وانهـم قائمون بالتزاماتهم وتعهداتهم من حيث الهدنة ! ... وان الذين ادخلوا السلاح والعتاد والفتيان والفتيات في سن القتال ـ خلافاً لشروط الهدنة ـ هم رجال الارغون ! ... وليسوا برجال الهاغنا المسؤولين !! »

ولم يمض على هذه التمثيلية سوى يوم أو بعض يوم حتى عادت الميـاه الى مجاريها ، فعاد الوزيران اللذان كانا قد استقالا من الوزارة الى عملها وهما الحاخام يهودا فيشمان المسؤول عن الشؤون الدينية (وقد سمي نفسه بعدئذ ميمون) وموشه شابيرو المسؤول عن شؤون الهجرة . واطلق سراح الموقوفين الذين قاموا بتهريب الاسلحة وكلهم من رجال الارغون ، منهم برغسون الذي ذكرناه في السطور المتقدمة ومونرو فاين ربان الباخرة وهو يهودي من شيكاغو . والاهم من هذا كله ان الاسلحة التي حملتها الباخرة وهي آلاف من البنادق والقنابل اليدوية والاسلحة الاوتوماتيكية وصناديق الذخيرة كانت قد استقرت في مخازن الاسلحة ، وقد استعملت ضد العرب فور استئناف القتال .

ومما يدلنا على أن الصدام الذي جرى بين الهاغنا والارغون في هذا الحادث كان مصطنعاً قول بيغن زعيم الارغون « ان بن غوريون وحكومته كانوا على علم سابق بامر الباخرة وانه كان قبل وصول الباخرة قـد بحث مع اسرائيل غاليلي مساعد وزير الدفاع مسألة تقسيم السلاح الذي كانت تحمله بين افراد الجيش النظامي ورجـال الارغون ، وان النزاع نشأ من جراء اصرار الجيش على ان تكون جميـع الاسلحة

والذخائر في حوزته هو وحده . »[١] وفي موضع آخر من كتابه [٢] قال بيغن ان جماعة الارغون كانوا ينوون أن ترسو الباخرة على شاطىء تل أبيب ، ولكنهم عادوا فقرروا ان ترسو في (كفار فتكين) نزولا على رغبة وزارة الامن لئلا يراها المراقبون .

ليس هذا فحسب ، فقد اكد المراقبون الدوليون ان اليهود شرعوا في تهريب الاسلحة من اليوم الذي بدأت فيه الهدنة .

فقد قال الكونت برنادوت في مذكراته ما يلي : ـ في مساء اليوم الذي بدأت فيه الهدنة جاءني الكولونيل بوند ، الخبير العسكري الذي كان يرافقني وقص علي من انباء استعدادات اليهود العسكرية ما اكد لي مخاوفي السابقة ، وما جعلني أعتقد ان استئناف القتال سينتهي حتما بهزيمة العرب » .

وقال كنث بيلي الذي عالج مسألة الاسلحة التي هربها اليهود اكثر من غيره من الكتّاب أن حكومة اسرائيل تولت بنفسها تهريب الاسلحة إلى اسرائيل عن طريق تشيكوسلوفاكيا ، وانها ثابرت على عملها هذا طيلة مدة الهدنة ، ولما طلب الكولونيل بوند Tord Bonde مساعد الكونت برنادوت من الحكومة ان تسمح له بتفتيش الاسلحة التي تم انزالها في (كفار فيتكين) بطرق غير مشروعة رفضت هذه طلبه [٣] .

ولما ذكر الكونت برنادوت حادث الباخرة (الطالينا) في مذكراته قال [٤] : ـ
« ان نبأ وصول هذه الباخرة الى شواطىء اسرائيل لم يكن بالنبأ المفاجىء للمراقبين الدوليين اذ اننا كنا على علم سابق بها ، وكان ذلك عندما اخبرنا قبل اسبوع انها غادرت ثغرلوبوك Le Bouc الافرنسي على مقربة من مارسيليا ، ولما القت مراسيها على مقربة من تل ابيب ، هرع المراقبون الى الشاطىء ولكن رجال الارغون الذين كانوا قد سبقوهم الى المكان حالوا دون اقترابهم . »

---

١) اقرأ الصفحة ١٢٤ من الكتاب نفسه (نجم جديد في الشرق الاوسط) وكذلك الصفحة ١٧٢ من كتاب The Revolt لمناحيم بيغن

٢) ص ١٥٨

٣) ص ١١٤

٤) ص ١١٥

الى ان قال : ـ « ان الذي قام بذلك العمل واتى بتلك الباخرة تحمل السلاح هم أفراد من عصابتي الارغون وشترن ، وأن الادون شريت وزير خارجية اسرائيل اكد له ان حكومته قد استاءت لعمل هاتين العصابتين مع ان شريت هـذا كان قبل ذلك ببضعة أيام قد اكد لي ان عصابتي الارغون وشترن قد حلتا ، وان أفرادهما قد انضموا إلى الهاغانا، جيش اسرائيل النظامي » .

وفي موضع آخر من مذكراته قال الوسيط : ـ « ان السلاح والعتاد والرجال الذين أتت بهم منظمة الارغون بين الهدنة الأولى والثانية على ظهر الباخرة الطالينا ، قلب التوازن العسكري بين العرب واليهود ، في جميع ميادين القتال ، ولا سيما في مدينة القدس » .

هذا ما عرفناه من مختلف المصادر ، عن حادث الباخرة (الطالينا) ومن شاء المزيد عليه أن يقرأ الكتاب الذى وضعه بكل هذا الحادث (مناحيم بيغن) [1] وهو قائـد منظمة الارغون الذي اعترف انه تكلم مع الرجال المسؤولين عن الحكم في حكومة بن غوريون عن هذه الباخرة والاسلحة التي تحملها قبل وصولها ، وانهم وافقوا على كل شيء واشاروا بضرورة وصول الباخرة إلى الشاطىء وتفريغ اسلحتها باقصى ما يمكن من السرعة ، وان الفريقين (الهاغانا والارغون) اتفقـا في أي مكان يجب ان ترسو الباخرة ، وكيف تفرغ شحنتها ، وكيف توزع ، وقال انه تم الاتفاق يومئذ على ارسال خمس الاسلحة إلى القدس ، وتوزيع الباقي على الكتائب المؤلفة من هاغانا وارغون في الجهات الاخرى .

وقال : ان تلك الاسلحة افادت اليهود في معارك اللد والرملة ، وهي التي قررت مصير هذين البلدين ، وان الطلقات التي حملتها أفادت ، ليس البرنات التي حملتها بل والتي كانت لديهم من قبل ولكن لم يستعملوها لنفاذ عتادها ؛ وان المحاربين الذين اقلتهم (٩٠٠) اشتركوا في جميع المعارك في البلاد بعدئذ : من ترشيحا الى العقبة ، وان السلاح الذي حملته الباخرة (الطالينا) انقذ يهود القدس من الفناء ، فقد كانت هذه (اي القدس) قبل ذلك ، منفصلة عن الجهات الاخرى ، ولم تكن سيطرة اليهود قد امتدت اليها . وكان الزعامة الرسمية (الصهيونية) ، بقبولها قرار التقسيم ، قد رضيت بتدويلها ، وكانت

---

١) الصفحات ١٥٤ ـ ١٦٥ من كتابه The Revolt

القدس تئن تحت الحصار والضرب وتصرخ طالبة السلاح ، ولا سيما بعد النكبة التي اصابت الهاغانا من الصميم في (النبي دانيال)[1] والتي انتصر فيها العرب ، واستولوا على مقادير كبيرة من اسلحة اليهود .

الآن وقد انتهينا من ذكر حادث الباخرة الطالينا نود ان نلخص وضع اليهود من حيث السلاح بما يلي : —

كان سلاح اليهود لا في القدس وحدها ، بل وفي جميع ميادين القتال ، من حيث الكم والكيف ، يدعو للهزء والسخرية [2] وما كان لديهم طائرات للقتال ، حتى ولا للنقل ، اما الآن وقد قبلت الهدنة وتبدل الوضع فقد استحضروا من السلاح مقادير كبيرة ، معظمه من تشيكوسلوفاكيا ، وراحت الطائرات تطير بانتظام بين براغ وعاقر تحمل السلاح من جميع الانواع : بنادق ومدافع واعتدة ودبابات واتوا من الولايات المتحدة[3] بالقلاع الطائرة ومن انكلترة بالطائرات المقاتلة من نوع Beaufort ومن سائر انحاء اوروبا بالصواريخ والقنابل الثقيلة والرشاشات الالمانية من طراز برن ، والمدافع القوسية (مورتر) من عيار ست بوصات ، والمدافع الاعتيادية من عيار ٧٥ ميليمتراً ، ومدافع الهاون من عيار ثلاث بوصات وسبعة اعشار البوصة ، ولم يشاءوا الانتظار حتى يتم صنع بعض الاسلحة التي اتوا بها من اوروبا ، فقد اتوا بها ناقصة ، وهنا اتموا نواقصها مستخدمين عدداً غير قليل من الخبراء المتخصصين في فن الطيران اغروهم بالمال .

---

١) يعني معركة كفار عصيون والدهيشة

٢) قال بن غوريون لاعضاء الكنيست في جلسة عقدت يوم الثلاثاء الموافق ٢ آب ١٩٤٩ انه لم يكن لدى اليهود في شهر أيار ١٩٤٨ نوع واحد من انواع الاسلحة التي اصبحت لديهم في غضون الهدنة والتي رآها الجمهور بعدئذ في يوم الجيش ، وقال « ارثور كوستلر » في كتابه « وعد ووفاء » ص ٢٤٢ نقلا عن « غرشون اغرونسكي » محرر جريدة «بالستاين بوست» انه لم يكن لدى اليهود عند بدء القتال ، سوى اربعة مدافع مورتر من عيار بوصتين ، وكان رجال الهاغانا ينقلون هذه المدافع من مكان الى مكان يوهموا العرب أن مدافعهم كثيرة .

٣) قال البريجادير كلايتون المندوب البريطاني للجامعة الى محسن البرازي وزير خارجية سورية عندما التقيا في فندق شبرد بالقاهرة في ٢٩ حزيران ١٩٤٨ ان ثلاث طائرات غادرت اميركا تحمل السلاح الى يهود لسطين ، وقد وقعت احداها في البحر « العدد ٢٠٧٤ جريدة الحياة البيروتية بتاريخ ١٠ شباط ١٩٥٣ »

وقصارى القول ان الهدنة الاولى ماكادت تنتهي حتى كان لدى اليهود على ما قاله الكاتب اليهودي المعروف John Kimche في الصفحة ٢٥٠ من كتابه .Leven F. R جيش لا بأس به ، وكانت لهم قوة للطيران وان كانت صغيرة الا انها لا بأس بها ، وكانوا على استعداد للقتال .

ولقد قاموا اثناء الهدنة الاولى ، باعمال من شانها أن تحسن موقفهم العسكري منها : ــ انهم قاموا بهجمات متكررة على كافة القطاعات للحصول على معلومات عن القطاعات العربية : مواضعها ومناعتها ، وكانت طائراتهم تقوم باستطلاعات مستمرة فوق هذه المواضع للغرض نفسه ، وتمكنوا في تصوير معظم هذه المواضع ، ومعرفة تفاصيلها بدقة .

وقاموا بتطهير جيوب المقاومة الكائنة ضمن مناطقهم ، فتمكنوا من طرد سكان بعض القرى العربية من منازلهم ، وبهذا امنوا سلامة مواصلاتهم ، ومن القرى التي احتلوها ودمروها بعد ان طردوا سكانها : جبع ، اكرم ، عين غزال ، فقد هاجموا هذه القرى في ١٦ حزيران ١٩٤٨ (اي اثناء الهدنة) واستمروا يقاتلون اهلها الى ان تغلبوا عليهم .

قال الكاتب السياسي لجريدة (التايمس) اللندية ، في العدد ٢٧٣و٥١ الصادربتاريخ ٧ يناير ١٩٤٩ ان وزارة الخارجية البريطانية كشفت الستار عن الاسلحة التي تمكنت اسرائيل من استيرادها بواسطة الحكومة التشيكوسلوفاكية رغم القرار الذي اصدره مجلس الامن في ١ ايار ١٩٤٨ والذي حظر فيه على الدول الاعضاء في هيئة الامم تصدير الاسلحة في الوقت الذي امتنعت فيه بريطانيا عن توريد اي نوع من الاسلحة الى الدول العربية رغم وجود اتفاقيات سابقة بينها وبين تلك الدول تقضي بتزويدها باسلحة بريطانية ، فبعد ان لم يكن لاسرائيل ، عند اعلان الهدنة الاولى في ١١ حزيران ١٩٤٨ اكثر من اربع طائرات مقاتلة اصبح لديها ، بعد انتهاء الهدنة وعندما استؤنف القتال ، اربعون طائرة من هذا الطراز ، وكذلك قل عن الطائرات الخفيفة فقد ارتفع عددها من ٤ الى ١٢ وطائرات النقل من ٣ الى ٢٢ وطائرات الجو الاعتيادية من ٤٠ الى ١١٤ وان معظم هذه الطائرات من طراز مسرشميدت . وبعد ان لم يكن لديها اية

طائرة من قاذفات القنابل الثقيلة ، اصبحت تملك عشر طائرات من هذا الطراز ، بعضها ذو اربع محركات ، وكذلك قل عن المدافع والرشاشات والقنابل المحرقة والمتفجرات والاعتدة وادوات التعمير المختلفة والاسلحة الخفيفة الاوتوماتيكية ، فقد اصدرت تشيكوسلوفاكيا مقادير كبيرة منها الى اسرائيل ، رغم انها ـ أي تشيكوسلوفاكيا ـ عضو في هيئة الامم ، وقد وقعت على قرار الحظر الذي اصدرته تلك الهيئة .

ووضعت تشيكوسلوفاكيا تحت تصرف اسرائيل وعملائها مطاراً جوياً اسمه (زاتيك) (Zatec) كانت الطائرات الاسرائيلية ترسو فيه ، وتطير منه الى اسرائيل وكانت تلك الطائرات تعرج في طريقها الى تل ابيب على مطارات يوغوسلافيا لتتزود بالوقود وبعد أن تحلق فوق شاطىء البانيا واليونان والشاطىء الجنوبي لجزيرة كريت تصل الى هدفها المنشود .

وتؤكد المراجع التي استقينا منها هذه الاخبار ان بعض تلك الاسلحة وان كان مصدره شركات خصوصية الا ان معظمه من مصانع حكومية .

وارسلت اسرائيل الى تشيكوسلوفاكيا والى مدن اوربية اخرى عدداً من ابنائها ليتدربوا على استعمال الاسلحة وقيادة الطائرات ، وتطوع لهذا العمل عدد آخر من يهود تشيكوسلوفاكيا وبولونيا وعدد من المسيحيين المقيمين في هذين القطرين استأجرتهم اسرائيل برواتب مغرية ، وكان بين هؤلاء المستأجرين عدد من الموظفين الفنيين ارسلتهم شركة (سكودا) الى اسرائيل ليساعدوها في تعمير طائراتها المدنية ونقلها الى طائرات حربية .

موقف العرب واليهود من الهدنة

وقصارى القول ان الهدنة الاولى ، التي بسطت جناحها على البلاد في ١١ حزيران ١٩٤٨ ، كانت وبالا على العرب ونعمة من نعم الله على اليهود ، اذ توفرت لدى هؤلاء خلال فترة الهدنة ادوات القتال على جميع انواعها ، وازداد عدد رجالهم ، ومرنوا جندهم على الرماية ، وانقلبوا من طور الدفاع الى طور الهجوم .

والاهم من هذا كله انهم (اي اليهود) وحدوا صفوفهم ، واستنجدوا باخوانهم في الولايات المتحدة ، فأتتهم منهم اعانات مالية لا حد لها .

وانقلبت الآية ، بوجه عام ؛ فبعد ان كان اليهود ، قبل اعلان الهدنة ، هم الخائفين وقد نزح عن مدينة القدس منهم خلق كثير ، ناف عددهم عن الاربعين الفاً ، وبذلك هبط عددهم من مئة الف إلى ستين الفاً ؛ أصبح العرب ، بعد اعلانها ، هم الخائفين ، فرحل معظم العرب ، سكان القدس القديمة ، عن مدينتهم ؛ حتى انه لم يبق منهم فيها خلال الاسابيع الاولى للهدنة ، سوى عدد لا يزيد على الخمسة آلاف ، بعد أن كان عددهم خمسة وستين الفاً ، فريق منهم ، وهم الخلايلة ، رحلوا إلى منازلهم الاصلية في الخليل ، وفريق رحل الى شرق الاردن ، والباقون تبعثروا في المدن الفلسطينية الباقية بيد العرب كنابلس وأريحا ورام الله وغزة والخليل ، ولم يبق في المدينة سوى الشيوخ والعجزة والفقراء غير القادرين على الرحيل ... وأصبحت القدس خلال الهدنة في حالة رهيبة : مخازنها مغلقة ، ومعظم منازلها متهدمة ، وشوارعها مهجورة ، ووسائل النقل عزيزة ، والاجور غالية . ذلك لان البنزين مفقود ، وكذلك قل عن سائر انواع الوقود ، وبلغت اجرة السيارة من القدس إلى اريحا عشرين جنيها ، ومنها الى عمان ثلاثين واربعين جنيهاً .

ومما يجدر ذكره أن الرحيل جرى من بابين من ابواب المدينة أحدهما باب الاسباط وقد مر منه النازحون إلى اريحا وشرقي الاردن ، والثاني باب الساهرة ، وقد مر منه النازحون إلى رام الله ونابلس ، واما ابواب المدينة القديمة الاخرى : (باب العمود ، وباب الخليل ، والباب الجديد ، وباب المغاربة ، وباب النبي داود) فانها كانت قد سُدت سداً محكماً لاغراض حربية ، والانكى من هذا ان غلوب باشا أمر بجمع السلاح من المجاهدين بحجة وجود هدنة وخوفه من خرق المجاهدين لها ، وتعهد بارجاع اسلحتهم اليهم عندما تنتهي الهدنة ولكنه لم يرجعها ، وعبثاً حاول المناضلون أن يحصلوا على الاسلحة من هنا [1] وهناك ، فان النجاح في هذا المضمار ، كان عسيراً ، لعدم توفر

---

١) حدثني أحد قادة الجهاد انه سافر ، في غضون الهدنة ، الى الشام . وقابل طه باشا الهاشمي طالباً اليه تزويد المجاهدين بالسلاح والعتاد ، مؤكداً له ولصحبه اعضاء اللجنة العسكرية انهم اذا لم يعطوا ما يطلبون فسيصبحون عاجزين عن الدفاع فلم يعطه هذا سوى الف مشط افرنسي وثمانمئة الماني ومئة قنبلة ملز .

الاسلحة في البلاد العربية .

ولم يقم الجيش العربي خلال فترة الهدنة بأي ترتيب جدي يدل على انـه ينوي استئناف القتال ، او انه يتأهب لصد العدوان ، وما كان يبدو أنه آبه بالاستعداد الذي كان يجري في المعسكر اليهودي ، وكل ما رآه المقدسيون يومئذ أن الجيش العربي ولم يزد عدده عن أربعة آلاف مقاتل في جميع فلسطين ، أنشأ بعض الطرق الجديدة في بعض القرى ، واتى بعدد من البدو المسلحين ونصب على سطح القلعة بباب الخليل ، مدفعاً ليضرب به الاحياء اليهودية المقابلة له نصبه هناك بعد ان فك اجزاءه في خارج السور ، ونقلها على ظهر الجنود ، واما الاسلحة الاخرى فلم يستحضر منها الا النذر اليسير [١] ذلك لان زمامه كان بيد غلوب باشا الانكليزي ، ولأن هذا كان يعتقد ان هيئة الامم كانت تريد استمرار الهدنة ، ولا تريد استئناف القتال. [٢]

وكذلك قل عن الجيوش الحليفة الاخرى : فان الجيش المصري وان كان عدده قد ازداد خلال الهدنة الاولى ، فأصبح ١٨,٠٠٠ غير انه لم يتزود من الاسلحة الجديدة الا بعدد من المدافع البريطانية من عيار ٢٥ رطلا ، وآخر من مدافع المورتر من عيـار اربع بوصات ونصف البوصة ، وبعدد من الطائرات المعروفة بنافثات اللهب ، وابتاع مقادير كبيرة من الاسلحة الاخرى تبين بعد حين انها معطوبة واتهم عدد كبير مـن رجالات مصر بسببها ، كما سنذكر ذلك في حينه .

---

١) جاء في الصفحة ٢٥٠ من كتاب Leven Fallen Pillars لمؤلفه Jon Kimche ان الجيش العربي اتى خلال الهدنة الاولى بذخائر بريطانية جديدة وأن هذه الذخائر اتت في باخرتين بريطانيتين جاءتا عن طريق السويس والعقبة .

٢) جاء في رسالة تنقيتها من غلوب باشا ، رئيس اركان الجيش العربي الاردني بتاريخ ١٩٥٥/٢/١٥ رقم ق أ/٠/٤٠/١/٦١٠ ما يلي :

« ما كنا نفكر أثناء الهدنة الاولى انه سيعاد القتال في آخرها ، وكان قرار الحكومات العربية بعـدم تجديد الهدنة واستئناف القتال قراراً مفاجئاً لنا ... »

الى أن قال :

« غير اننا كنا عملنا كل اجتهاد لتقوية اهالي اللد والرملة اثناء فترة الهدنة الاولى ، وارسلنا جيعاً كثيراً من المناضلين والعربان ، وسلحناهم بالاسلحة الممكنة (?) حتى لم يبق لدينا تقريباً ولا بندقية واحدة ..»

ولم تف بريطانيا بتعهدها لمصر ، رغم انها كانت قد تعهدت بتسليح الجيش المصري ولكنها لم تسلحه سوى بمقدار ضئيل ، وامتنعت عن تسليم الباقي بضغط من الولايات المتحدة ، وازداد عدد العراقيين المحاربين في فلسطين، خلال الهدنة الأولى ، من ٥,٠٠٠ الى ١٥,٠٠٠ مقاتل ، وعدد السوريين واللبنانيين الى ٨,٠٠٠ واعيد تنظيم جيش التحرير، وكان عدد رجالة الفين .

ويزعم Gon Kinche الذي اقتبسنا عنه هذه الارقام في الصفحة ٢٥٠ من كتابه S.F.P ان عدد المحاربين في الجيوش العربية السبعة ازداد ، في اثناء الهدنة الاولى ، من ٢٥,٠٠٠ الى ٤٧,٠٠٠ وليس لدينا ارقام رسمية من مصادر عربية تثبت مبلغ هذا القول من الصحة .

ولم يقم زعماء العرب في مختلف اقطارهم بازالة ما بينهم من اختلافات وشكوك لا بل ازادوا خلافا على خلافاتهم السابقة [1] وراح معظم السكان يرحلون عن منازلهم وراح الدروز ينسلون من الحدود السورية واللبنانية لينضموا الى اليهود وينخرطوا في صفوف الهاغانا .

ولقد زاد في الطين بلة موقف البدو الاردنيين من المناضلين ومن المدنيين من سكان بيت المقدس ، اذ راحوا يعملون في البيوت والمنازل العربية بالشيخ جراح ووادي الجوز والاحياء العربية الاخرى يد النهب والسلب ... ولقد نهبوا وسلبوا ودمروا اكثر مما نهب الاعداء وسلبوا ودمروا ، وما كان احد من سكان بيت المقدس يستطيع الاعتراض على ما فعلوه ، اذ كانوا يتهمون سكان فلسطين كلهم لا المقدسيين فقط بالجبن والخيانة ، وما كان بمقدور واحد من رؤسائهم ضباط الجيش النظامي ،

---

١) خذ لك مثلا على ذلك ما كان يجري في جبل الخليل خلال تلك الفترة العصيبة من الزمن ، فقد جمع المصريون عدداً من وجوه الخليل في ١٧ حزيران ١٩٤٨ وافهموه « ان ابراهيم بك حقي عين حاكماً عسكرياً على الخليل وبئر السبع وبيت لحم من قبل القيادة المصرية العامة . » وما كاد يتسلم منصبه ، حتى جاء في ٤ تموز ١٩٤٨ صالح بك المجالي ، وافهم الاهلين انه هو الحاكم العسكري لهذه المنطقة وانه سيتولى الاشراف عليها باسم الحكومة الاردنية ، وكان هناك حاكم يسمونه مصطفى الرفاعي ، وهو الذي كان يديرها منذ غادرها البريطانيون في ١٥ ايار .

وانقسم السكان الى شيع واحزاب ، هذا يؤيد المصريين ، وذاك يناصر الاردنيين ومصلحة البلاد ضاعت بين هؤلاء وهؤلاء ، وقل اهتمام الناس بها ، وكانت نتيجة ذلك ان سقطت (تل الصافي) بيد اليهود ثم اعقبها بيت جرين وغيرها من القرى ، وسنذكر ذلك في حينه .

أن يردعهم عن غيهم ؛ إذ كانوا يعتقدون انهم جاؤوا لينقذوا البلاد ؛ ومن كانت هذه مهمته ، وهي كما ترى مهمة شاقة وشريفة ، فيجوز له ما لا يجوز للآخرين ، هذا بالاضافة إلى ان جلهم ــ ان لم اقل كلهم ــ كانوا من الجهل على جانب عظيم ، حتى أن بعضهم كانوا يظنون ــ وبعض الظن اثم ــ ان الشيخ جراح ووادي الجوز وهما من الاحياء العربية الاسلامية المعروفة في القدس ، ليسا سوى أحياء يهودية ، اذاً فلينبوهما ما شاء النهب أن يكون ، كيف لا ؟ ... وفيهما من المنازل الضخمة والرياش الفاخرة ما لا يتيسر الا لليهود شعب الله المختار ! ...

ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه أنه رأى شيخاً من مشايخ العربان الساكنين وراء الاردن في سيارة تحمل بعض المنهوبات التي غنمها من الاحياء العربية ، فيها واحد وعشرون صندوقاً من البضائع والاقمشة ، واربعون صينية من النحاس ، وست عشرة سجادة ، وليتهم كانوا ــ في نهبهم وتدميرهم ــ اكثر لباقة وتعقلا ، وعرفوا كيف يستعملون ما نهبوه فيما يعود عليهم بالخير والنفع ، بل انهم على النقيض من ذلك ، لم يستفيدوا من ذلك سوى بضع دريهمات لا تسمن ولا تغني من جوع فقد كانوا يأخذون الشيء ويبيعونه في السوق بارخص الاثمان ، وما لم يقدروا على اقتلاعه من مكانه كسروه كسراً ، فأخذوا كسرة منه وابقوا الاخرى ، فتصبح كلاهما عادمة الجدوى ، ولئن نسيت فلن انسى انني رأيت في أيدي الباعة وبعض الجهال أوراقاً مقتلعة من كتاب (العقد الفريد) نهبه الناهبون من مكتبة أديب فلسطين الكبير المرحوم اسعاف النشاشيبي ، راح الباعة يستعملون هذه الاوراق من اجل وضع الفواكه والخضار التي يبيعونها لزبائنهم ، ونهبت مكتبته كما نهبت اكثر المكاتب المقدسية ، وراح عدد كبير من الكتب العلمية والاسفار التاريخية والمجلدات الضخمة نهباً مقسماً بين البدو واليهود الآثمين[1]

---

١) من المكاتب العملية التي غدت نهباً مقسماً في القدس خلال المعارك الاخيرة (١٩٤٨) مكتبة خليل بيدس ، والدكتور اسحق موسى الحسيني ، واحمد حلمي باشا ، وعبد الرحمن البشناق ، وعمر الصالح البرغوثي ، وعجاج نويهض ، وعادل جبر ، وهنري كتن ، وعبد الله مخلص ـ وخليل السكاكيني ، وغيرهم من رجالات القدس الذين يشار اليهم بالبنان .

وقصارى القول كانت القدس يومئذ في حالة يرثى لها من الخراب والدمار ، فكنت ترى ، اينما حللت وحيثما سرت في أحيائها وشوارعها . الدور متهدمة ، والحيطان متداعية ، والاتربة والحجارة متراكمة ، والجثث تحت الانقاض ؛ الامر الذي جعل من العسير اجتياز الشوارع ، وكان الخراب ظاهراً للعيان في عمارة النوتردام ودير القربان وفي حي الشيخ جراح وحي المصرارة والنبي داود وحي المنونتفيري وشارع مأمن الله وباب الخليل ، وكانت اكثر المنازل في هذه وغيرها من الاحياء خربة ومهجورة ينعق فوقها بوم الشؤم والخراب ،واكثر الدكاكين في الاسواق وفي حارة النصارى وسويقة علون وسوق البازار مغلقة ، والسوق الوحيدة التي كانت مفتوحة هي الممتدة من باب العمود حتى باب خان الزيت وسوق العطارين في داخل السور . فقد كانت هذه مليئة بالخضار والفواكه والخبز والبيض والالبان ، ولم يذق العرب سكان المدينة القديمة ألم الحرمان لا من الزاد ولا من الماء ، الا انهم حرموا من شيء اعز من هذا وذاك ، الا هو الزعيم فقد كانوا يبحثون عنه ولا يجدونه وكنت تسمعهم في كل صقع يتساءلون : اين الزعيم ؟ ...

العرب واليهود يلبون دعوة الوسيط ويسافرون الى رودس

لبى الفريقان ، العرب واليهود ، نداء الوسيط ، فذهبا الى رودس للتفاوض فيما يمكن عمله من اجل احلال السلام وكان بين العرب فلسطينيان هما المحامي هنري كتن والمحامي احمد الشقيري ، وصل هؤلاء في ٢١ حزيران ، وكان مؤلفاً من الدكتور ليئو قوهين Leo Kohn ورويفين شيلواح (Reuven Shiloah) .

وجرت المفاوضات بين الفريقين ، عن طريق الوسيط الدولي ، كل على انفراد ، وفيما كانا يتفاوضان اتت من فلسطين اخبار تقول ان الباخرة الطالينا وصلت الى تل ابيب ، تحمل عدداً كبيراً من المهاجرين بينهم مقاتلون ؛ ثم جاءت اخبار اخرى تقول أن الموقف في جنوب فلسطين قد تحرج بين اليهود والمصريين ، بسبب تموين المستعمرات اليهودية ، فتكهرب الجو ، وفشلت المفاوضات ، الا ان الوسيط ، كان خلال تلك المفاوضات قد جمع لديه من المعلومات والآراء ما حدا به الى صوغ مقترحاته التي قدمها للفريقين في ٢٧ حزيران .

تزويد المستعمرات اليهودية في جنوب فلسطين بالمؤن

وتحرج الموقف ، خلال فترة الهدنة ، بين اليهود والمصريين . وازداد حرجاً في ٢٦ حزيران ١٩٤٨ ، يوم أراد اليهود أن يمونوا مستعمراتهم الكائنة في قطاعي غزة وبئر السبع ، وعارضهم في ذلك المصريون قائلين ان ذلك مخالف لنصوص الهدنة [١] واعترض القائد المصري بالفعل سبيل قافلة يهودية تحمل الطعام في طريقها الى الجنوب ، اعترضها رغم انه كان على رأسها الكولونيل بوند ، من مراقبي هيئة الامم وبعد مخابرات جرت بين بوند هذا والوسيط الدولي في رودس وبين الوسيط [٢] والنقراشي باشا في القاهرة ، وافق النقراشي على طلب الوسيط ، وسمح للقافلة اليهودية بالمرور .

ويقول الوسيط في مذكراته ان اليهود كانوا ينوون شق طريقهم بالسلاح لو لم يسمح لهم المصريون بامرار قافلتهم ، اذ ان مستعمراتهم في الجنوب كانت معرضة للموت جوعاً .

(البالماخ) تحاول استرداد الحي اليهودي

وأراد اليهود ، عند وصول اول شحنة من الاسلحة الجديدة اليهم ، ان يجسوا نبض العرب فراحوا يهاجمون العرب في ٣٠ حزيران وحاولوا اقتحام باب النبي داود واسترداد الحي اليهودي بالبلدة القديمة ، فامطروا حامية ذلك القطاع وابلا من رصاص بنادقهم وقنابل مدافعهم ، وظلوا يمطرونها من الساعة الثامنة مساء حتى الحادية عشرة ، فلم يجبهم رجال الحامية في بادىء الامر ، ودعوهم يقتربون ، ولما أصبحوا قاب قوسين او ادنى منهم قذفوهم بمئة واثنتي عشرة قنبلة من قنابلهم اليدوية من طراز ملز ثم اردفوا بنيران بنادقهم الاوتوماتيكية ، فارتد اليهود على اعقابهم ، تاركين وراءهم خمسة وثمانين قتيلا ، والتقط رجال الجيش العربي رسالة لاسلكية بعث بها رجال البالماخ الذين قاموا بذلك الهجوم الى رؤسائهم في تل ابيب قالوا فيها :

« فشل هجومنا وخسرنا ٨٥ قتيلا »

---

١) كان من رأى المستشار القضائي المصري في الجيش ان الطعام يقوي اليهود ، وان نصوص الهدنة تمنع الفريقين من القيام بأي عمل من شأنه ان يقوى احدهما على الاخر في مدة الهدنة .

٢) جاء في مذكراته التي نشرت بعد وفاته « انه ليس في مرور قافلة الطعام الى الجنوب ما يتعارض مع نصوص الهدنة » .

في ٢٧ حزيران ١٩٤٨ اجتمع الكونت برنادوت بممثلي الفريقين ، العرب واليهود ، كل على انفراد ؛ وبسط لهم مقترحاته الآتي ذكرها ، قائلا انها ليس بالمقترحات النهائية ، وانما هي صالحة في اعتقاده لان تكون أساساً للبحث والمفاوضات التي اقترح اجراءها ، طالباً من كل فريق أن يرسل مندوبيه الى رودس لاستئناف المفاوضات ، قائلا انه سيرفع الامر الى مجلس الامن فيما اذا رفضت .

وفيما يلي خلاصة المقترحات كما نشرت في ٤ تموز ١٩٤٨ ، وقد نشرت في القاهرة وتل أبيب ورودس وليك سكسس في آن واحد . قال : [١]

١ ـ تؤلف فلسطين بحدودها التي نص عليها الانتداب في سنة ١٩٢٢ ، أي فلسطين وشرقي الاردن ، اتحاداً يضم وحدة عربية ، والاخرى يهودية .

٢ ـ تتعين الحدود بين الوحدة العربية والاخرى اليهودية بوساطة الوسيط ، وعلى أساس المقترحات التي يقدمها ، ومتى تم الاتفاق على ذلك ، تألفت لجنة فنية لوضع هذه الحدود .

٣ ـ تكون أغراض الاتحاد ترقية المصالح الاقتصادية بين الفريقين ، والاشتراك في ادارة المصالح المشتركة وبينها الجمارك والمكوس ، والمشاريع العامة ، مع تنسيق السياسة الخارجية والدفاع المشترك .

٤ ـ يشرف على شؤون الاتحاد مجلس مركزي ، وغير ذلك من المجالس الاخرى التي يقررها العرب واليهود .

٦ ـ يجوز لكل وحدة من الوحدتين أن تستقل بشؤون الهجرة الى أراضيها لمدة عامين ، وبعد مرور العامين يحق لكل فريق أن يسأل مجلس الاتحاد للوحدتين ، أن يعيد

---

١) اقرأ الصفحات ١٢٦ – ١٣١ من مذكرات الكونت برنادوت .

النظر في سياسة الهجرة إلى أراضيه بما يتفق مع مصلحة الفريقين وإذا عجز مجلس اتحاد البلدين عن حل الخلاف بصدد الهجرة يجوز لأي فريق أن يرفع ذلك الى هيئة الامم .

٧ ـ يحافظ كل من الفريقين المتحدين على جميع الحقوق الدينية ، وحقوق الاقليات كما نص على ذلك في دستور هيئة الامم .

٨ ـ يحافظ كل فريق على الاماكن المقدسة الواقعة في أراضيه .

٩ ـ الاعتراف بحق كل من اضطر إلى هجرة أراضيه وأملاكه ووطنه في خلال الصراع في فلسطين إلى العودة ، وارجاع أملاكه اليه .

وقال الكونت ، في صدد الفقرة الثانية من مقترحاته التي تشير الى تعيين الحدود ، انه يرى اجراء بعض التغييرات في الحدود التي ورد ذكرها في قرار التقسيم [١] بحيث تشمل هذه ، التعديلات التالية : ـ

١ ـ ضم النقب [٢] كله او بعضه الى العرب .

٢ ـ ضم الجليل الغربي كله او بعضه الى اليهود .

٣ ـ ضم مدينة القدس الى العرب (٣) مع اعطاء اليهود الاستقلال بشؤون البلدية ، ومع ضمان الوصول الى الاماكن المقدسة .

٤ ـ النظر في وضعية يافا .

٥ ـ اقامة منطقة ميناء حر في حيفا ، مع ضم منطقة المصافي الى هذه المنطقة .

٦ ـ اقامة منطقة طيران حرة في اللد .

وما كادت هذه المقترحات تصل الى الفريقين حتى رفضاها رفضاً باتاً ، وراحا

---

١) جاء في مذكرات الكونت برنادوت التي نشرت بعد اغتياله ما يلي :« كان فكري منذ البداية منصباً على ان الحل الذي وضعته هيئة الامم في ٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧ على اساس مشروع التقسيم هو حل غير سعيد ، ولم اشك قط في ان ذلك الحل كان مفروضاً فيه أن يؤدي الى الموقف المؤلم الذي تورطت فيه البلاد .»

٢) جاء في المذكرات المتقدم ذكرها انه (اي الوسيط) اعتبر النقب همزة الوصل بين الاردن وفلسطين وبين مصر .

٣) يعتقد المطلعون على بواطن الامور أن هذا الشرط وحده « اي اعطاء القدس للعرب » هو الذي اثار ثائرة اليهود وجعلهم يفكرون في اغتياله ؛ وقد اغتالوه في ١٧ ايلول ١٩٤٨ كما سنذكر ذلك في حينه .

ينقدان الوسيط نقداً مريراً ، وكان الوسيط ، في الحقيقة ، يتوقع هذا الرفض.(١)

أما العرب فقد رفضوها ، لانها ترمي الى قيام دولة اسرائيل وقد رفضوا ذلك الف مرة ومرة من قبل (٢) .

شرح الامين العام لجامعة الدول العربية الاسباب التي حدت بتلك الدول لرفض مقترحات الكونت برنادوت ، في مذكرة ارسلها اليه ، وانا لنجتزىء منها قوله (٣) : —

« ان الدول الغربية احترمت الهدنة وشروطها ، وأما اليهود فانهم لم يحترموها . فقد ادخلوا خلال الأيام التي انقضت منها المئات من المهاجرين في سن الجندية ، كما ادخلوا مقادير كبيرة من الاسلحة والذخائر والمؤن والمواد الحربية ، واستولوا على عدد من المواقع الاستراتيجية . وموّنوا بعض قواهم المحاصرة ، ومنعوا السكان العرب من المناطق التي يحتلونها عن جمع محصولاتهم ؛ الامر الذي يخالف شروط وقف القتال مخالفةصريحة . »

ومما قاله :

« ان المقترحات الاخيرة ليست الا صورة للقاعدة التي قام عليها مشروع التقسيم ، ذلك المشروع الذي ادى الى النزاع الحالي المسلح ، ولا يؤدي الا الى تحقيق اماني فريق واحد ، هم اليهود الراغبون في انشاءدولة يهودية ، بينما هو يتجاهل اماني العرب اصحاب البلاد الاصليين . »

وقال :

« ان هذه المقترحات تعتبر أراضي مملكة شرق الاردن جزءاً من فلسطين ، الامر

---

١) جاء في مذكراته التي نشرت بعد موته انه لجأ الى الغموض في مقترحاته خصيصاً ليقنع الفريقين المتنازعين بضرورة تمديد اجل الهدنة ، وكان يعلم اليقين انه لو وضع مقترحاته في اسلوب حاسم لاضطر الفريقين ؛ او احدهما في كل حال لرفضها وكان لا مناص ، في هذه الحال ، من استئناف القتال . وقد وقع الذي كان يخشاه .

٢) يقول الكونت في مذكراته انه ما كان في استطاعته الا ان يعترف بقيام الدولة اليهودية ، تلك الدولة التي اقرها مشروع التقسيم ، وقد قامت بالفعل ، واعترف بها خمس عشرة دولة على رأسهاامير كاوروسيا.

٣) هذا موجز اقتبسناه عن اصله المثبت في الصفحة ١٧٥ من كتاب « كارثة فلسطين » لمحمود فهمي درويش السكرتير العام لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد «١٩٤٩م» .

الذي يخالف الواقع ، وترفضه شرق الاردن حكومة وملكاً وشعباً ، اذ انها (اي المملكة الاردنية) دولة مستقلة ذات سيادة ، وهي لا ترضى ان تزج بالمشكلة الفلسطينية كما انها لا تسمح باقامة دولة يهودية في فلسطين ، وتعارض فكرة التقسيم[1] . »

وقصارى القول :

« ان مقترحات الكونت برنادوت جاءت مخيبة لآمال العرب فقد منحت اليهود اكثر مما منحهم مشروع التقسيم ، ولهذا فان اللجنة السياسية تصرح بكل اسف انها لا تستطيع قبولها كأساس مناسب للمحادثة . »

هذا ما قاله العرب ، واما اليهود فقد رفضوا المقترحات لاسباب عديدة ، منها واهمها انها تأخذ القدس منهم ، واليك ما قاله شاريت ، وزير خارجيتهم ، في مذكراته التي بعث بها الى الوسيط بتاريخ ٥ تموز ١٩٤٨ :

١ ــ دهشت حكومة اسرائيل المؤقتة حين لاحظت ان مقترحاتك تكاد تتجاهل قرار الجمعية العامة في ٢٩/١١/٤٧ ، وهو القرار الذي لا يزال قائماً على انه الحكم الدولي القاطع بشأن مستقبل الحكم في فلسطين وتأسف حكومة اسرائيل كذلك لانها تجد انك حين وضعت مقترحاتك ، لم تأخذ بعين الاعتبار الحقائق البارزة في الموقف الحاضر في فلسطين ، اي انك تتجاهل قيام دولة اسرائيل في حدود الاراضي التي خصصت لها في قرار التقسيم ، كما انك تتجاهل التغييرات الاخرى التي وقعت في احتلال الاراضي كنتيجة مباشرة لصدنا الهجوم الذي وقع على دولة اسرائيل من عرب فلسطين ، ومن الدول العربية المجاورة .

٢ ــ وحكومة اسرائيل ترجو أن تذكر هنا ان الشعب اليهودي قبل التسوية التي تضمنها قرار التقسيم برغم ما في ذلك من تضحيات عظيمة ، وبرغم ان ما خصص لاسرائيل من اراضي فلسطين كان اقل مما يتسع لاي تناقص ، وتحيف اكثر . وحكومة اسرائيل مقتنعة الآن بأن الوضعية في الاراضي التي تقع تحت نفوذها ، هي في حاجة الى تعديل ،

---

١) هذه الفقرات اقتبست من بيان رسمي أدلى به رئيس وزراء شرق الاردن في الاجتماع الذي عقدته لهذه الغاية اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية اقرأ الصفحة ١٨٩ من كتاب «كارثة فلسطين» .

وتنقيح بسبب الاخطار التي تكشف عنها غزوة الدول العربية لاسرائيل وبسبب اننا استطعنا ان نصد هذه الغزوة ، وأن نهزم القائمين بها . وبهذه المناسبة تود حكومة اسرائيل ان تلاحظ بأن قرار التقسيم نص على تقسيم فلسطين ، اي الجزء الغربي من الاردن ، بين اليهود ، وبين عرب فلسطين ، واذن فكل محاولة لضم القسم العربي من فلسطين الى أي دولة عربية مجاورة هو خروج على روح قرار التقسيم وعلى حرفيته .

٣ ـ والحكومة الاسرائيلية لن توافق على اي تعد ، او تحيف من سيادة دولة اسرائيل المستقلة ، وعلى أن سياسة اسرائيل هو قيام صلات سلمية ودية بينها وبين جاراتها ، الا أن الترتيبات الدولية التي يتوجب اتباعها في سبيل تنفيذ سياسة اسرائيل لا يمكن أن تفرض على اسرائيل فرضاً ، وانما هي توضع بوساطة التفاوض بين اسرائيل وبين الدول المختصة على أساس ان كل فريق من المتفاوضين هو دولة ذات سيادة ، ومستقلة بشؤونها .

٤ ـ اسرائيل على استعداد لقبول فكرة الاتحاد الاقتصادي الواردة في قرار التقسيم شرط ان تتحقق جميع مواد ، واسس هذه الفكرة ، واقتراحك أنت بشأن الوحدة الاقتصادية لا نص فيه على هذا الشرط والدولة التي تطلب من اسرائيل ان تشترك معها في الوحدة الاقتصادية ، من الناحية السياسية ، ومن الناحية الجغرافية ليست بالدول العربية التي ذكرت في قرار التقسيم ، واذن من الحق أن يترك لاسرائيل وحدها ان تقرر، وبمحض ارادتها ، وبما تملك من سيادة مستقلة لنفسها خطط صلاتها مع جارتها ، او جاراتها في شؤون الاقتصاد .

٥ ـ وحكومة اسرائيل تريد أن تؤكد انها ترفض بشدة اي تدخل في سيادتها بما يتعلق بالهجرة ، ان فكرة اليهود في انشاء دولتهم كانت ، ومنذ البداية قائمة على اساس حرية الهجرة ، والاعتراف بهذا الحق لليهود كان هو حجر الزاوية في اعتراف الدول بدولة اسرائيل ، وليس هناك حكومة اسرائيلية ترضى بأي مهانة في بحث اي تدخل اجنبي في شؤون الهجرة .

٦ ـ ان حكومة اسرائيل قد جرحها أشد الجرح في كرامتها انك اقترحت ما اقترحت بشأن القدس ، واليهود يعتبرون اقتراحك هذا كارثة لهم .

وفكرتك في ضم القدس الى الحكم العربي تسوية سلمية ، انما هي فكرة من يتجاهل تاريخ ، وحقائق هذه القضية ، وحقائق تاريخ اليهود المتعلق بالقدس ومكانة القدس في تاريخ اليهود القديم ، وفي حياتهم الحاضرة واليهود كانوا دائماً اكثرية في القدس ، فلما هاجر العرب اصبحت يهودية بجميع سكانها ، اضف الى هذا ان قرار التقسيم ينص على تدويل القدس لا على تعريبها .

وتريد حكومة اسرائيل ان تعلن لك انه لا الشعب اليهودي ، ولا حكومة اسرائيل ، ولا يهود القدس يقبلون ، بأي حال ، وضع القدس تحت الحكم العربي ، وسوف يقاومون اي فكرة كهذه .

ويؤسف حكومة اسرائيل ان تقول لك أن اقتراحك عن القدس ، وهو اقتراح يشجع العرب في امانيهم ، ويجرح شعور اليهود ، سوف لا يعمل للسلام الذي تنشده وانما هو سيشجع على الاضطرابات .

٧ ـ ولا تجد حكومة اسرائيل حاجة الى ان تلاحظ على بقية ما ورد في مقترحاتك ، ففي هذا الذي ذكر ما يكفي لاقناعك بوجوب مواجهة المشكلة بمقترحات اخرى .

وعندما ذكر الوسيط جواب اليهود هذا في مذكراته قال :

« تلك كانت محتويات الرد اليهودي ، ويعنيني منها القسم المختص بالقدس فانا قدرت ان القدس محاطة بالعرب ، ففضلت ان تكون عربية ، ذلك ان تقسيم المدينة ليس بالحل السعيد كما تشهد بذلك برلين .

اما زعم اليهود عن الحكم العربي ، فالمعروف ان القدس ظلت ٦٠٠ سنة تحت الحكم الاسلامي في عهد الاتراك دون ان تثار قضية خلاف دينية واحدة ، بل ان مفاتيح القيامة هي بيد المسلمين ، والمسيحيون هم الذين اتفقوا على ذلك ، ولا يزال المسلمون هم حراس القيامة ، فلماذا يثور اليهود علي حين اضع ، وانا المسيحي ، مثل هذا الحل ؟

وقد رد الوسيط على شريت بجواب طويل اختص منه القدس بالفقرة التالية قال :

تقع القدس في قلب منطقة لا مناص من اعتبارها عربية في اي تقسيم لفلسطين ، وان فصلها ، بالطرق السياسية او غيرها ، عن الاراضي التي تحيط بها من شأنه ان يحدث مصاعب جسيمة ، ان وضع القدس الخاص ـ سكانها اليهود الكثيرين وصلاتها الدينية ـ

يحتاج الى عناية خاصة ، وقد ترك الباب لبحث هذه المسائل مفتوحاً ، وان المقترحات (التي قدمتها) لا ترمي لايجاد سيطرة عربية على المصالح اليهودية المشروعة على المصالح الاخرى غير العربية ، وفي الوقت الذي اعترف فيه بأن مسألة القدس تهم الطائفة اليهودية بفلسطين لاسباب تاريخية وغيرها . الا انها (اي القدس) ما حسبت ابداً جزءاً من دولة اسرائيل . وان مصير القدس لن يؤثر على كيان دولة اسرائيل لا بل يجب أن يكون وضع القدس منفصلا عن كيان هذه الدولة وحدودها . ومقترحاتي تضمن المصالح التاريخية والدينية المعترف بوجودها في القدس في جميع انحاء العالم . »

مقترحات اخرى للوسيط الدولي

عندما أيقن الوسيط أن الفريقين رفضا مقترحاته الاولى ، تقدم اليهما (في ٥ تموز) باقتراح جديد يقضي بـ:

أ ـ مد أجل الهدنة .

ب ـ تجريد منطقة القدس من السلاح

ج ـ تجريد منطقة مصافي الزيت في حيفا من السلاح [١]

وراح ، في الوقت نفسه ، يبحث مع المراقبين الدوليين عن اضمن الطرق لتموين القدس أن هي جردت من السلاح ، فاتفقوا على تموينها من حيفا وتل أبيب ، على ان يتولى قيادة قطارات السكة الحديدية للمؤن رجال من هيئة الامم .

أما الهدنة ، فقد تردد العرب طويلا في قبول الاقتراح القائل بتمديدها ، وانتهى الاجتماع الذي عقدته اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية في ٦ تموز ١٩٤٨ دون ان تصل الى قرار حاسم .

---

١) هاجم مندوبا روسيا وبولونيا هذا الاقتراح عندما بحثه مجلس الامن قائلين انه من وضع دول الاستعمار وهي بريطانيا وفرنسا والولايات المتحدة ، ولم ينكر الكونت برنادوت هذا القول في دفاعه ، وان قال انه يشارك الدول الثلاث رأيها في صدده بسبب حاجة العالم الى الزيوت .

ولكنهم (اي العرب) عادوا في ٨ تموز فقرروا رفض الاقتراح القائل بتمديد الهدنة رفضاً باتاً ، كما رفضوا طلب الوسيط ان يؤجلوا استئناف القتال مدة ثلاثة ايام بعد انتهاء الهدنة لتمكين الوسيط من سحب المراقبين من الميادين .

وأما اليهود فد اجابوه فى ٧ تموز قائلين انهم على استعداد لتمديد الهدنة مدة ٣٠ يوماً آخرين .وأما تجريد منطقة القدس من السلاح ، فقد رفض اليهود ان يعطوا جواباً قاطعاً في صددها ، وقالوا انهم وان كانوا يميلون من حيث المبدأ الى تجريد القدس من السلاح ، الا انهم ـ لعدم توفر الفرصة الكافية لديهم لدراسة هذه المسألة دراسة وافية ـ يوافقون على اعلان هدنة في القدس حتى ولو استؤنف القتال في الميادين الاخرى .واشار الوسيط الى موقف اليهود من مقترحه هذا فقال انه بدا له انهم (اي اليهود) سيوافقون في النهاية على نزع السلاح من القدس شريطة ان يوافق العرب على ذلك .

وأما رد العرب حول تجريد القدس من السلاح ، فقد كان رداً غامضاً للغاية ، اذ جاء في مذكرات الكونت برنادوت ان عبد الرحمن عزام باشا الامين العام للجامعة العربية ، ابلغه ان الجامعة وان كانت فوضته بأن ينقل اليه ان الدول العربية وان كانت توافق على فكرته بشأن نزع السلاح من القدس الا ان هذه الدول تريد ان تحتفظ برأيها في صدد بعض التفاصيل المتعلقة بتنفيذ هذه الفكرة ، وقد عينوا لجنة لتبحث مع الوسيط في هذا الامر .

واما حيفا ، فقال اليهود انهم لا يوافقون على تجريدها من السلاح ، وانما هم يوافقون على وضع منطقة المصافي والميناء فقط تحت اشراف رجال هيئة الامم حتي يعود جريان الزيوت كالمعتاد .

وقال العرب انهم يقبلون تجريد حيفا من السلاح شريطة ان لا تستعمل الميناء هناك لتفريغ مشحونات البواخر اليهودية ،سواء كانت تحمل جنداً ام عتاداً ام اي شيء آخر .

العباسية (١)

احتلها اليهود في ٥ تموز ١٩٤٨ ، احتلوها والهدنة قائمة ، على سمع مراقبي الهدنة وبصرهم ، ونرى من الفائدة ان نقص عليك بعض الحوادث التي وقعت فيها ، قبل احتلالها ، فنقول :

لم يكن فيها ، عند صدور قرار التقسيم ، سوى ست بنادق انكليزية وثلاثة مدافع صغيرة من طراز ستن وعدد من المسدسات ، هذا مع انها قريبة من بتاح تيكفا (ملبس) [٢]

ولما تسلم الشيخ حسن سلامة قيادة القطاع الغربي اتخذها مركزاً لتموين ذلك القطاع الغربي وراح يحصنها. وتنادى اهل القرية فألفوا من مخاتيرهم ومن بعض اصحاب الجاه بينهم لجنة قومية قوامها :—

١ — زكي محمد عبد الرحيم	رئيس المجلس المحلي ومختار
٢ — علي محفوظ ابو لاوي	مختار
٣ — خميس صالح الحجة	«

---

١) قرية كبيرة من اعمال يافا تحيط بها « من الغرب » يافا وهي على بعد ١٤ كيلومترا و (من الشرق) مستعمرة ويليهلما على بعد كيلومترين و « من الجنوب اللد وهي على بعد ٤ كيلو مترات.
كان اسمها فيما مضى « اليهودية » وهي قديمة العهد ولا يعرف احد لماذا سميت كذلك ، وان قال قائل ان احداخوة يوسف يهوذا مدفون بها ، وفيها قبر بهذا الاسم ، يزوره اليهود في ايام السبت .

والفضل في تسميتها « العباسية » عائد للاستاذ مصطفى الطاهر الذي كان « ١٩٣٦ » مديراً لمدرستها ، ذلك لان فيها قبرا لولي يقول الشيوخ انه « العباس » .

انها من أغنى قرى فلسطين شوارعها معبدة اراضيها واسعة «١٨,٠٠٠دونم » ، وهي خصبة ، نفوسها خمسة آلاف وثمانمئة نسمة كلهم مزارعون فيها مئة وخمسون سيارة ومدرسة ابتدائية كاملة للذكور واخرى للاناث ، وفي المدرسة مكتبة فيها كتب قيمة ، نسبة المتعلمين من ابنائها عالية ، بينهم اربعون او يزيدون حملة الشهادات العالية .
وتقام فيها في احد ايام الاسبوع «السبت » سوق تضاهي في كثرة روادها سوق اللد « الاثنين » .

٢) بلغ سكان ملبس في اواخر عهد الاحتلال اربعين الف نسمة . وهي من اكبر المستعمرات اليهودية بعد تل ابيب ، انها قائمة في موضع استراتيجي عند مفترق الطرق المؤدية الى يافا وحيفا واللد .

٤ ــ عبد الله الرشيد مختار
٥ ــ يونس رباح الحوراني «
٦ ــ سعيد عبد الله وجيه
٧ ــ محمد عبد الحفيظ «
٨ ــ سعيد جاد الله «
٩ ــ الشيخ مصطفى ابو سلبد «
١٠ ــ الشيخ خميس حماد «
١١ ــ اسماعيل الحنطي «

وقد انتخبت اللجنة هذا الاخير سكرتيراً لها .

وألف القوم من نسائهم لجنة قوامهم عائشة سحبان وظريفة مصطفى امين .

وعمل الجميع ، معاً ، فجمعوا الاعانات وفي قول انهم تمكنوا من جمع ما لا يقل عن عشرة آلاف جنيه ، انفقوها في سبيل الدفاع ، فشروا بها ما امكنهم شراؤه من الاسلحة ، وكان لديهم في شهر نيسان زهاء ثلاثمئة بندقية واربع برنات ، وقد كلفتهم البندقية الواحدة مئة جنيه ، والبرن الواحد مئتين وخمسين جنيها ، وبلغ عدد مناضليهم مئة وخمسين ، قام على تدريبهم ضابط عراقي (احمد جلال) .

ومن اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) الى اليوم الاخير الذي جلوا فيه عن قريتهم (١٥ تموز ١٩٤٨) لم ينقطعوا يوماً واحد عن مناوئة أعدائهم ، ولو اردنا أن نذكر جميع المعارك التي قامت بين الفريقين لما وسعها هذا القرطاس ، ولكن لا بد لنا من ذكر الوقائع التالية :

١ ــ في يوم السبت الموافق ١٣ كانون الأول ١٩٤٧ اقتحم اليهود القرية في سيارتين كبيرتين تحملان زهاء عشرين رجلا من مقاتليهم جاءوا من الشمال ، من ناحية ملبس يرتدون الثياب الرسمية كأنهم جنود بريطانيون ، ولما توسطت احدى السيارتين القرية وقفت كأنها تعمل على اصلاح خلل فيها ، ورابطت الثانية على بعد بضعة امتار من الأولى ، وما عتم شخص من اهل القرية ان رأى المقاتلين يزرعون لغما كبيراً في المكان الذي وقفت سيارتهم فيه ،فنادى قومه : ــ حي على القتال !! وما هي الا طرفة عين

حتى وقف الفريقان وجهاً لوجه يتقاتلان ،هؤلاء (اي العرب) ببنادقهم الاعتيادية . واولئك (اي اليهود) بمدافعهم الرشاشة ، ومع ذلك فكان النصر حليف المناضلين ، ففر اليهود بعد ساعتين تاركين وراءهم احدى السيارتين، ومدفعاً من طراز برن وبعض القنابل. وتدل آثار الدماء على انهم حملوا معهم ليس جرحاهم فحسب بل وقتلاهم ، ولاقى في هذه المعركة ثمانية من سكان القرية حتفهم ، فسجلوا في قائمة الشهداء .

ومما يؤسف له ان اهل القرية لم يفطنوا الى الالغام التي زرعها اليهود في ارض القرية عندما وقفت سيارتهم ، اذ ما كادت المعركة تنجلي ، والسكان من مناضلين وغير مناضلين، يغشون ذلك المكان حتى تفجرت الالغام. فقضى ثمانية منهم نحبهم [١] وانقلب فرحهم بالانتصار الى عزاء.

٢ ــ وفي اليوم الثاني من شهر كانون الثاني (يناير) ١٩٤٨ تصدى المقاتلون من يهود ملبس إلى العمال العرب الذين جاءوا إلى البيارات يقطفون برتقالهم فاطلقوا عليهم النار من رشاشاتهم وقابلهم العمال وحراسهم المسلحون بالمثل ، واستنجد الفريقان فانجدا وجاء الشيخ حسن سلامة بنفسه ليشرف على المعركة ، وكانث دفة العرب هي الراجحة وكادوا ينتصرون لولا تدخل الجيش البريطاني الذي امر الفريقين ان يكفا عن القتال .

وكانت خسارة اليهود في هذه المعركة التي دامت زهاء ثماني ساعات، جسيمة وكذلك قل عن العرب فان عدد جرحاهم كبير ولكن لم يستشهد منهم سوى اثنين [٢] ، وعندما اطل شهر ايار كان الموقف قد تحرج بسبب انهيار يافا وسلمة ومعظم القرى المجاورة لهـا ، فاصبحت العباسية عبارة عن خط الدفاع الاول . وقد اخليت من النساء والاطفال ، ولم يبق فيها سوى خمسين مجاهداً .

وجاء اليهود في اليوم الخامس من ذلك الشهر يرومون احتلالها . فبدأوا يصبون عليها نيران مدافعهم (المورتر) . وكانت هذه اول مرة يستعمل فيها اليهود ذلك النوع من المدافع ، وراحوا بعدئذ يزحفون بمشاتهم ولما اقتربوا من القرية قابلهم المناضلون وشب بين الفريقين قتال دام من الساعة السادسة صباحاً حتى الخامسة مساء ، وكـاد

---

١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

٢) اقرأ اسميها في الملحق التاسع .

اليهود يقتحمون القرية لولا خندق كان المناضلون قد حفروه حولها عمقه متران وعرضه ثلاثة امتار ، عندئذ اتى اليهود بدبابة ذات جنازير من طراز (شيرمان) فاقتحموا القرية وما كادوا يدخلونها حتى نسفوا عشرين منزلاً من منازلها ، وما لم يستطيعوا نسفه حرقوه بالنار وراحوا يتفرجون كما كان نيرون يتفرج على روما وهي تحترق وقتل ثلاثة من المناضلين في تلك المعركة .

٤ ـ انتشر سكان العباسية بعد سقوطها في البلاد المجاورة ولا سيما في بيت نبالا ويلهيليا ودير طريف واللد ، ولما اذيع ان الهدنة ستبدأ في اليوم الحادي عشر من شهر نيسان ١٩٤٨ راحوا يتنادون لعلهم يستطيعون استرداد قريتهم ، وما هي الا عشية او ضحاها حتى كان لهم ما يشاءون فقد هاجموا القرية في ساعة مبكرة (الرابعة من اليوم العاشر من شهر حزيران ، واشترك في هذا الهجوم مئة من شبابهم المخلصين ، ودخلوها مهللين مكبرين ، وكانت هذه مباغتة لم يتوقعها اليهود ، وكانوا نائمين وقبل ان يتمنطقوا سلاحهم ، كان المجاهدون قد دخلوا القرية ، واعملوا فيهم سيوفهم ، فقتل منهم خمسة وثلاثون ، وامرأتان وسلم العرب جثث القتلى الى مندوبي الصليب الاحمر الدولي ، واما العرب فلم يقتل منهم سوى ثلاثة وقد استولوا على عدد من المدافع الرشاشة (برن) ومدفع واحد قوسي (مورتر) وعشرين قذيفة ، ومقادير كبيرة من الاواني والمعلبات .

٥ ـ طوق اليهود في ٥ تموز ١٩٤٨ جميع المنطقة الممتدة من رأس العين في الشمال الى قوله في الشرق ، ومن بيت نبالا الى الرملة واللد في الجنوب ، ولما رأى سكان العباسية ان قريتهم اصبحت في داخل الكماشة . بدأ الخوف يتسرب الى قلوبهم ، واستنجدوا فلم ينجدهم احد ، استنجدوا بالقائد العراقي طاهر الزبيدي وكان الجيش العراقي يومئذ يرابط في رأس العين ، وبالقائد الاردني ادريس بك وكان الجيش الاردني يرابط في الرملة واللد . وبقائد جيش الانقاذ فوزي القاوقجي وكان هذا يومئذ في رام الله .

ولما لم يتقدم احد لنجدتهم راحوا ينسحبون ، ولم ينج منهم سوى تسعة عشر شخصاً اذ كان الطوق محكماً ، ولا يعرف احد شيئاً عن مصير الباقين وعددهم اثنان وثلاثون [1] .

---

١) اقرأ اسماءهم في الملحق التاسع .

لا أستطيع أن امر بهذا الحادث المؤلم دون ان اشير الى قصة النجدات التي طلبها سكان العباسية في ذلك النهار ، إذكان القاوقجي في منزلي برام الله عندما أتته من المناضلين برقية تنبىء بالخطر فرجاني ان ابرق اليهم قائلا (ان النجدة في الطريق) . وفعلت كما قال ، وبعد ان غادر منزلي بساعة اتت منهم برقية اخرى تقول (النجدة لم تصل ، نحن على وشك الاستسلام) فبعثت بها اليه مع ولدي سمير ، وكان مقر القاوقجي يومئذ في جبع ، ولست ادري ان كان قد انجدهم ، او لم ينجدهم ، وانما اذكر ان شمس ذلك النهار ما كادت تغيب حتى كانت العباسية قد لاقت مصيرها المحتوم ، ولله في خلقه شؤون .

اتفاقية الهداسا

ويظهر أن اليهود كانوا يعلنون ان الحرب ، اذا ما استؤنفت في هذه المرة ، لا بد وان يخسروا مبانيهم الواقعة على جبل المشارف (سكوبس) [١] : كالجامعة العبرية [٢] ومستشفى الهداسا [٣] ، تلك المباني التي اتخذوها أوكاراً ، وراحوا يحتمون بها ويغزون

---

١) Scopus كلمة يونانية الاصل معناها « إمتداد البصر و« الاشراف » . لازم هذا الاسم الحي الذي نحن في صدده ، وهو واقع شمالي المدينة والى الشمال الغربي من جبل الزيتون ، منذ عهد الفاتح المقدوني العظيم الاسكندر ، اذ انه اشرف على المدينة ، يوم مجيئه لاحتلالها ، من هنا . ومن هنا جاءت التسمية العربية – جبل المشارف – . ولقد عرف اليهود ما لهذا الجبل من قيمة استراتيجية ، فأنشأوا عليه مباني ضخمة ، واستعملوا هذه المباني لا حصوناً يحتمون بها ، فحسب ، بل قلاعاً يقنصون منها سكان الاحياء المجاورة لهم ، وكان يرابط فيها زهاء اربعمئة شخص من مقاتليهم .

٢) اول من فكر في تأسيس هذه الجامعة هو الدكتور « هرمان شابيرا » حوالي سنة ١٨٨٣ م . وتحمس لهذه الفكرة الدكتور وايزمن سنة ١٩٠١ وحاول هرتزول الحصول على فرمان من السلطان عبد الحميد ببنائها سنة ١٩٠٢ الا انه فشل . وفي سنة ١٩١٦ اهدت الليدي جراي هل ارضها على جبل الزيتون لهذه الغاية ، فوضع الدكتور وايزمان اساس البناء سنة ١٩١٨ ، وتم البناء سنة ١٩٢٥ ، وهي الان من اكبر الجامعات في الشرق .

٣) من اكبر المستشفيات في المدينة ، وهو لليهود ، اسسته « هيريتا زولد » زعيمة الجمعيات النسائية اليهودية في الولايات المتحدة ، وتعرف بـ« هداسا » ، وكان ذلك في اوائل الاحتلال البريطاني ، فيه مدرسة للممرضات ، ومعهد للطب ، واقسام للجراحة ، والولادة ، والامراض الجلدية ، والتناسلية ، وامراض العيون والاطفال ، ويشتغل فيه عدد كبير من الاطباء الذين اتموا دراستهم في المانيا ، ثم طردهم هتلر من بلاده .

منها الاحياء العربية كلما لاحت لهم فرصة ، وكان بامكان الجيش العربي أن يطبق علهيا عندما هبطت المدينة الكتيبة السادسة (١٩ ايار) والثالثة (٢٢ منه) الا انه أمر بالا يفعل ذلك ، وصدر الامر مــن عمان ، اثر ضغط شديد قامت به ، كل مــن انكلترا والولايات المتحدة .

ولما اقتربت الهدنة من نهايتها ، سعى اليهود لتجريد هذه المنطقة مــن السلاح ، ونجحوا في مسعاهم .

ولقد ساعدهم مسعاهم هــذا الكــونت فولك برنادوت الوسيط الــدولي ، الذي اعترف في مذكراته التي نشرت بعد وفاته انه سعى سعياً حثيثاً «لوضع اتفاق بين العرب واليهود بشأن جبل الزيتون حيث تقع الجامعة العبرية والهداسا . »

وقال الوسيط في موضع آخر من مذكراته انه يعتقد ان تجريد هذه المنطقة مــن السلاح ، قد يؤدي في النهاية الى تجريد المدينة كلها من السلاح .

اذ عقد الفريقان قبل انتهاء الهدنة بيوم واحد (٧ تموز) اتفاقاً وقعــه عن الجانب اليهودي وباسم الحكومة المؤقتة لاسرائيل القائد العسكري شالتائيل Shaltiel وعــن الجانب العربي وباسم الجيش القائد العسكري Las*h* كما وقعه قنصل البلجيك في القدس نيوفان هويز J . Nieuveu*h*wys رئيس لجنة الهدنة القنصلية التابعة لهيئــة الامم وكبير المراقبين الدوليين في قطاع القدس Nils Brunsson

وبنود الاتفاقية ستة تتلخص في نزع الصبغة العسكرية عن المنطقة التي تضم مستشفى الهداسا ، والجامعة العبرية ، والعمارة الالمانية المعروفة باوغستا فيكتوريا ، والقرية العربية المعروفة بالعيسوية ؛ على ان يسحب كلا من الفريقين المتحاربين ما لهما من هذه المنطقة من جنود وضباط وآلات قتال ؛ وان لايستعملاها قاعدة حربية لاية حركات عسكرية، وأن لا يهاجماها ، او يدخلاها بطرق غير مشروعة ؛ وان تظل المنطقة تحت حماية هيئة الامم الى ان تنقطع الاعمال العدائية ، او يصل الفريقان الى اتفاق جديد بشأنها .

ومن النقاط التي اتفقا عليها تحديد عددالمدنيينمن رجال الشرطة من عرب ويهود . فتقرر ان لا يزيد عدد البوليس في القطاع اليهودي على ٨٥ مضافا اليهم ٣٣ شخصاً من المدنيين التابعين لهم ، واما رجال البوليس العربي في اوغستا فيكتوريا فيجب الايجاوزوا الاربعين ، ولا يجوز زيادة سكان العيسوية الحاليين الا بموافقة الفريقين .

وعلى هيئة الامم ان تتخذ من التدابير ما تراه مناسباً لينال كلا الفريقين ما يحتاج اليه من ماء ومؤن .

واضيف إلى هذا الاتفاق في ١٣ تشرين الثاني ١٩٤٨ ، بند يخول اليهود استبدال رجالهم ، على ان يستبدل نصفهم مرة في كل اسبوعين ، وان يتم ذلك باشراف المراقبين التابعين لهيئة الامم .

وعهد يومئذ الى الكولونيل برونسون بمهمة الرقابة في تلك المنطقة (هداسا والجامعة العبرية ومستشفى المطلع) ، وفي معيته ثمانية رجال من بوليس هيئة الامم .

واستغرب القوم كيف ولماذا ابرمت هذه الاتفاقية ؟ وما هي الفوائد التي يجنيها العرب من ابرامها ؟ وزاد استغرابهم عندما رأوا الجيش العربي يتولى تزويد تلك المؤسسات اليهودية بالماء ، مع أن الاتفاقية نصت على ان تلك المهمة (اي تزويد المؤسسات اليهودية القائمة على جبل الزيتون بالماء) من اختصاص هيئة الامم .

وقد جاء في تقرير وضعه رئيس الوفد الاردني في لجنة الهدنة المشتركة ان الجيش العربي قام بتلك المهمة اربع سنوات صحاح : من اليوم الذي عقدت فيه الاتفاقية (٧ تموز) الى ان تولت هيئة الامم تلك المهمة في صيف عام ١٩٥٢ [١] .

الملك فاروق يزور ميادين القتال

وفي ٧ تموز زار الملك فاروق ميادين القتال في جنوب فلسطين ، وبعث بتحياته الى المصريين المرابطين في القطاع الجنوبي لمدينة القدس وراح يثير في صدور ضباطه وجنده روح الحماس والتضحية ، وهذا ما حدا بالفلسطينيين للاعتقاد ان الحرب ستسأنف من جديد .

ولقد اطلق اليهود المرابطون في مستعمرة (كفار داروم)قبالة دير البلح ، والى الشرق من الدرب ، على الملك النار ، ولكنه لم يصب بأذى ، فأصدر الملك فور وصوله الى غزة بمهاجمة تلك المستعمرة ، فهاجمها المصريون بمدافعهم ودكوها دكاً ، ثم احتلوها (في ١٠ تموز) ولكنهم لم يجدوا فيها يهودياً واحداً ، اذ كان سكانها قد انسحبوا منهـا ، في خنادق حفروها لهذه الغاية ، تحت جنح الظلام .

---

١) اقرأ بعد هذا ما كتبناه عن مخالفات اليهود لهذه الاتفاقية في ٣١ آذار ١٩٥٣ .

هذا ولا بد لنا أن نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ان هـــذه المستعمرة حصنها اليهود تحصيناً تاماً لوقوعها بين عدد كبير من القرى والعشائر العربية، وان المناضلين الفلسطينيين لم يستطيعوا احتلالها عند بدء القتال رغم انهم هاجموها سبع مرات ،وقتل منهم عدد كبير ولما لم ينجحوا في احتلالها حاصروها ، فراح اليهود يزودون سكانها بالطائرات . هذا قبل وصول الجيش المصري وكذلك قل عن الاخوان المسلمين فانهم لم ينجحوا في احتلالها رغم انهم هاجموها مرتين وقتل منهم اثنا عشر مقاتلا والجيش المصري نفسه الذي هاجمها عند اجتيازه الحدود في ١٥ ايار ؛ فانه لم يستطع احتلالهـــا ، ولم يحتلها الا عندما هاجمت الملك فامر باحتلالها مهما كلف ذلك من ثمن ، وقد احتلها بعد استئناف القتال بيوم واحد (١٠ تموز ١٩٤٨) .

وبنى اليهود ، بعد خروجهم ، من مستعمرة (كفار داروم) مستعمرة بالاسم نفسه على بعد ثلاثة كيلومترات منها الى الشرق .

اليهود يخرقون اتفاقية الهداسا

في ٣١ آذار ١٩٥٣ رفع السيد عزمي النشاشيبي ، رئيس الوفد الاردني في لجنـــة الهدنة المشتركة ، الى رؤساء الهيئات القنصلية بالقدس العربية والى كبير المراقبين الدوليين مذكرة عدد فيها المخالفات التي ارتكبها اليهود ضد الاتفاقية المعروفة بـ (اتفاقية الهداسا) تلك الاتفاقية التي امضاها الفريقان من اليوم السابع من شهر تموز ١٩٤٨ [١] . وقـــد بلغت احدى وخمسين مخالفة ، منها اطلاق النار على العرب من سكان العيسوية والحي المعروف بالشيخ جراح ، وفي خمسة عشرة مرة استعمل اليهود الاسلحة الاوتوماتيكية . وفي احداها قتلوا اثنين من المدنيين .. هذا ولم ينقطع التخاطب بالاشارات وبالضوء الاحمر بين حراس المباني اليهودية القائمة على جبل الزيتون والقطاع اليهودي مـــن مدينة القدس .

ولقد حفر اليهود الخنادق واقاموا الحصون حول هذه المباني من الخراسانة المسلحة ، الامر الذي يناقض الوصف الذي اعطي للمنطقة المجردة من السلاح .

---

١) اقرأ ما كتبناه عنها في ٧ تموز ١٩٤٨

وحاول اليهود ، مرتين ، تهريب السلاح والذخيرة والمعدات الحربية الى تلك المنطقة : مرة في شهر حزيران ١٩٥٢ عندما اكتشف العرب ، مع القافلة اليهودية ، برميلا اراد اليهود امراره من بوابة مندلباوم ، واشتبه العرب به ، فطالب الجيش العربي بتفتيشه ، ولكن طلبهم هذا رفض من لدن كبير المراقبين الدوليين ، الجنرال ويليام رايلي ، الذي كان ضالعاً مع اليهود الى ابعد الحدود ، فامر بارجاع البرميل الى اليهود ، قائلا انه فتشه (؟) بنفسه ، ولم يجد فيها شيئاً .

واخرى في شهر كانون الاول ١٩٥٢ عندما اكتشف الحراس العرب اسلحة حاول اليهود تهريبها الى مبانيهم المتقدم ذكرها عبر الوادي المعروف بـ (وادي ام العمد) بين مدينة القدس وشعفاط منها الى الشمال .

ولم يخامر الناس ريب في ان تلك المحاولة كانت واحدة من محاولات عديدة سبقتها ولا بد ان يكون اليهود قد نجحوا في بعضها ، او فيها كلها ؛ وان كان الجيش العربي قد احبط محاولتهم الاخيرة هذه .

وطالبت حكومة المملكة الاردنية الهاشمية الى سكرتير الامم المتحدة ، بتاريخ ١٦ كانون الاول ١٩٥٢ ، تفتيش المباني اليهودية الكائنة فوق جبل الزيتون ، فأمر الجنرال رايلي بتفتيشها . وصدع هذا بالامر ، ففتشها برفقة الضابط اليهودي المسؤول عن القوة اليهودية المرابطة في تلك المباني ، وقضى ، كما يقول ، في تفتيشها ثلاثة ايام (٢٨ـ ٣٠ نيسان ١٩٥٣) وجاء في التقرير الذي رفعه الى سكرتير الامم المتحدة انه « لم يعثر على أية اسلحة او أعتدة تزيد على الكمية المنصوص عليها في الاتفاقيـة » واضاف الى ذلك قوله انه « قام بتفتيش جميع الاماكن التي تحتاج الى تفتيش خـلا (آ) المقبرة العسكرية البريطانية القريبة من تلك المباني و (ب) ست غرف واقعة في عمارة (راتنوف) . » اما المقبرة فقد قال رايلي انه لم يستطع تفتيشها ، لانها مزروعة بالالغام (!!) واما الغرف الستة المبحوث عنها فانه لم يكن باستطاعته الدخول اليها بسبب فقدان مفاتيحها (!!) .

وانه لمنطق في غاية السخف ، وهو الذي حدا برئيس الوفد الاردني في لجنة الهدنة الى المطالبة بالغاء تلك الاتفاقية قائلا « ان المادة الاولى منها تنص على بقاء هذه المنطقة تحت الحماية الدولية الى ان يقف القتال او تبرم اتفاقية جديدة بين الفريقين المتخاصمين . »

ولقد توقف القتال بالفعل ، كما ابرمت اتفاقية جديدة هي « اتفاقية رودس » وجاءت هذه بعد تلك بتسعة شهور . ولهذا اصبحت (اتفاقية الهداسا) ملغاة .

وارادت (لجنة الهدنة المشتركة) ان تنظر ، على ضوء الحقائق المتقدم ذكرها ، في المخالفات التي بسطها الوفد الاردني ، الا ان الجنرال ويليام رايلي الذي اشتهر بميله لليهود ، زعم أن النظر في هذه المخالفات لا يدخل في نطاق الصلاحيات الممنوحة للجان الهدنة ، وانما هو عائد لكبير المراقبين الدوليين ، ذلك لان الاتفاق حول هذه المنطقة المجردة من السلاح قد تم بين قادة الفريقين العسكريين نتيجة لتدخل هيئة الامم .

ولما طلب اليه ان ينظر في هذه المخالفات قال ان النظر فيها من شأن (اللجنه الخاصة) التي ورد ذكرها في المادة الثامنة من اتفاقية الهدنة ، تلك اللجنة التي خولت — فيما خولته من صلاحيات — حق النظر في المؤسسات الانسانية والثقافية والبحث في حرية المرور اليها ، وهي (اي اللجنة) لم تجتمع منذ عام ١٩٥٠ ، ذلك لان اليهود يطمعون في الحصول على الكثير من الامتيازات في القدس وفي غيرها من الجهات عن طريق تلك المادة.

معركة جنين الثانية

بعد ان هُزم اليهود امام العراقيين وأخلوا جنين (يوم الجمعة ٤ حزيران ١٩٤٨ [١]) تمركزوا في التل الكائن تجاهها من الشمال، ويسميه السكان بالخروبة ، ويرمز اليه العراقيون بالراقم ١٥٢ . يبعد عن جنين ثلاثة كيلومترات . وراحوا يقصفون جنين بنيران مدافعهم التي نصبوها هناك . فكان لا بد من ابعادهم لئلا يهاجمون جنين مرة اخرى .

فاتفق العراقيون وعلى رأسهم العقيد صالح زكي وهو كردي والمناضلون الفلسطينيون وفي طليعتهم فوزي جرار وهو عربي فلسطيني على ان يقوموا بغارة مشتركة على اليهود . وأن تتولى المدافع العراقية ضرب المواضع اليهودية ، بينما يزحف المشاة من الفلسطينيين الى الامام وهكذا كان .

بدأ الزحف عند منتصف الليل في ٩ تموز ١٩٤٨ ، اي في الساعة التي انتهت فيها الهدنة الاولى وكان عدد الزاحفين من المناضلين الفلسطينيين زهاء ثلاثمئة ، يقودهم الرئيس الاول بدر الدين علي من ضباط الفوج الثاني اللواء الخامس ، فاتجهوا نحو فقوعه ، ترافقهم سرية من المشاة من افراد الفوج الثاني من اللواء الرابع ، وما كادت الساعة

---

١) اقرأ ما كتبناه عن هذه المعركة في ٤ حزيران ١٩٤٨ .

تدق الثانية بعد ظهر ذلك اليوم (٩ تموز) حتى كان المناضلون ورفقاؤهم العراقيون قد استولوا على فقوعة ، وغنموا سيارة جيب وبعض الأسلحة ، وقتلوا من اليهود عدداً غير قليل ، بينهم ثلاث فتيات كن متحصنات في منزل من منازل القريـــة ، وكان على الفوج الثاني من اللواء الخامس في الوقت نفسه ان يزحف باتجـاه صندلا ، ولكنه لم يزحف الا في صبيحة اليوم التالي (١٠ تموز) تصحبه سرية من المدرعات ، وقد تمكن من الاستيلاء على (تل الحروبة) . الا انه لم يتمكن من استئناف زحفه باتجاه صندلا بسبب المقاومة العنيفة التي لقيها من اليهود ، ونيران المدافع الشديدة التي راح هؤلاء يطلقونها من حصون جلبه ،عندئذ غير الفوج وجهته ، فأمَّ عرانة ، واستولى عليهـا ، وما كادت الساعة تدق الثانية بعد ظهر ذلك اليوم (١٠ تموز) حتى كان الفوج قد وطد أقدامه على التلال القائمة غربي المزار . وارتد اليهود الى الوراء . وما كادت الشمس تجنح إلى المغيب حتى كان العراقيون من ناحية والفلسطينيون من الناحية الاخرى قـد طوقوا القطعات اليهودية المعسكرة في جلبه وصندلا .

وقام اليهود بثلاث هجمات معا كسة قاصدين صد العرب واعاقــة زحفهم . الا انهم فشلوا ونجح العرب في تقدمهم ، فاستردوا صندلة وجلبة ، استردوها في الساعة الرابعة من صباح اليوم الحادي عشر من شهر تموز ١٩٤٨ ، وغنموا من اليهود ، عندما استردوا هاتين القريتين ، مقادير كبيرة من الغنائم ؛ بينها مدفعان من مدافع الهاون من عيار ٨١ ملم ومئة بندقية تشيكوسلوفاكية واربع رشاشات وثلاثة مدافع ذوات عقدتين واعتدة كثيرة .

وتقدم العرب ، بعد ذلك ، فاستردوا عدداً آخر من القرى التي احتلهـا اليهود في أوائل الشهر الفائت : ــ عرانة وعربونةودير غزالة ومقيبلة [1] وفقوعة وكادت المزار تقع في ايديهم ، وفي تل المزار استولى العرب على جهاز لاسلكي ورشاشين مـن طراز برن وعشرين بندقية وأربعة رشاشات من طراز ستن وستين معطفاً وستين بطانية ومقادير كبيرة من الرمانات والالغام .

---

١) عاد اليهود فاحتلوا مقيبلة ، كما احتلوا صندلا ، ومعظم اراضي جلبة باتفاقية رودس .

وبلغت خسائر اليهود في هذه الجولة مئة وخمسين قتيلا ، واما خسائر العرب فقد بلغت ثلاثين شهيداً : ـ سبعة عشر منهم فلسطينيون، وثلاثة عشر عراقياً [1]. كلهم من السرية الثالثة من فوج عبد الاله ، ويطلق عليها سرية النسور ، وأما الجرحى فعددهم واحد وأربعون : ـ ثمانية وعشرون عراقيون ، والباقون فلسطينيون ، وبين الجرحى جريح واحد برتبة ضابط .

ولقد دب الذعر في افئدة اليهود ، فارتدوا الى الوراء مذعورين . واحتلوا العفولة ، وفوله ، ونهلال ، كما احتلوا مستعمراتهم المنتشرة في مـــرج بن عامر ، وراح الناس يرتقبون ان تنحدر قطعات الانقــاذ المرابطة في الناصرة بقيادة فوزي القاوقجي الى السهل ، فتتصل القوتان وتقطع ما بين المستعمرات اليهودية المنتشرة في المرج المتقـدم ذكره في وادي بيسان ، ولو تم ذلك لسقطت تلك المنطقة كلها بيد العرب .

ولكن ما كل ما يتمنى المرء يدركه ...

فبينما كان المناضلون الفلسطينيون يرسمون الخطط لاسترداد المزار وزرعين ، وتقدم زهاء اربعمئة مناضل منهم ، في مساء اليوم الحادي عشر من شهر تموز ١٩٤٨ ، حتى اصبحوا قاب قوسين او ادنى من زرعين ، وكان يقودهم فوزي الجرار . رأوا ،وياهول ما رأوا ، ان العراقيين ينسحبون. ولما استطلعوا الخبر قيل لهم ان الامر يقضي بانسحابهم الى نابلس . سحب القائد العراقي قطعاته من جنين الى منطقة كفر قاسم ، سحبها غير عابئ برجاء من تقدم اليه بالرجاء من عيون البلاد وسكان جنين .

فوقف الفلسطينيون مشدوهين ، وراحوا ينظرون الى اخوانهم المنسحبين وفي قلوبهم حسرات وفي مآقيهم عبرات ... اما الذي امر بسحبهم فهو القائـــد العراقي نور الدين محمود باشا ، الذي وصل والمعركة قائمة واصدر اوامره بوقف القتال هناك .

ويحدثك الذين شهدوا تلك المعركة ، وهم كثيرون ، ان الجيش العراقي لو ثابر في زحفه يومئذ وفي تعضيدة للفلسطينيين لاحتل العرب العفولة وفرلة وسائر المستعمرات اليهودية الكائنة في مرج بن عامر ، ولقطعوا كـــل اتصال كان بين تلك المستعمرات

---

١) جاء في اضبارة وزارة الدفاع العراقية ان عدد الشهداء العراقيين في معارك جنين (ولعلهم يقصدون المعركة الاولى في ٣ حزيران والثانية في ٩ تموز) بلغ الخمسين .

واخواتها المنتشرات في غور بيسان ،تلك المستعمرات التي دب الرعب في قلوب سكانها، فراحوا يرحلون صوب البحر زرافات ووحدانا .

عندما زرت بغداد في شهر كانون الاول ١٩٥٣ لتحقيق بعض النقاط الغامضة التي ورد ذكرها في كتابي هذا ولها صلة بالجيش العراقي ، سألت العميد الركن نور الدين محمود باشا (١٨/١٢/١٩٥٣) عن الاسباب التي ادت الى انسحاب القطعات العراقية من قطاع جنين في وقت دب الذعر في افئدة اليهـود ، وراحوا يتقهقرون ، وكان باستطاعة الجيش العراقي يومئذ ان يحتـل العفولة ونهلال وسائر المستعمرات اليهودية الكائنة في مرج بن عامر ، كما كان باستطاعته أن يقطع ما بين هذه المستعمرات واخواتها المنتشرة في وادي بيسان . فقال :

بعد ان احتللنا قرى جنين السبعة لم نستمر في تقدمنا للاسباب الآتية : ــ

أولا ــ ان الغاية من زحفنا يومئذ كانت ابعاد الخطر عن جنين ، وطرد اليهود من الراقم ١٥٢ (الخروبة) وقد حققنا هذه الغاية .

ثانياً ــ لم تكن لدينا قوة كافية لمتابعة الزحف في اتجاه العفولة ، ولا يجوز لنا في هذه الحال أن نتقدم أكثر مما تستطيع .

ثالثاً ــ سقطت ، في تلك الاثناء ، اللد والرملة بيد الاعداء ، وبسقوطها انكشف جناحنا الايسر ، وكان علينا أن نحمي ذلك الجناح . فأرسلنا إلى ذلك القطاع أكثر القوى التي كانت لدينا في جنين .

اتصل بي أن هذه المعركة التي اسميتها (معركة جنين الثانية) والتي استرد فيها العرب خمساً من قراهم ، قامت من غير علم القيادة العراقية ، وأن الذي أخذها على عاتقه هو العقيد الركن صالح زكي توفيق ، وان هذا عوقب بعد انسحاب الجيش العراقي مـن فلسطين على عمله ، وفي قول انه ادين .

انه من ابناء بغداد ، كردي اصل ولد سنة ١٩٠٨ ، وتخرج مـن الكلية العسكرية برتبة ملازم ثان سنة ١٩٢٨ ودخل كلية الاركان سنة ١٩٣٤ حارب البارزانيين وعين آمراً للواء المشاة الرابع في ١٥/١٢/١٩٤٧ واشترك في حرب فلسطين .

وهو الذي أخذ على عاتقه مهاجمة اليهود في معركة جنين الثانية قائلا لابناء جنين الذين

راحوا يحثونه على مؤازرتهم : « اقسم بشرفي العسكري وبعرضي لاستعيدن قراكم . » وقد استعاد جزءاً كبيراً منها ، وكان باستطاعته أن يستعيد القرى الاخرى لولا الاوامر التي أعطيها من لدن رؤسائه ! .. وبلغ عدد المناضلين الذين اشتركوا في المراحل الاخيرة للقتال الفاً . وقد سقط منهم في هذه المعركة ثلاثون ، ومن العراقيين سبعة وعشرون . وبقيت زرعين والمزار ونورس من قضاء جنين بيد اليهود .

حدثني من أثق بصدق حديثه من العراقيين أن مصطفى راغب باشا القائد العراقي المشهور استقال من القيادة وعاد الى بغداد بعد معركة جنين هذه . وانه ابرق الى القائمين على الامر في بغداد يقول ما معناه (ان معركة فلسطين على ما بدا لي عبارة عن رواية تمثيلية ، ولما كنت لا ارغب ان اكون أحد الممثلين فالرجاء ان تقبلوا استقالتي) انه رجل وتي، في حدود الستين من العمر .

قبل ان نختتم هذا الفصل عن معارك جنين نرى من الانصاف ان نذكر ان المناضلين من أبناء جنين والقرى المجاورة لها قد ابلوا فيها بلاء حسناً ، ولئن نسينا فلا ولن ننسى فوزي الجرار الذي قاد المناضلين ، وعبد الغني سنان الذي كان يتقدم الصفوف وينفق على المناضلين من ماله الخاص ، وقد أطلعت على رسائل الثناء والتقدير التي ارسلها اليه العقيد الركن طاهر باشا الزبيدي وفوزي القاوقجي ، وانا لذا كرون أيضاً من النساء المجاهدات (ام محمد) من تلة الظهر وقد ذكرها صالح زكي في خطابه يوم دشن العراقيون النصب الذي اقاموه للشهداء الفلسطينيين .

قبيل استئناف القتال

قال جون كمشي عندما اشار الى المساعي التي بذلها الوسيط من أجل الحيلولة دون استئناف القتال في الصفحتين ٢٥١ و٢٥٢ من كتابه seven Fallen pillars ان الانكليز كانوا يميلون الى استئناف القتال ، وان وزير الدولة البريطاني HectorNcNeil قال له عندما بحثا هذا الموضوع أنه « لا بد من استئناف القتال وإراقة الدماء في فلسطين ليسلم العرب بالامر الواقع ، ويعترفون بكيان دولة اسرائيل ، ولا بد من ذلك أيضاً ليدرك انهم لا يستطيعون الاحتفاظ بجبهة طويلة كالجبهة التى خصصتها لهم هيئة الامم المتحدة . »

وكان من رأي هذا الوزير ، على رأي جون كمشي « ان العلاقات بين مصر وبريطانيا

ساءت الى حد كبير ، وان النقراشي أزعج الانكليز بمطالبتهم بالجلاء ووحدة وادي النيل ، كما انه (أي النقراشي) راح يطالبهم بالاراضي التي يريد الانكليز أن تعطى للملك عبد الله . وختم الوزير البريطاني حديثه مع جون كمشي بقوله :

« حبذا لو يُضرب المصريون ضربة قوية في فلسطين ... »

وراح يتساءل : « لماذا لا تقصف الطائرات اليهودية القاهرة من الجو ؟ ».

ولقد حدثني من أثق بصدق حديثه (المحامي عمر صالح البرغوثي) انه ، عندما لجأ الى مصر اجتمع بالنقراشي رئيس الوزراء . وجرهما الحديث إلى مسألة القتال في فلسطين

فقال له النقراشي ان الانكليز امتنعوا عن تسليم المصريين قسما كبيراً من الاسلحة التي كان الفريقان قد اتفقا على تزويد الجيش المصري بها حتى انهم قبضوا ثمنها سلفاً . وانهم (أي الانكليز) اعتذروا عن عملهم هذا بأن أميركا هي التي ضغطت عليهم ، وانهم لا يستطيعون مخالفتها ، لانهم هم في حاجة لرضاها واسلحتها ومالها .

هذا كان قبل ان تعلن الهدنة الاولى ، ويقف القتال ، ولما راحت الدول العربية تتحفز لاستئناف القتال ، وكانت هذه تبحث عن السلاح ، تقدم الانكليز الى النقراشي بالتكليف التالي :

الانكليز على استعداد لتزويد المصريين بما يطلبون من سلاح ، وبردع اليهود عن غيهم شريطة ان يتخلى هؤلاء عن المطالبة بحقهم في السودان ، وان ينفذوا معاهدة ١٩٣٦ بعد ادخال تعديل بسيط عليها ، وان يمضي الفريقان اتفاقاً جديداً يرضيان فيه بمبدأ الدفاع المشترك .

ولما لم يرض النقراشي بهذا التكليف ، انقطعت المفاوضات . وهكذا استأنف الجيش المصري القتال دون ان يكون مزوداً بالسلاح الكافي لربح الحرب .

وقد يتبادر للذهن لاول وهلة ان الملك عبدالله ايضاً ، وهو المعروف بكونه حليف مخلص للانكليز ، كان يريد استئناف القتال ، ولكنني من القائلين بعكس ذلك . ولقد حدثني جلالته ، وكنا في احد ايام الشتاء (١٩٥٠) نتحدث عن موقف الجيش العربي من القتال ، ان الذي ساير اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة العربية في قرارها الرامي الى استئناف القتال هو توفيق باشا ابو الهدى رئيس وزرائه في ذلك الحين ، وانه

دون استشارته ذلك لانه (أي الملك) كان خارج بلاده ، ولو كان هنا لما قبل بماقررته الجامعة ، ولامر بتمديد الهدنة ووقف القتال .

هذا ما قاله لي الملك عبد الله . واليك ما قاله لي صادق البصام الذي كان يومئذ وزيراً للدفاع في العراق . قال :

« كنت انا والباچه‌جي رئيس الوزراء من القائلين بوجوب استئناف القتال ، وقد أبدينا رأينا هذا الى زملائنا ، ممثلي الدول العربية ، الذين كانوا يومئذ مجتمعين في القاهرة.

« وعدنا بعدئذ الى دمشق لنستشير شكري القوتلي رئيس الجمهورية ، فاصر هذا على استئناف القتال : وقبل ان نغادر دمشق الى عمان أكد لنا القوتلي انه مستعد لان يضع سوريا وجيشها وجميع امكانياتها تحت تصرف الملك عبد الله شريطة ان يتابع القتال . »

الى ان قال :

« ولما استؤنف القتال ، وسقطت ، اللد والرملة ، طرنا الى عمان، وكان اول عمل قمنا به ان يممنا قصر رغدان ، وزرنا الملك عبد الله الذي اعتذر لعدم تمكنه من متابعة القتال قائلا : ان مصر اخذت منه عشرة آلاف طلقة مدفعية ، وانه لا قدرة للاردن على القتال لا من الناحية العسكرية ولا من الناحية المالية .

« فعرض عزام ، الامين العام للجامعة على الملك قنابل مدفعية . وابرق الى مصر ، فارسلت القنابل المطلوبة بالطائرة.»

« وعرض البصام بطاريتين من البطاريات العراقية الرشاشة ارسلت هذه بالفعل من بغداد.»

« واعد عزام شيكاً بمئة واربعين ألف دينار ليسلمه الى الملك عبدالله باسم الجامعة» .

« ولما نودي على صالح صائب باشا ، رئيس اركان الجيش العراقي وكان يومئذ قائداً عاماً للجيوش العربية كلها ، واستشير في الامر قال : ليست الحكومات العربية كلها بقادرة على متابعة القتال . وان فعلت ذلك فانها لا تملك من السلاح والعتاد ما يكفل لها النصر . »

« فابتسم الملك ساعتذ ابتسامة السخرية ، وانتفخت اوداجه بشكل يدل على الانتصار فأيقنا انه لا يريد متابعة القتال . »

« عندئذ مزق عزام الشيك ، وخرجنا من قصر رغدان نجر اذيال الفشل .»

ولقد اتفق الانكليز والاميركيون ، في اثناء الهدنة الاولى ، على السياسة التي يجب أن يسيروا عليها فيما إذا استؤنف القتال ، ولم ينصع الفريقان لمشورتهم ، فاعتزم الانكليز ان يعترفوا بقيام دولة اسرائيل ، واعتزم الاميركيون أن يؤيدوا الانكليز في خطتهم الرامية الى بقاء النقب بيد العرب .

فشل الوسيط في مسعاه للحيلولة دون استئناف القتال

عندما يئس الوسيط ، ورأى ان مساعيه من اجل التوفيق بين الفريقين ومن اجل تمديد اجل الهدنة لم تثمر ، أصدر اوامره الى المراقبين الدوليين كي ينسحبوا من جميع الميادين ، وأبلغ الفريقين انه سيقصر عمله على فكرة تجريد القدس من السلاح .

وراح الفريقان يستعدان للقتال مرة اخرى .

وسافر الكونت من فوره من رودس الى ليك سكسس في ١٠ تموز ، ليبلغ مجلس الامن ما جرى ، وابرق ، وهو في الطريق ، الى الفريقين ؛ مناشداً اياهما مرة اخرى ان يوافقا على تمديد الهدنة عشرة ايام اخر .

من الهدنة الاولى

الى ما قبل الهدنة الثانية

في الساعة العاشرة من صباح يوم الجمعة الموافـق ٩ تموز ١٩٤٨ استؤنف القتال وكان من المتوقع أن يبدأ في الثامنة . إلا ان الفريقين أجلاه ساعتين بناء على طلب الوسيط الدولي ليتمكن هو وصحبه المراقبون من الانسحاب .

وما كاد هؤلاء ينسحبون حتى راح كلا الفريقين ينقض على الآخر ، وكانت قوات الجيش العربي مرابطة في أطراف المدينة كما يلي : الكتيبة السادسة في مواقعهـا السابقة (بالبلدة القديمة وعلى الاسوار) والكتيبة الثالثة ايضاً في مواضعها السابقة (من باب العمود الى نحلات شمعون) . وانضم الى هذه الكتيبة سرية مـن سرايا الكتيبة الخامسة جاءت في آخر يوم من ايام الهدنة ، واشتركت في القتال عند استئنافه . وبعد يومـين انسحبت ، بعد ان قتل اثنا عشر جندياً من جنودها . واما المناضلون المنتمون الى فرق الجهاد المقدس فقد زيد عددهم خلال الهدنة ، وبلغوا الفـا وتسعمئة : ٧٠٠ منهم في القدس نفسها و٨٠٠ في قطاعها الجنوبي (بيت صفافا وبيت لحم) و٤٠٠ في قطاعها الشمالي (عابود وبير زيت) .

وحدثت بعد ذلك معارك شديدة في القطاعين الجنوبي والشمالي . ومعارك القطاع الشمالي كانت على اشدها بين سنهدريا والشيخ جراح .

نسف اليهود ، في ١٠ تموز ، جانباً من السور الملاصق لمدرسة الفرير عنـد الباب الجديد . وحاولوا اقتحام المدينة عبر الثغرة الواسعة التي احدثوها هناك . الا ان جنود الجيش العربي ، وكان منهم هناك يومئذ مئتـا مقاتل ، وقد تعاون معهم الرهبان والمناضلون من ابناء بيت المقدس ، فتمكنوا من سد الثغرة . ثم راح الجنود برشاشاتهم يقاتلون ، فصدوهم .

وقذف اليهود الحرم ودرب الالام والاحياء العربية الاخرى بوابل مـن نيران مدافعهم في ١٠ تموز . فسقطت بعض القذائف في وسط الحرم ، وبعضها في اطرافه (باب العتم والروضة وعقبة المفتي) وكان قصدهم هدم الحرم وتحطيم مقر قيـادة الجيش العربي في الروضة ، وتخويف اللاجئين الذين كانوا قد التجأوا الى الحرم والى المباني الكائنة في اطرافه .

وقصفت المدافع العربية (١١ تموز) الحي اليهودي المذكور والاحياء اليهودية الاخرى قصفاً شديد (١) صفتها من وراء اكمة النبي صموئيل . فاصيب عدد كبير من المنازل اليهودية ، واصيبت النوتردام ، فاحترق جانب كبير منها . واصيبت محطة الهاغانا للاذاعة . واحتل العرب مركز البوليس القديم في حي مياشورم . كما احتلوا ثلاث عمارات اخرى مجاورة له . وكانت الظواهر تدل على ان اليهود قد اتخذوا هذا الحي يومئذ مركزاً لتجمع قواتهم بقصد الاغارة على جبل سقوبس . واشتركت طائرات العدو الجديدة (٢) في القتال . فتقطعت اسلاك الهاتف التابعة للجيش بفعل قنبلة القتها احداها . وفيما كانت هذه (اي الطائرات اليهودية تبحث عن مواضع المدافع العربية الثقيلة في جبال بدو والنبي صموئيل ، كانت الطائرات المصرية (نافثات اللهب) تقذف حممها على تل ابيب .

وقيل ان عدد الطائرات اليهودية التي اشتركت يومئذ في القتال اثنتان من نوع داكوتا. وراحت مدافعهم الثقيلة ، وهذه ايضاً استحضروها في فترة الهدنة ، تقصف وادي ز والحرم والاحياء العربية الكائنة شرقي المدينة بشدة . وقصارى القول ان الضغط على الاحياء العربية وان كان شديداً ، الا ان اليهود لم يفوزوا منه بطائل . سوى انهم احتلوا قرية صوبا في (١١/٧) وعين كارم ١/(١١/٧) . ووقف مشاتهم هناك ، فلم يستطيعوا ان يتقدموا . اذ أن حماة البيت من رجال الجيش ومن رجال الجهاد المقدس

---

١) ادين بعض ضباط الجيش العربي من رجال المدفعية الملكية ، اثر هذا ه ، قصفوا الاحياء اليهوديه دون امر من رؤسائهم الانكليز . والبعض الاخر لانهم قذفو عد اكبر من مدد المقرر قذفه . ومن الذين ادينوا الملازم الاول غازي الحربي ، ومنهم ايضاً الملازم الاو . عبد الله البيطار . اذ قذف هذا حي سنهدريا والبخار اليه وثلاثين قذيفة من بدو ، وقد فعل ك من غير امر من رؤسائه .

٢) عندما بدأ القتال في القدس ورأى اليهود جة الى مطار – وكان المطار الوحيد القريب من القدس « قلندية » بيد العرب انشأوا مطارين : احد على طريق يافا في وادي الشيخ بدر عند مستعمرة التنك ، وقد خصصوه انزول الطائرات الصغيرة . والاخر على طريق عين كارم بين روميا وجبعات شاؤول ؛ هو كبر من الاول . وقد اكتشف العرب هذا المطار وهو في حالة الانشاء . فضربوا بمدافعهم مراراً ء غير قليل من العمال . ولكن اليهود ، رغم ذلك ، اتموه في بحر اسبوعين .

كانوا واقفين بالمرصاد . كما كانت مدافع الجيش تجيب على النـار بمثلها ، وكانت معنويات الجانب العربي قوية للغاية . ولم يخسر العرب في معارك اليومين الاخيرين (٩ و ١٠ تموز) سوى اربعة شهداء . احدهما اردني والثاني يمني والباقي مقدسيون .

ومن يدري لعل اليهود قاموا يومئذ بتلك المظاهرة العسكرية في هذا القطاع لتغطية مراميهم الحربية في القطاعات الاخرى . اذ انه ، بينما كانت مدافع الفريقين تتبادل النيران بشدة في القدس جاءت الانباء مؤيدة سقوط عين كارم من اعمال القدس . وسقوط تل الصافي من اعمال الخليل (١٠ تموز) والدوايمة وبيت جرين (١٢ تموز) . وتل المكخر من اعمال بئر السبع (١٢ تموز) وفشل المصريون في استرجاع بيت داراس . والاهم من هذه وتلك سقوط اللد (١١ تموز) والرملة (١٢ تموز)

معارك بيت داراس (١)

عندما استؤنف القتال بعد الهدنة الاولى عقد المصريون في رئاسة اللواء (المجدل ؟) وفي ٣٠ يونيو مؤتمراً حربياً قرروا فيه ، فيما قرروا ، ان تتقدم الكتيبة السابعة التي وصلت الى الميدان قبل اعلان الهدنة ، فتستولي ــ فور استئناف القتال ــ على بيت داراس . وان تتقدم بعدئذ الكتيبة السادسة (جمال عبد الناصر) فتستولي على الوافر الشرقية والوافر الغربية .

ولكن الكتيبة السابعة لم تتمكن من تحقيق اهدافها بسبب خطأ وقع هو انه كان على القوة السودانية ان تهاجم بيت داراس ليلا وتحتل المواقع الامامية المعينة لها وكان عليها ان تطلق اشارة صوتية خضراء اذا نجحت . وحينئذ تتقدم الكتيبة السابعة فتحتل القرية . وكان عليها ــ اذا لم تنجح ــ ان تطلق اشارة ضوئية حمراء . ثم تبتعد قليلا عن بيت داراس لتطلق مدفعية الميدان الثقيلة نيرانها على بيت داراس .

ونجحت القوة السودانية . ولكن الجندي المكلف باطلاق الاشارة اخطأ فاستعمل الشارة الحمراء بدلا من الخضراء . ولما ارتفعت الشارة الحمراء في الظلام راحت مدافع الميدان تطلق نيرانها على المواقع التي احتلتها القوة السودانية . فاضطرت القوة السودانية للانسحاب . ولما هدأت المدافع عاد اليهود فاحتلوا بيت داراس من جديد ، وهكذا فشلت المعركة .

---

١) مذكرات جمال عبد الناصر المنشورة في مجلة « آخر ساعة » العدد ١٠٦٤ بتاريخ ١٠/٣/١٩٥٥

بلدان عربيان توأمان ، يبعد الواحد منهما عن الآخر ميلا واحدا فقط . ويكاد المرء لا يميز بينهما من حيث الأهل والعمران والعادات والمزارع والسكان .

يعيش في الاولى (لد) ١٦,٧٨٠ نسمة : ١٤,٩١٠ منهم مسلمون والباقون مسيحيون وليس فيها سوى عشرين يهودياً . ويسكن في الثانية (الرملــة) ١٥,١٦٠ نسمة : ١١,٩٠٠ منهم مسلمون والباقون مسيحيون . وليس فيها يهودي واحد . هكذا كان عدد السكان في عام ١٩٤٥ . وكانت مساحة اللد عامئذ ٣,٨٥٥ دونما . واما مساحــة مدينة الرملة فقد كانت ١,٧٦٩ دونما ، ومساحة القرى التابعة لهــا ٣٨,٩٨٣ دونما . ليس فيها لليهود سوى ١٨٥ دونما .

ومعظم سكان هذين البلدين وقراهما مزارعون . انهم عرب اقحاح .. امويون ..

اما لد فانها اقدم من الرملة . كانت للنصارى وهم من ابناء الروم . وقــد خربها صلاح الدين خشية ان تقع بيد الصليبيين . فيهــا قبور عدد من الصحابة نذكر منهم (سلمان الفارسي) .

اما الرملة فانها احدث عهداً من اختها (لد) . بناها سليمان بن عبد الملك عندمــا ولاه الخليفة (اخوه الوليد) جند فلسطين ، نزل سليمان بادىء ذي بدء لــد . ثم بنى الرملة . وبنى فيها مسجداً . وقد اتته الخلافة وهو فيها . ونقل الناس اليها من لد . وجعلها قصبة فلسطين ، أي عاصمتها .

سميت الرملة لغلبة الرمل عليها . كذا جاء في (الروض المعطار) واما العمري فقد قال فى كتابه (مسالك الابصار) انها سميت بامرأة اسمها رملة ، وجدها سليمان بن عبد الملك هناك في بيت شعر حين نزل مكانها يريد بناءها . فاكرمته واحسنت نزله . فسألها عن اسمها فقالت : رملة . فبنى المدينة وسماها باسمها .

فيها قبور عدد كبير من الصحابة نذكر منهم ابا هريرة والفضل بن العباس احتلها الصليبيون عندما هبطوا فلسطين . وانقذها منهم صلاح الدين (٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م) . ثم عاد فخربها (٥٨٧ هـ ـ ١١١٩١ م) خشية ان يعود الافرنج فيستولون عليها .

بينها وبين القدس ثمانية عشر ميلا . وكذلك قل عن لد .

ولهذين البلدين في يومنا هذا اهمية كبرى من الناحية الاستراتيجية . وذلك لانهما واقعان في وسط فلسطين . فهناك مطاران : احدهما بالرملة ، وهو مطار عسكري صغير ؛ والثاني على مقربة من لد ، وهو مطار مدني كبير ويعتبر هذا المطار من اهم المطارات الجوية في الشرق الاوسط . وفي لد تلتقي السكتان الحديديتان الفلسطينيتان : (١) القدس ـ يافا (٢) حيفا ـ القنطرة . وهناك في صرفند ، وعلى مقربة من الرملة ، معسكر للجيش فيه عدد كبير من الثكنات والمباني العسكرية والمدنية .

وفي الرملة تقوم محطة للتلفونات الرئيسية في فلسطين وهي محطة عالمية .

فلا عجب اذاً اذا رأينا اليهود وقد شخصت ابصارهم نحو هذين البلدين يبتغون احتلالها فور صدور قرار التقسيم .

ولكن العجب هو الاهمال الفظيع الذي بدا من اللجنة العسكرية في دمشق حيال هاتين المدينتين القائمتين في اعظم موقع استراتيجي في وسط البلاد . فان واحداً من اعضاء تلك اللجنة لم يقم بزيارة لهما ولم يتفقد احوالهما وما كانتا في حاجة اليه من دفاع وتحصين . وكل ما رأيناه منها انها في ١٦ شباط ١٩٤٨ اصدرت اوامرها لسرية من المجاهدين بالزحف صوب قطاع لد والرملة . وقد اضافت اليها ، في الوقت نفسه ، فصيلا من المتطوعين المصريين . والقصد من ذلك ، كما قال العميد الركن طه باشا الهاشمي في مذكراته ، ان تكون هذه القوة نواة للمجاهدين الذين يعملون في هذا القطاع بقيادة الشيخ حسن سلامة ، وقد اعترفت به اللجنة العسكرية قائداً لهذا القطاع . وكان ذلك بناء على اقتراح تقدم به المفتي .

وفي ٢٣ شباط ١٩٤٨ تحركت السرية المذكورة من دمشق الى قطاع لد والرملة ، يقودها الملازم الاول عبد الجبار العراقي .

ولقد حاول اليهود احتلال هاتين المدينتين مراراً قبل عقد الهدنة . الاولى الا ان المناضلين صمدوا لهم . فردوهم على اعقابهم . ولما عقدت الهدنة ، وتقوى اليهود بالنجدات والمعدات التي اتتهم من اوروبا والولايات المتحدة من رجال وسلاح وعتاد ولا سيما الاسلحة التي حملتهم اليهم الباخرة (الطالينا) ملكوا زمام المبادرة وتمكنوا من الاستيلاء عليها . اما لد فقد سقطت بيد اليهود في يوم الاحد الموافق ١٢ تموز ١٩٤٨

واما الرملة فقد بايديهم في اليوم التالي : الاثنين الموافق ١٢ تموز سنة ١٩٤٨ . واليك تفصيل الخبر : —

لــد

كان فيها عند بدء النضال زهاء خمسة وسبعون مقاتلا تابعون لفرق الجهاد المقدس يقودهم الشيخ حسن سلامة وهو المسؤول عن ادارة دفة القتال في ذلك القطاع ، و ٢٥٠ من رجال الحرس البلدي ، و ٣٥٠ بدو متطوعون ، وكان هنالك زهاء ٦٥٠ من ابناء المدينة ينزلون الى الميدان كلما دعت الحاجة الى النجدة ، وفي غير نظام ؛ هذا كان قبل زوال الانتداب . ولما زال الانتداب وخرج البريطانيون وتولى الجيش العربي مهمة الدفاع عن البلاد اقام هذا في لد اربعين جندياً نظامياً . وما عرفنا ان هؤلاء قاموا بأي تحصين للمدينة . ويحدثك ابناؤها انهم غادروا المدينة دون ان يشتركوا في قتال مع اليهود. ولم يشترك في المعارك التي دارت حولها سوى حماة المدينة من ابنائها الذين ذكرناهم في السطور المتقدمة . وكان هؤلاء مزودين بالاسلحة التالية : ١١ مصفحة ٣ مدافع مورتر ومدفعان كبيران و ٤ مدافع مقاومة للدبابات ومدفعان صاروخيان و٢٥ برن ٧ ستن ١٥٠ بندقية اعتيادية شروا معظمها باموالهم وباثمن باهظة ٩ مسدسات ٤ هوشكس . وكان لديهم ١٨٠ صندوق ذخيرة انكليزية وقليل من القنابل والالغام . وكثيراً ما اشتبك المجاهدون في قتال مع اليهود . وكان النصر حليفهم . ولقد اسقط هؤلاء مرة طائرة كانت تحلق في مطار لد . واستولوا مع اخوانهم المناضلين من ابناء الرملة وابناء القرى المجاورة على المطار [1] والمحطـة وعلى مخزن البنزين وعلى معسكرات الجيش في

---

١) كان في مطار اللد ، عندما نشب القتال ، مئتان واربعة موظفون من العرب . وكان فيه مثل هذا العدد او اكثر من الموظفين اليهود فجمعهم مدير المطار الانكليزي المستر •رد بتاريخ ١٤ نيسان ١٩٤٨ وقد حضر الاجتماع اثنان من كل فريق « الدكتور نمر والسيد مدني عن العرب والاضون ليفي والاضون سيمون عن اليهود » فبحث المجتمعون الوسائل الكافيه لصيانة الامن في المطار ريثما تتسلمه السلطات القادمة فاكد العرب انه ليس في لمطار اي عربي ينتمي الى المنظمات المسلحة . ورفض اليهود اعطاء مثل هذا التأكيد .

وفي ٣٤ نيسان ١٩٤٨ اهتمت الهيئة العربية العليا بالمطار وبمحطة السكة الحديدية في لد وبمعكسر صرفند وتل لنفسكي فامرت الشيخ حسن سلامة كي يزيد عدد المسلحين الذين انيط بهم حراسة هذه الاماكن فزيدوا الى ١٥٠٠ وخصصت المبالغ اللازمة لدفع رواتبهم ، وقد استولى العرب على تلك الاماكن . الا ان اليهود عادوا فتغلبوا عليهم واخرجوهم منها .

صرفند ورأس العين وبيت نبالا ، غير انهم لم يحسنوا الافادة منها . أضف إلى ذلك ان هذا العدد العديد من المناضلين والمقادير الوافرة من الاسلحة والاعتدة ما كان ليجدي في صد هجمات اليهود الى زمن طويل . ولا سيما عندما انزل هؤلاء الى الميدان خمسة آلاف مقاتل، جلهم من رجال الصاعقة (البالماخ) وكانوا مزودين باحسن الاسلحة، واقدر الرجال والخبراء العسكريين الذين استأجروهم واتوا بهم من روسيا والمانيا وتشيكوسلوفاكيا واميركا وغيرها من البلدان .

ولقد شن اليهود على لد هجومين : احدهما بدأ من خلدا فقرية القباب القائمة على طريق القدس – يافا . واتجه شمالا نحو قرى عنابة وجمزو ودانيال ودير ابي سلامة والضهيرية . والثاني بدأ من ملبس الى رأس العين فمجدل صادق فقولة فالمزرعة فدير طريف فبيت نبالا من الشمال .

والتقت القوتان اليهوديتان عند (بيت عريف) شرقي اللد وعلى بعد اربعة كيلومترات منها .

وبذلك طوقوا المدينتين لد والرملة وقد تم ذلك في اليوم الاول لاستئناف القتال (الجمعة ٩ تموز) .

عندئذ دب الرعب في افئدة السكان . وراحوا الى الحاكم العسكري الاردني ادريس بك وهو من الشراكسة – يستغيثون . فقال لهم انه تلقى برقية تقول (ان نهرا من الذهب يجري اليكم) ولكن لم تصلهم اية نجدة وان كان قد وصل الى دير طريف ثماني عشرة مصفحة اردنية . وفي مساء اليوم التاسع كانت هذه المصفحات ترابط في بيت نبالا . الا انها لم تستطع ان تخترق الطوق الذي اقامه اليهود حول لد .

واستمر الهجوم في ليلة السبت فتمكن اليهود في صباح اليوم التالي (١٠ تموز) من الاستيلاء على مطار لد . وبهذا تمكنوا من الاتصال بقواتهم الاخرى التي كانت في مستعمرة بن شيمن (١) والمستعمرات الاخرى المجاورة لها .

وقبل الغروب اغارت الطائرات اليهودية (٢) على مدينتي لد والرملة فقتلت وجرحت

---

١) كان باستطاعة اليهود ان يستولوا على هذه المستعمرة الكائنة في قلب القطاع العربي لولا حماقة بعض الرؤساء الذين لم يروا في بقائها ضيراً .

٢) كان الطائرات اليهودية في معارك لد والرملة ذوات اربعة محركات . وهذه اول مرة بعد استئناف القتال تظهر فيها طائرات يهودية من هذا النوع .

كثيرين ، ودمرت بعض الاماكن . ان عدد القتلى من جراء هذه الغارة الجوية في مدينة اللد وحدها كان ٢٢ والجرحى ٦٠ .

وفي صبيحة اليوم التالي (الاحد ١١ تموز) القت تلك الطائرات نشرات تصور ملوك العرب وامراءهم ورؤساءهم كاحجار من الشطرنج يلعب بها (بيفن) [1] كيف يشاء . وقد دعوا فيها المسلمين من اهالي لد والرملة الى التسليم ، قائلين ان المدينتين مطوقتان ، وانه لا فائدة ترجى من القتال ، وان على اهالي لد ان يرسلوا وفداً عنهم الى مقر القيادة اليهودية في قرية جمزو (شرقي لد) وعلى اهالي الرملة ان يرسلوا وفدهم الى مقر القيادة في قرية البرية (شرقي الرملة) .

كل هذا كان يجري والجيش العربي لم يحرك ساكناً . ولا أطلق طلقة واحدة لا من من مدرعاته ولا من مدافعه لا ولا تحركت المصفحات التي كانت مرابطة في بيت نبالا . ليس هذا فحسب . فقد حدثني عدد غير قليل من ابناء القرى المجاورة ان تجمع اليهود في خلدا والقباب كان يجري على مرأى من القطعات الاردنية التي كانت ترابط في اللطرون .

فاستغرب الناس هذا الجمود ، كما استغربوه من قبل وراحوا يتساءلون : لماذا ترك الجيش العربي مدينة لد والرملة من غير تحصين ، وكان بامكانه أن يحصنهما عند بدء النضال ، وان شئت فقل في أثناء الهدنة التي دامت اربعة اسابيع . وقد حصن اليهود ، خلال تلك الهدنة ، عدداً كبيراً من مواضعهم العسكرية .

وما كاد النهار ينتصف (الاحد ١١ تموز) حتى شن اليهود هجوماً مركزاً على مدينة لد . قاموا به من الناحية الشرقية عند قرية دانيال ، مستعملين مدافع المورتر والهاون كما انهم استعملوا الطائرات وراجمات الالغام . واستطاع المجاهدون من ابناء المدينة ان يردوا هذا الهجوم بعد معركة دامت زهاء ساعة ونصف الساعة . وقتل من اليهود في هذه المعركة ستون . ولقد عاد المجاهدون الى المدينة . وما كان يجوز لهم ان يعودوا لولا ان نفذ عتادهم . وكانت تنقصهم الخبرة في استعمال السلاح الذي كان بايديهم وتعميره . كما كان ينقصهم التنظيم . وما كان بينهم قائد خبير يقودهم .

---

١) وزير خارجية بريطانيا في ذلك الحين .

وما كادوا يعودون حتى شن اليهود هجوماً آخر ، قام به رجال الصاعقة (البالماخ) فدخلوا المدينة وكانت الساعة قد دقت الرابعة . دخلوها من ناحية بن شيمن بالمصفحات وسيارات الجيب المحملة بالرشاشات ، بينما راح مشاتهم يزحفون من ناحية جمزو مجتازين الشارع العام ، مطلقين الرصاص من نوع دمدم على الاهلين من غير وعي . وقد قتلوا كل من وجدوه في الشارع ، وهكذا سقطت لد في يد الاعداء . ولقد تم ذلك في مساء يوم الاحد الموافق ١١ تموز . وبقي اللديون في مدينتهم فلم يبرحوها . وحدث في صباح اليوم التالي (الاثنين ١٢ تموز) ان تمكنت ثلاث مدرعات من مدرعات الجيش العربي المرابطة في بيت نبالا من دخول المدينة . ولقد اختلفت الاقوال في تعيين الهدف الذي كانت ترمي اليه هذه المدرعات . فمن قائل انها اتت لانقاذ الاهلين واسترداد المدينة . ومن قائل انها جاءت لانقاذ الحاكم العسكري ادريس بك ، وان هذا قد انسحب من ناحية اخرى قبل وصولها . ومهما كان الامر فقد تشجع اللديون عند مجيئها ، وراحوا يهاجمون اليهود في كل مكان ولا سيما في الناحية الشمالية حيث دخلت المدرعات الاردنية . فساد اليهود ذعر شديد ، وراحوا يفرون . وقتل عدد منهم . ولكن لم يمض سوي وقت قصير حتى انسحبت المدرعات الثلاث تاركة المناضلين مشتبكين مع اليهود الذين كانوا قد تكاثروا وتغلبوا على المدينة . وتمكنوا من سكانها .

فقتلوا ٤٢٦ شخصاً منهم ١٧٦ قتلوا في المسجد . وبهذا بلغت خسائر اللديين منذ بدء النضال ، الفا وثلاثمئة شخص : ٨٠٠ منهم استشهدوا في ميادين القتال . واما الآخرون فقد ماتوا اما قتلا في منازلهم أو جوعاً وعطشاً بعد خروجهم .

ولقد اخرجهم اليهود بعد احتلالهم المدينة ، قسراً ، وبلغ عدد الذين خرجوا منها يومئذ (الثلاثاء ١٣ تموز) خمسين الفاً (أي من لم يمت من سكانها الاصليين والذين لجأوا اليها في اثناء القتال من سكان القرى المجاورة .) اجبرهم اليهود على الرحيل ولم يستثنوا من أوامرهم شيخاً ولا امرأة ولا طفلا . ولم يسمح اليهود لاحد من الراحلين أن يحمل معة شيئاً من نقوده أو متاعه . وقد جرد النساء من حليهن وعين اليهود لهذه الالوف من الخلائق طريقاً وعرة للمرور منها بين جمزو ونعلين .

ومن هناك جاءوا الى رام الله . وكان الحريومئذ شديدا . فمات منهم في الطريق خلال الايام الثلاثة الاولى ثلاثمئة وخمسة وثلاثون شخصاً . مات اكثرهم عطشاً .

الرملة

ما كادت لد تسقط في يد اليهود حتى تداعت الرملة ، ومالت الى الانهيار . وكان ذلك في يوم الاحد الموافق ١١ تموز . وكانت فيها سرية من سرايا الجيش العربي الاردني يقودها الرئيس اديب القاسم . فغادرها هذا مع سريته في تمام الساعة الثامنة والربع من مساء ذلك اليوم . واما المناضلون من سكان الرملة فقد غادروها بعد نصف الليل بساعة اي في ساعة مبكرة من صباح اليوم التالي (الاثنين ١٢ تموز) . وما كاد هؤلاء يرحلون عنها حتى جاء اليهود واحتلوها .

واليك تفصيل الخبر : —

كان في الرملة ، في اوائل عهد النضال ، زهاء ثلاثمئة مناضل من ابنائها : خمسون منهم تابعون لفرقة الجهاد المقدس يأتمرون بأوامر الشيخ حسن سلامة ؛ والباقون اما من رجال الحرس البلدي ، أو مناضلون متنقلون ، وكان هؤلاء مسلحين بالبنادق الاعتيادية : انكليزية والمانية ، نهبوا معظمها (٤٠٠ بندقية) من مخزن البوليس بالرملة في ٤٧/١٢/١٢ وما كان لديهم سوى بضع رشاشات من طراز برن ، وفيكرز واحد ، وثلاث مدافع من نوع هوشكس ، ومدفع واحد مضاد للمصفحات وهذا المدفع اهداهم اياه الجيش العربي في ٢ ايار ١٩٤٨ كما اهداهم مدفعين من طراز لويس . وفي قول انه كان لديهم اربع مصفحات .

وما كان هذا القدر من السلاح بكاف لدرء الخطر عن الرملة . لا ، ولا افلحت اللجنة القومية التي الفها الشيخ حسن ابو السعود في جمع الشمل . بل انها اخفقت اخفاقاً تاماً . وراح الناس يتهمونها في بعثرة المبالغ التي جمعتها من الاهلين . وقد قدروها بسبعة وعشرين الف جنيه . فانقسم سكان الرملة الى قسمين : قسم يعمل بارشاد رئيس البلدية السيد محمود علاء الدين . وآخر يأتمر بأوامر الشيخ مصطفى الخيري ، سلفه في الرئاسة . وما كان للشيخ حسن سلامه القائد الذي كان يدير ذلك القطاع باسم فرق الجهاد المقدس اي نفوذ على اي من الفريقين . ومع ذلك كان النصر حليف هؤلاء المناضلين في المعارك التي اشتبكوا مع اليهود فيها غداة اليوم الذي صدر فيه قرار التقسيم (٢٩ تشرين الثاني ١٩٤٧) واعترف اليهود بعد سقوط الرملة ، انهم كانون يظنون ان حماتها يربون على الآلاف .

وتقوت شكيمتهم عندما انضم اليهم مئتان وخمسون من البدو المتطوعين يقودهم الشيخ فيصل بن شهوان والشيخ جمال المجالي من مشايخ الكرك. وكان ذلك في اوائل شهر شباط ١٩٤٨ .ولكن هؤلاء المتطوعين انسحبوا من الميدان في اليوم الثاني والعشرين من شهر أيار سنة ١٩٤٨، دون ان يقوموا بأي عمل يذكر.

حاصر الرملة سرية من رجال الارغون بعد انسحاب الانكليز منها في ١٤ ايار. حاصرتها بطلب من قيادة الهاغانا. ولكنها صدت بعد ان تكبدت خسائر فادحة. هذا بالرغم من انها كانت مسلحة وكان لدى اليهود يومئذ مدافع قوسية (مورتر) من عيار ثلاث بوصات. وقد امطروا الرملة بوابل من قنابلهم، ولكن المجاهدين العرب كانوا عنداً.

ويقول مناحيم بيغن الذي نقلنا عنه هذا الخبر[1] انه لو تيسر لليهود احتلال الرملة، لتمكنوا بعدها من احتلال اللطرون. ولو تم ذلك لتغير الوضع، لا في قطاع القدس وحده ولكن في جميع انحاء فلسطين.

ولما جد الجد وتسلم الجيش العربي الاردني هذا القطاع انجد الرملة بسرية من المصفحات يقودها ضابط بريطاني برتبة ملازم، يدعى برومج يساعده ضابط عربي برتبة ملازم ايضاً اسمه نايف الحديد. مجموع رجال هذه السرية اربعين وفي قول مئة، مزودين بثلاث مصفحات ومدفعين من عيار ستة ارطال. جاء هؤلاء في ٢ حزيران سنة ١٩٤٨ فتسلموا طريق يافا، من الرملة حتى سكنة فانوس. وما كادوا يحتلون مراكزهم حتى شاهدهم اليهود من (ملجأ الرجاء) فقذفوهم بمدافع المورتر. وقتلوا اثنين منهم وجرحوا ثلاثة. عندئذ ثارت ثائرة الجنود فراحوا يضربون الملجأ. وقذفوه بخمس وعشرين قنبلة. ثم زحفوا صوبه مع فريق من المناضلين الفلسطينيين، واحتلوه. ولكنهم ما عتموا ان انسحبوا منه، فجاء اليهود واحتلوه ثانية.

وما كان ينقضي يوم واحد من اليوم الثاني من شهر حزيران الى أن اعلنت الهدنة الا وكان الفريقان يشتبكان في قتال من الساعة الثامنة صباحاً حتى الساعة العاشرة مساء.

---

١) اقرأ الصفحة ١٥٤ من كتابه The Revolt

وكانت اعنف المعارك هي التي وقعت في الليلة التي سبقت الهدنة . فقد اصطرع الفريقان في تلك الليلة بالمشاة والمصفحات ومدافع المورتر والرشاشات . وكان العرب هم المدافعين . وفي خلال ذلك الاصطراع كان حماة الرملة من ابنائها يقظين ساهرين ، يستعدون لدرء الخطر عن مدينتهم .

وتمكن جنود الجيش العربي ، بمساعدة المناضلين ، من احتلال مستعمرة جيزر الواقعة على مقربة من قرية (البرية) العربية . واسروا ستة عشر يهوديا . وسبع عشرة يهودية من المحاربات فارسلوا الاسرى من الرجال الى عمان . وسلموا الفتيات الى مستعمرة ابن شيمن اليهودية .

ورجع اهل البرية الى قريتهم ، ولكنهم عادوا فأخرجوا منها ومن جيزر في الهدنة (١٥ حزيران) وكذلك قل عن القباب ، فانها سقطت بيد اليهود في أثناء الهدنة . ولم يحرك المراقبون الدوليون ساكناً .

وفي غضون الهدنة وبعد مضي اسبوعين على اعلانها انسحبت من الرملة سرية المصفحات المتقدم ذكرها [١] . واحتلت مكانها سرية المشاة [٢] . قوامها مئة وخمسة

---

١) حدثني السيد محمود علاء الدين رئيس بلدية الرملة انه كان في بيت نبالا في ٩ تموز اثنان وعشرون مصفحة عربية مصفحة يقودها ضابط انكليزي من ضباط الجيش العربي ، وانه وجه نظر ذلك الضابط الى ضرورة استعمال هذه المصفحات ، الا انه رفض قائلا ان لا فائدة من استعمالها ! .

٢) انها من سرايا اللواء الثالث الذي كان مرابطاً بباب الواد يقوده الكولونيل اشتون .

حدثني آمر اللواء نجيب باشا الربيعي امر جحفل اللواء العراقي الذي كان يومئذ مرابطاً في قطاع « رأس العين » ان هذه السرية وصلت قبل سقوط لد والرملة بثلاثة ايام فقط ، وان مجيئها كان بناء على الحاح منه ومن زملائه القواد العراقيين الذين طلبوا من القيادة الاردنية ان تحشد في لد والرملة قوة تكفي لتأمين الاتصال هناك من بين القوات الاردنية والعراقية ، ولم يكن فيها يومئذ سوى محطة لاسلكية وضابط واحد في المطار . وان المحادثة بين العراقيين والاردنيين حول هذا الموضوع جرت قبل سقوط لد والرملة باحد عشر يوماً « اي من اليوم الاول من شهر تموز ١٩٤٨ » ويؤكد اللواء الربيعي ان لاش بك قائد الفرقة الاردنية الاولى اعتذر ، في بادىء الامر لعدم وجود قوات كافة لديه . ثم عاد فارسل السرية المتقدم ذكرها .

وعشرون رجلا. يقودهم الرئيس اديب القاسم. وقد قسم هذا سريته بين لد والرملة. فوضع في لد خمسين جندياً. وابقى في الرملة خمسة وسبعين. وهكذا أصبح عدد المدافعين عن الرملة قبل احتلالها من لدن اليهود، عبارة عن خمسمئة مقاتل.

وكان مع رجال الجيش اربعة مدافع من طراز فيات، وبنادق من نوع تومي وستن. كما كان معهم مدافع رشاشة (رشاس واحد مع كل خمس بنادق). واما عتادهم فقد كانوا يشترونه يوما فيوما، اما من الاهالي أو من البلدية. وقد حدثني صديق اثق بصدق حديثه ان الجيش استعار من اهل الرملة قبل سقوط الرملة بيومين ستة صناديق من الفشك. وقد استعار مثل هذا المقدار من بلدية لد.

ولم يقم رجال هذه السرية بأي عمل يذكر لا في الرملة، ولا فيما حولها من بقاع. ولم ينشئوا حولها الاستحكامات. وانما وضعوا حول المقر أكياساً من الرمل. ليس هذا فحسب. فانهم رفضوا العمل بنصائح اهل المدينة وقادة الر[illegible] بها. وتركوا المناضلين يعملون كما يشاءون. فراح كل فريق يعمل على حدته ولم يكن هناك تعاون عسكري لا بين الفرقاء المحليين ولا بينهم وبين القيادة وفي ذلك ما فيه من خطأ لا يغتفر من الناحية العسكرية. وبدت نتائجه الوخيمة في المعركة التي قامت بعد قليل، وادت الى سقوط المدينة بيد اليهود.

فقد بدأت تلك المعركة بعيد سقوط لد بساعتين الا ربع. فقد سقطت لد في الساعة الثانية والنصف من بعد ظهر الاحد الموافق ١١ تموز. وبدأت معركة الرملة في الساعة الرابعة والدقيقة الخامسة عشرة. بدأت امام قسم البوليس الكائن بين البلدين.

اذ قام زهاء خمسمئة من المشاة اليهود بهجوم على المدينة، تؤازرهم فيه اربع مصفحات من حاملات البرن، وسيارة جيب تقل القائد وآلة اللاسلكي.

وحاول رجال الجيش العربي الذين كانوا يرابطون في عمارة البوليس صدهم. وكان في تلك العمارة ساعتئذ خمسون مقاتلا نصفهم من رجال الجيش والنصف الاخر من رجال الشرطة. وقد انضم اليهم والمعركة قائمة مثل هذا العدد من المناضلين المحليين. فقامت بين الفريقين معركة حامية امتدت الى (بئر الزئبق) و(كرم عبد الرحمن التاجي) وانتهت تلك المعركة باندحار اليهود الى الوراء. وحرق اربع مصفحات من مصفحاتهم

وقد خسروا عدداً من مشاتهم . ومن ظل على قيد الحياة منهم انسحب الى المواقع التي احتلوها امس في لد .

واتت اليهود في اليوم التالي (١٢ تموز) نجدة كبيرة . وكانت فئات كبيرة منهم قد تركزت في القباب ، وكانوا — كما سبق وقلنا — قد احتلوها في غضون الهدنة . فتقدمت هذه الفئات صوب الكنيسة فعنابة ، فجمزو ، ودانيال . وسيطرت على القطاع الكائن الى الشرق من الرملة .

وجاء فيلق آخر من ملبس الواقعة الى الشمال من الرملة فاحتل هذا قريتي قولة والمزيرعة

وتقدمت القوة اليهودية المتركزة في مستعمرة بن شيمن (تلك المستعمرة التي لم يشأ اهالي لد ان يصيبوها بأذى عملا بحق الجوار ... !) فتمت عملية التطويق .

وفيما كانت عملية التطويق تجري على هذا الشكل كان رجال السرية المتقدم ذكرها ينسحبون من المدينة . وفي قول انهم انسحبوا من هناك فور سقوط لد .

وهكذا سقطت الرملة ايضاً بيد اليهود . وقد تم ذلك في ساعة مبكرة من صباح يوم الاثنين الموافق ١٢ تموز سنة ١٩٤٨ .

حدثني الشيخ مصطفى الخيري انه تم الاتفاق مع اليهود عند احتلالهم للرملة ان منازلهم .

ولكنهم عادوا فاعتقلوا زهاء ثلاثة آلاف شاب في سن القتال . وأمعنوا في الباقين من السكان نهباً وسلباً وقتلا وتخريبا . ثم اجبروهم على الرحيل (٤٨/٧/١٤) فرحلوا عن طريق القباب وسـ ـت ومنها الى رام الله . ولم يبق فيها سوى اربعمئة نسمة .

ولقد قتل في المعارك التي قامت حول الرملة ثمانية عشر مناضلا عربياً وقتل مثل هذا العدد يوم الاحتلال . وما كاد يمر على احتلالها عام واحد حتى غير اليهود معالمها . سكنها منهم زهاء ثلاثين الف يهودي .

وكنت تسمع الناس حيثما حللت يتساءلون : لماذا لم يهتم الجيش العربي بالرملة ، ولم يحصنها ؟ ولماذا سحب مدافعه منها خلال الهدنة ؟ واذا كان ينوي الاحتفاظ بها فلماذا اخذ من المناضلين عتادهم (عشرين صندوقا) ؟ اخذه منهم قبل انسحابه ببضع ساعات قائلا : انه يتولى بالنيابة عنهم الدفاع عن مدينتهم . بيد انه لم يدافع عنها .

ولقد سمع الناس الفريق كلوب باشا رئيس اركان الجيش العربي يقول « انـــه هو المسؤول الاول عن اخلاء لد والرملة ، بعد أن فقد الجيش العربي ثلث قواته في ميادين القتال ؛ وان خطوط مواصلاته لم تكن لتسمح له بأن يتغلغل اكثر من هذا التغلغل في جبهة مترامية الاطراف ؛ وان الجيوش العربية الاخرى لم تشد ازره ، ولم تحم جناحه ؛ فالجيش العراقي كان جامداً حيث هو ، بينما انقلب الجيش المصري الى الخليل وبيت لحم بدلا من انيهاجم تل ابيب ... اضف الى ذلك ان العتاد والذخيرة كانا ينقصانه ؛ وقد صادرت الحكومة المصرية في المياه المصرية شحنة من الاسلحة الانكليزية ارسلت الى الاردن الى ان قال : ــ ان هذه الاسباب مجتمعة جعلت الدفاع عن لد والرملة متعذراً . »

وهكذا أضاع العرب لد والرملة ، وهما من المواضع الاستراتيجية الهامة . وضاع بضياعها الامل في ربح الحرب . وما كانوا ليضيعوهما لولا ان حماتها ، وكانوا كثيرين، كانوا يعملون بلا نظام ، ومن غير معرفة باساليب القتال ، ولولا أن سلاحهم ، وكان كثيراً ، كان بلا ذخيرة . فقد كانت مدافعهم بلا قنابل ، ومصفحاتهم بدون سلاح . ولم يكن بين الحاميات المحلية اي انسجام او ارتباط ولم يتخذ الجيش العربي اي تدبير جدي لصيانتهما ، لا بل انه لم يأت اليهما الا في اوائل شهر حزيران ١٩٤٨ ، وذهب كثيرون الى حد الاعتقاد بانه (اى الجيش العربي وان شئت فقل رئيس اركانه غلوب باشا ، وهو انكليزي) امر بالانسحاب منهما خصيصاً ليترك جنـاح الجيش المصري هنا مفتوحاً للاعداء . ولم يكن بين الجيوش العربية المتجاورة (الاردني والعراقي والمصري) اي لون من الوان التعاون . ، وكم كان المنا شديداً عندما كنا نشاهد المعارك قائمة في لد والرملة ، دون ان نسمع طلقة واحدة تطلق ؛ لا من الجيش العراقي الذي كان على يمين الميدان عند رأس العين ، ولا من الجيش المصري الذي كان على يساره في قطاع غزة .

---

١) قال محمود فهمي درويش السكرتير العام لجمعية انقاذ فلسطين ببغداد في الصفحة ٨٦ من كتابه (كارثة فلسطين ان الجيش عراقي الذي كان لا يبعد عن لد والرملة اكثر من ٢٥ كيلو متراً والذي طلب اليه ينجد المدينتين رفض انجادهما . ليس هذا فحسب . بل انه انسحب ، والمعركة قائمة ، من مواضعه .

وحدثني سليمان بك طوقان رئيس بلدية نابلس في اثناء القتال ان العراقيين انسحبوا من رأس العين عندما شرع اليهود بمهاجمة لد والرملة وقد انسحبوا يومئذ الى مجدل يابا ، ولما سقط مطار اللد انسحبوا من مجدل يابا الى كفر قاسم . ولما سقطت اللد انسحبوا من كفر قاسم مسافة كيلو مترين أو اكثر الى الوراء .

ويقتضي الانصاف ان اذكر ما قاله لي العقيد الركن علي غالب عزيز من مقـــاديم الجيش العراقي في اثناء معارك لد والرملة ان القوة العراقية التي كانت يومئذ ترابط في قطاع رأس العين عبارة عن سرية واحدة، وان بقية السرايا التابعة لفوجه كانت مبعثرة في الطيرة وقلقيلية وكفر قاسم ، وان هذه السرايا قامت بواجبها فكانت تضرب بمدافعها ورشاشاتها القطعات اليهودية الزاحفة صوب لد والرملة من ملبس وكفار سركين .

وكانت ثالثة الاثافي في مأساة لد والرملة « ان القائد الذي هاجمها وكان يقود القطعات اليهودية كان اسرائيلياً بريطانياً ، وان اتصالا لاسلكياً بينه وبين الكولونيل لاش الذي كان يقود القطعات الاردنية ، قد جرى والمعركة قائمة ، وقد اتفقا على سحب القوات العربية ؛ فسحبت هذه رغم ارادة الضباط العرب . »[1]

وقع انباء اللد والرملة على القدس

فانقضت هذه الانباء على اهل القدس ، وعلى حماتها المجاهدين الذين كانوا يذبون عن الحمى داخل الاسوار وخارجها ، انقضاض الصاعقة . وانصرفت الهمم ، على اثر ذلك ، لانقاذ اللاجئين ، بدلا من انصرافها لكسب الحرب في الميادين .

وكانت الطرق في اللد والرملة الى رام الله والقدس واريحا ونابلس تعج بآلاف اللاجئين من رجال ونساء وشيوخ واطفال . جلهم ان لم اقل كلهم ، ارغموا على الرحيل من لدن اليهود ، وقسروا على ذلك قسرا . فراحوا يهيمون على وجوههم في الفضاء . بعضهم يفترش الارض ويلتحف السماء . والبعض الاخر يستظل بالاشجار ، وبالعرش المنصوبة وراء الجدران . بعضهم يمتطي ظهور الحمير والبغال وسائر انواع الدواب ، والبعض الاخر يضرب الارض بقدميه . هذا يتسلق الجبال ، وذاك يهبط الوديان . والجميع يسيرون على غير هدى : تارة الى اليمين ، وطوراً الى اليسار . ولقد خيل الي وانا انظر اليهم انهم سكارى ، وما هم بسكارى . ولكن الدهر اصابهم في الصميم . فمزق شملهم ، وشتت اذهانهم . فامسوا ، كما امسوا ، طريدين . لا يعلمون شيئاً عن المصير الذي خبأه لهم هذا الدهر الخؤون : وتذكرت في تلك اللحظة الرهيبة قوله تعالى: الذين اخرجوا من ديارهم بغير حق ، إلا أن يقولوا ربنا الله ؛ ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لهدمت صوامع وبيع وصلوات ومساجد يذكر فيها اسم الله كثيراً . . . « سورة الحج الآية ٤٠ »

---

١) هذا ما قرأته في الصفحة ١٣٨ من كتاب (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) لمؤلفه كامل اسماعيل الشريف ، نقلا عن الزعيم منير ابي فاضل من كبار رجال البوليس ومصلحة الاستخبارات في عهد الانتداب بفلسطين . وقال قائل ان مأمور اللاسلكي الاردني في مركز لد شهد بالاتصال الذي جرى بين القائدين .

ولقد هاج سكان بيت المقدس عندما اتاهم الخبر اليقين . وخشوا ان يحل بهم ما حل باخوانهم • وازدادوا خوفاً عندما وقعت انظارهم على تلك الجموع الزاخرة من اللاجئين : وراحوا يندِّدون بالجيش العربي لاعتقادهم بانه قصر في الدفاع عن اللد والرملة ، وبالانكليز الذين بيدهم مقاليد هذا الجيش •• يندِّدون بهؤلاء واولئك في السر والجهر .. في الطرق والاسواق • في المنازل والمقاهي •• وفي كل مكان • كما راحوا يندِّدون بملوك العرب وامرائهم ورجال جامعتهم الذين قالوا اكثر مما فعلوا ••• وذكروا ، بهذه المناسبة ، مصر والعراق اكثر من اي قطر آخر • لان الجيش المصري لم يقم بأية حركة عسكرية من اليسار حينما كان القتال ناشباً في هذا القطاع . مع ان الطائرات المصرية كانت قبل معركة اللد والرملة تظهر في الجو ، وكثيراً ما ضربت تل ابيب عند بدء القتال . وها هو الجيش المصري نفسه يتعرض للخطر اذ ان جناحه الايمن قد انكشف بسقوط اللد والرملة . كما لم يقم الجيش العراقي باية حركة من اليمين بل انه (اي الجيش العراقي) انسحب ومعركة اللد والرملة قائمة من رأس العين ومجدل يابا وكفر قاسم . وكان له في هذه المواضع مدافع . وكان باستطاعته ان يحطم الجناح الايسر القوة اليهودية المهاجمة .

وبسقوط اللد والرملة انكشف جناح الجيش المصري ، فتعرض هذا لخطر الالتفاف، كما انكشف جناح الجيش العراقي الايسر . وراح اليهود يهددونه. وسار اليهود في تقدمهم فاحتلوا اليهودية (العباسية) . ويلهلما (من قرى يافا) جمزو . عنابة . قولة . المزيرعة (من قرى اللد) . وغيرها من القرى التي كانت في حماية الجيش العربي . واحتل اليهود عرنون فاضحى المصريون المرابطون في بيت جبرين في خطر . والاهم من هذا كله انه اصبح في مقدور اليهود بعد احتلالهم محطة اللد ومطارها ان يزودوا مستعمراتهم الكائنة في جنوب فلسطين بالزاد والعتاد .. ولقد ملأ اللاجئون من ابناء اللد والرملة واللاجئات من بنات هاتين المدينتين ومن القرى المجاورة السهل والوعر . وكنت ترى مناظر تفتت الاكباد من الكتل البشرية على طول الطريق الممتدة من قطاع اللد والرملة الى قطاع رام الله . وكنت يومئذ مسؤولا عن ادارة هذا القطاع . فدعوت الناس المقيمين فيه ، ولا سيا في مدينتي رام الله والبيرة ، الى مديد العون لهؤلاء اللاجئين ؛ وهم اخوانهم في

الوطن والدين . فمدوها . ورحنا ننقل اللاجئين بالعربات والسيارات وبما تيسر لدينا من وسائل للنقل . وكلما وصل فريق ، انزلناه في مكان يقيه شر الحر والتعب . ولم يبق في هاتين المدينتين وفيما حولهما من آكام موضع لقدم ، إلا وآوى اليه اللاجئون ؛ سواء من ذلك الدور والمنازل الخصوصية التي يقيم بها السكان الاصليون ، او المتاجروالحانات والمصانع والمقاهي والاسطبلات والمدارس والمعاهد والكنائس والمساجد ؛ حتى والمغاور والكهوف .

وراح الناس في مكل مكان يتحدثون عن النكبة ، وينقدون الملوك والامراء والحكام والزعماء .

وساد الاعتقاد ان هناك خطة مدبرة (١) لقبول مشروع التقسيم . وما كان يجدى اي قول لاقناع الناس كي يعدلوا عن رأيهم هذا ، وكانت تحوم حوله شائعات مختلفة من قبل .

فكتبت ، على اثر ذلك ، الرسالة التالية ، وبعثت بها الى الملك عبد الله . وكان ذلك في ١٤ تموز ١٩٤٨ . قلت :

جلالة الملك المعظم ،

« ارجو ان يسمح لي سيدي ومولاي المليك المعظم برفع مطالعاتي التالية ، مؤكداً لجلالتكم انه ليس ثمة ما يحدوني اليها سوى حبي لبلادي واخلاصي لعرشكم المفدى . »

« لقد ساءت الحال ، يا مولاي ، في هذه الديار بسبب الوضع الحربي الحالي . وازدادت اليوم سوءا عندما تواردت الانباء مؤكدة سقوط اللد والرملة ، ووقوع عدد كبير من الضحايا بين قتيل وجريح . فساد الذعر ، وتواصل الهرب ، واشتد السخط فعم جميع طبقات الشعب ، وراح الناس يتقولون مختلف الاقاويل : فمنهم من يتهم قواد الوحدات المحاربة ــ وجلهم ان لم اقل كلهم من الانكليز ــ بعدم الكفاءة وقصر النظر ، ومنهم من يتهمهم بسوء القصد . والحالة بوجه عام سيئة للغاية . ولقد باءت جميع المساعي التي بذلت لتهدئة الخواطر بالفشل . وليس يجدي في هذه الآونة الخطيرة الا

---

١) اعترف عبدالله التل انه كانت هناك مؤامرة مدبرة لسقوط اللد والرملة ، وان غلوب باشا كان يهدف الى كشف ميمنة الجيش المصري .

القيام بعمل حاسم يؤدي الى نصر سريع ، يعيد الى النفوس طمأنينتها . فان الناس كانوا ولا يزالون يعتقدون ان هناك خطة مدبرة ترمي في النهاية الى قبول التقسيم . ويزيد في تبلبل البال واضطراب الافكار هذا السيل المنهمر من اللاجئين الذين ملأوا السهل والوعر ، واكثرهم حفاة عراة، وليس في ايديهم ما يدفع عنهم غائلة الجوع والحرمان.»

« وأرى من مصلحة البلاد ومصلحة جلالتكم ومصلحة القضية بوجه عام ان تسحبوا بوجه السرعة القائد[1] الذي يقود القطعات المحاربة ، وان تستبدلوه بقائد اقدر على القتال واخلص للقضية . وحبذا لو عهدتم جلالتكم بهذه المهمة لرجل من ابناء امتنا المخلصين . »

« واني اقترح ان يُمد هؤلاء اللاجئون بالمأوى والغذاء والمؤن اما من شرقي الاردن اذا كان ذلك في مقدورها ، او من مجلس الجامعة . ولا يعدم جلالتكم الوسيلة لايضاح حقيقة الموقف الى المجلس الموما اليه . وجلالتكم القائد الاعلى[2] والقادر على تصريف الامور » .

« والله تعالى أسأل أن يمن على جلالتكم بالصحة والعمر الطويل . وان يسدد خطاكم اينما حللتم وحيثما سرتم ، وليثق مولاي المليك انني لعرشه المفدي من المخلصين . »

فخاطبني جلالته في اليوم التالي (١٥ تموز) وقال لي عن طريق الهاتف :

« اخذت رسالتك . اسفت لما حدث . واسفت ايضاً للذعر الذي جعل الموقف يتطور الى تسليم ، بينما كان المنتظر ان يقف الناس ، وان يثبتوا . وكان من المنتظر ان تقوم النجدات من كل النواحي العسكرية والوطنية بواجبها . انا حزين لما وقع والجيش الاردني الذي هو من ابتداء الفاجعة الى اليوم يقوم بتضحيات ويحافظ ما امكن على المقدسات يجب ان يشكر ... والمنتظر منكم ان تفهموا العالم بانا لا نستطيع ان نغلب العدو اليهودي ونحن في بلاد تضج وتنهزم ، ثم ترمينا بما ليس فينا ، بلغوا العامة سلامي وحزني . واطلبوا اليهم ان يثبتوا في أوطانهم . فالثبات والايمان رأس كل شيء .

---

١) اعني به لاش بك الانكليزي قائد الفرقة الاولى .
٢) كانت الدول العربية في هذه الفترة من التاريخ قد اتفقت على جعل الملك عبدالله القائد الاعلى للجيوش المحاربة بفلسطين .

وجاء بعد قليل (٣ آب ١٩٤٨) الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، يتفقد اللاجئين ويرى بعينيه ما حل بهم . فاستقبلته في مطار قلندية . وكان ذلك بأمر من الملك عبد الله ورافقته الى حيث يقيم اللاجئون . فراح هؤلاء يصفون ما اصابهم من بؤس وكرب ، وكان الوسيط يومئذ مقتنعاً ، ان هؤلاء اللاجئين قد اخطأوا ، اذ غادروا منازلهم بمحض اختيارهم ، رغم ان اليهود طلبوا اليهم البقاء حيث كانوا . ، هذا ما قاله لي الوسيط يومئذ . وهو بالطبع ما قاله له اليهود . فا كدت له ان اليهود كاذبون ، وان ما قالوه له ليس الا افكاً وبهتاناً ، وان هؤلاء اللاجئين لم يغادروا منازلهم برضاهم ، وانما هم اكرهوا على مغادرتها . وقد زودته ببيان مشفوع باليمين وقع عليهم مئة من كبار اللاجئين ، في طليعتهم رئيسا بلديتي اللد والرملة ، واعضاء المجالس واللجان المحلية ، ورؤساء الطوائف المسيحية على اختلاف مذاهبهم من روم وبروتستانت ولاتين ، وعدد كبير من المخاتير وعيون البلاد التي احتلتها اليهود .

فاقتنع الوسيط عندئذ ان اللاجئين أخرجوا من ديارهم قسراً . فراح يقنع اليهود كي يسمحوا برجوع اللاجئين الى ديارهم . ولما رفض هؤلاء الانصياع الى طلبه ، رفع الامر الى مجلس الامن طالباً اتخاذ التدابير اللازمة لارجاعهم . والى ان يتم رجوعهم طلب الى هيئة الامم ان تخصص الاموال اللازمة لاعاشتهم الامر الذي فصلناه تفصيلا في الفصل الذي خصصناه لمشكلة اللاجئين بوجه عام في موضع آخر من هذا الكتاب .

وما اود ان اقوله هنا هو ان سقوط اللد والرملة بيد اليهود يعتبر كارثة من اهم الكوارث التي حلت بفلسطين ، وانني ـ بعد هذا الحادث ـ اصبت بيأس شديد .

بعد ان وقف القتال وهدأت الاعصاب سألت الفريق كلوب باشا بوصفه رئيس اركان حرب الجيش العربي الاردني السؤال التالي :

« المعروف ان القوة الاردنية في لد والرملة قبل سقوطها كانت عبارة عن سرية واحدة . فهل هذا صحيح ؟ وهل كان مع القوات الاردنية مصفحات ومدافع ؟ ولماذا لم يحصن الجيش العربي هاتين المدينتين قبل سقوطهما ؟ »

فاجابني في كتابه المؤرخ ١٩٥٥/٢/١٥ رقم ق ٦١٠/١/٤٠ كما يلي :

« كانت قوة الجيش الاردني المقاتلة ، عند بدء القتال في شهر مايس ١٩٤٨ .

عبارة عن ٤٥٠٠ جندي ؛ بينما كان عـدد اليهود المسلحين والمدربين ٦٥٫٠٠٠ سيق معظمهم لمقاتلة الجيش الاردني في قطاعي القدس واللطرون . ذلك لانهم (اي اليهود) كانوا يريدون فتح طريق باب الواد من اجل انقاذ القدس . »

« وكانت هناك ، في تلك الفترة ، معركتان قائمتان بيننا وبين اليهود : احداهما في مدينة القدس حيث كانت لنـا كتيبتان ، والثانية في اللطرون حيث كانت لنا كتيبتان اخريان . ولم تكن لدينا بين هذين القطاعين سوى سرية واحدة هي الـتي وضعناها في منطقة الرادار لتسد الطريق بين قرية ابي غوش وقرية بدو ورام الله . »

« ومن حسن حظنا انا تمكنا من صد اليهود الذين لم ينفكوا ليلة واحد ، خلال عشرين يوماً ، عن مهاجمة قطعاتنا المرابطة في قطاع اللطرون . ولو تغلبوا علينا في ذلك القطاع ، لاجتازوا باب الواد في طريقهم الى القدس ؛ ولاصبح في امكانهم ايضاً ان يجتازوا طريق بيت سيرا ـ بيت عور ـ فرام الله ، وفي هذه الحالـة تصبح نابلس ايضاً في خطر ؛ حتى وعمان ... »

« ولما لم تكن لدينا قوات احتياطية خلف الكتائب المتقـدم ذكرها ، ولم يكن بامكاننا ان نستغني عن اي جزء من الجنود المرابطين في اللطرون فقد اجتمعنا بالحكومة واتفقنا على انه ليس بالامكان ارسال قوات الى لد والرملة . »

« عندما تأكدنا في اتمام عقد الهدنة الاولى فكرنا ان الحرب ستنتهي عند هذا الحد لذلك وقبل ابتداء الهدنة باربع وعشرين ساعة ارسلنا سرية الى لد والرملة . وكنا نهدف من وراء ذلك الى غايتين : اولاهما ان نثبت حقنا فى تلك المنطقة العربية ، لئلا يدعى اليهود انها منطقة محايدة ، ذلك لان كلتا الحكومتين لم تكن قد وضعت يديها . والثانية ان نحفظ الامن الداخلي فيها . اذ لم يكن هناك حكومة تسيطرعلى الامن . وكان السكان قد شكوا كثرة السرقات . »

« ولما بحثنا مع الحكومة تعيين حكام عسكريين لبعض المناطق لم يجد توفيق باشا ابو الهدى من الحكمة تعيين حاكم عسكري لمنطقة اللد والرملة . لانه قدر عدم امكانية الدفاع عن تلك المنطقة . فلو هوجمت وسقطت وكان فيهـا حاكم عسكري اردني ، لاعتبر ذلك انكساراً للحكومة الاردنية . »

الى ان قال :

« لم نكن نفكر اثناء الهدنة الاولى ان القتال سيعود مرة اخرى . ولما فوجئنا بقرار الدول العربية بعدم تجديد الهدنة واستؤنف القتال ، بدأ اليهود هجومهم على اللطرون ، واستمرت هجماتهم الشديدة حتى بدأت الهدنة الثانية في الساعة الخامسة من بعد ظهر اليوم الثامن عشر من شهر تموز ١٩٤٨ . فما كان باستطاعتنا ان نسحب من هناك اي جزء من قواتنا . ولو انسحبنا من اللطرون لتمكن اليهود من فتح الطريق الى القدس .. والى رام الله .. ولتغلغلوا في الاردن . »

مياه (رأس العين)

اسفرت معارك اللد والرملة ، تلك المعارك التي انتصر فيها اليهود وخذل العرب ، عن نتائج خطيرة منها واهمها سقوط (رأس العين) بيد اليهود . هذا النبع الغزير الذي كانت القدس تشرب من مياهه ، وتعيش عليه . فما كاد العراقيون ينسحبون من هنـاك حتى جاء اليهود واستولوا عليه . وكان ذلك في ١١ تموز ١٩٤٨ .

ولكن الاحياء اليهود القائمة غربي المدينة بالرغم من ذلك لم تذق طعم الماء من هذا النبع بسبب الانابيب التي حطمها المناضلون في عدة مواضع وبسبب سيطرة العرب في قطاع باب الواد ، الا بعد سنتين عندما تمكن اليهود من انشاء خط فرعي لتلك الانابيب يمر باتجاه آخر . وقد تم ذلك في شهر حزيران ١٩٥٠ وقد ذكرنا ذلك في موضع آخر من الكتاب .

القتال في القدس بين الهدنتين

ولم تقف رحى الحرب في القدس في الايام التي انقضت بعد ان استؤنف القتال ، لا ، ولا انقطع قصف المدافع من الناحيتين ـ العربية واليهودية . فقد قصف العرب بمدافعهم الاحياء اليهودية في ١١ تموز ، ودمروا جانباً كبيراً من النوتردام وقصف اليهود المدينة القديمة بقنابلهم من مدافع المورتر في ١١ تموز فقتل اربعة من رجال الجيش العربي كما قتل مقدسي من دير ابي طور ، وسقطت احدى القنابل اليهودية في ساحة الحرم (في ١٢ تموز) ، فقتلت ثمانية عشر عربياً وجرحت عشرين ممن كانوا ينصتون الى ناطق من الجيش العربي يحمل اليهم من عمارة الروضة انباء القتال في الجبهـات الاخرى .

ودفن المقتولون في مقابرهم في اليوم التـالي (١٣ تموز) ولاقى حتفهم في ١٢ تموز ستة من العرب ـ اثنان منهم يمانيان وواحد من جنين وواحد من سنجل وواحد من الجيش العربي والسادس مقدسي. ذلك اثر معركة دارت رحاها بين الفريقين ودامت طيلة ذلك النهار لم تسلم من اذاها القدس، ولاضواحيها. وفي ١٣ تموز قتل مسيحي ومسيحية في حارة النصارى.

ودام تبادل نيران المدافع بين الفريقين في الليل ١٣ ـ ١٤ تموز.

وقصفت المدافع العربية الاحياء اليهودية بشدة في ١٤ تموز وسقطت قرب منتصف الليل بعض قنابل المورتر اليهودية في ساحة كنيسة القيامـة وفي ساحة الحرام، ولكنها لم تحدث ضرراً.

وقامت طائرات اليهود بغارة جوية على القدس قرب منتصف الليـل في الخامس عشر من شهر تموز ١٩٤٨. وفي صبيحة اليوم التالي (١٥ منه) قتـل تسعة اشخاص من العرب عند باب السيدة مريم. واتت الاخبار مؤيـدة قيام الطائرات اليهوديـة، او الطائرات الاميركية والتشيكوسلوفاكية التي تعمل لحساب اليهود، بغارات جويـة على القاهرة. وتكررت هذه الغارات على القاهرة في اليوم الخامس عشر والسابع عشر حتى وفي العشرين، والثاني والعشرين من شهر تموز ١٩٤٨ اى بعد إقرار الهدنة الثانية ببضعة ايام.

وفي ١٥ تموز كان القتال شديدا. وقتل من الطرفين خلق كثير. اما قتـلى اليهود فلا نعرف عنهم الا النذر اليسير. اذ كان اليهود ينقلون قتلاهم قبـل طلوع الفجر. واما العرب فقد خسروا احـد عشر شهيدا ـ اثنان منهم من السواحره. واثنـان من الخليل وواحد من لفتا. والباقون من ابناء بيت المقدس.

واستعمل اليهود في قتالهم هذه المرة مدافـع ثقيلة وسقطت قنابلهم حول ارض الحرم وعند باب الاسباط وفي راس العمود. وتمكنوا من عرقلة وسائـل النقل العربية بين القدس واريحا عند المكان المعروف براس العمود.

وكان السلاح متوفراً لـدى اليهود اكثر من ذى قبل. وقـد خصصوا ٢٠٪ من السلاح الـذى حملته اليهم الباخرة (الطالينا) لاجل القتال في مدينـة القدس. لان موقفهم فيها كان، قبل الهدنة الاولى، سيئاً للغاية.

المراقبون الدوليون

اقام الوسيط الدولي في خطوط القتال بالقدس ، اثر فشل مساعيه لتجريدها من السلاح ، ثلاثة وسبعين مراقباً دولياً : ٣١ منهم أمروا بالعمل في الخطوط العربية و٣٥ في الخطوط اليهودية و٧ في المنطقة الدولية على جبل الزيتون .

فاعتقد العرب ان جل هؤلاء المراقبين ان لم يكونوا كلهم جواسيس لليهود من ناحية ، وللدول التي ينتمون اليها من الناحية الاخرى . وقال اليهود عنهم انهم جواسيس للعرب .

معركة جولس بعد استئناف القتال

في ٩ يوليو صدر الامر الى الكتيبة السادسة (جمال عبد الناصر) ان تسلم مواقعها الى الكتيبة الخامسة المتقدمة من غزة ، وان تتقدم هي (اي السادسة) فتستولي على جولس في ساعة مبكرة من صباح ١٠ يوليو .

وقال جمال عبد الناصر الذي تلقى الامر [1] ان هذا الامر وقع عليه وعلى رفاقه الضباط وقع الصاعقة . اذ انهم وجهوا الى معركة لم يعددوا انفسهم لها (! . . .) والى بلد لايعرفون عنها وعن مواقعها ، وعن قوة العدو المرابط فيها شيئاً . . . ولهذا احتج ولكن . . اين من يسمع ؟

حاول هو ورفاقه ان يقوموا بعملية استكشاف . وقد اقتربوا من جولس حتى اصبحوا على بعد كيلو متر واحد منها . ولكن العدو احس بوجودهم ، فراح يطلق عليهم قنابل الهاون . فعادوا ادراجهم . . .

وفي الميعاد المحدد وقعت المعركة . وقامت الكتيبة بالهجوم . ولكنها فشلت . لان اليهود كانوا لها بالمرصاد . وقتل في هذه المعركة اسماعيل محي الدين .

خلاف وقع بين قائد الكتيبة السادسة واركانها (جمال عبد الناصر) .

جمال رسم خطة . لم يرض عنها القائد ، قائلا :

« وحياتك ياخويا بلاش الكلام بتاع كلية اركان حرب ده ! » وترك القائد مقر القيادة (حيث كان بامكانه ان يوجه المدافع والطيارات) ونزل هو والركن الى حيث

(١) مذكرات جمال عبد الناصر في العدد ١٠٦٤ من مجلة (آخر ساعة) بتاريخ ١٠ - ٣ - ١٩٥٥ .

كان الجنود المشاة . وفي الطريق غرزت سيارتها . فلاهم وصلوا الى حيث الجنود المشاة ولابقوا في مقر القيادة يوجهون المدافع والطائرات .

وعبثاً حاول قادة السرايا الاتصال بالقائد : وكان هؤلاء يرسلون الاشارات المختلفة باللاسلكي : واحدة تقول . « وصلنا الى الغرض . ماهي اوامركم ؟ » وثانية تقول « نحتاج الى » ذخيرة . وثالثة تقول : « ارسلو حمالات لنقل الجرحى . . .

ولكن ليس ثمة من يجيب . وبعد لأي صدرت الأوامر الى السرايا المبعثرة بالانسحاب وأمر قائد الكتيبة السادسة بالتوجه الى القاهرة . وقد سلمها الى قائد جديد . وهذا ايضاً أمر باحتلال جولس الا انه تردد في تنفيذ الامر . وذلك لان جمال عبد الناصر اقنعه كما اقنع القيادة العامة بان احتلال جولس مستحيل والجنود على ماهم عليه من روح معنوية مفقودة ! . . والضباط لا يعرفون عن جولس وموقعها وطبيعة اراضيها لاولا عن عدد العدو واسلحته شيئاً ! . . .

معارك الشجرة

(الشجرة) قرية عربية من اعمال طبريا . يسكنها ، حسب الاحصاء الرسمي الذي اجرته حكومة فلسطين عام ١٩٤٥ سبعمئة وسبعون نسمة معظمهم مسلمون . والباقون (٤٨) مسيحيون .

ويقوم الى جانبها مستعمرة يهودية باسم (سجرة) بلغ عدد سكانها في السنة نفسها ٢٤١ . ثم كبرت واتسعت وحصنها اليهود ، لوقوعها بين مجموعة من القرى العربية هي : الشجرة ، ولوبية ، وطرعان ، وكفركنا ، وعين ماهل ، وعرب الصبيح ، والدباحين . وكان يقوم على مقربة من هذه القرى عدد من المستعمرات ، واماكن الاحتشاد اليهودية الاخرى ؛ كمسحة ، وسارونا ، والشعارة ، وبيت كيشيت ، ومدرسة خاضورى ، وكفار طابور .

وكثيراً ما حدث اصدام بين هاتين المجموعتين من القرى والمستعمرات الواقعة بين قطاعي الجليل الادنى والاعلى . وكانت معظم الاشتباكات تقع بين قرية (الشجرة) العربية ومستعمرة (سجرة) اليهودية .

وكان الصراع عنيفاً . كلف كلا الفريقين زهاء الف قتيل ، والف جريح . وقد

استشهد في احدي المعارك التي قامت في هذا القطاع الشاعر الفلسطيني المجاهد المرحوم عبد الرحيم محمود وسنأتي على ذكره عندذ كرنا للمعركة التي استشهد فيها. ونال الشهادة، في المعركة نفسها، المجاهد محمود سليم الصالح الملقب بابي عاطف. وهو من قرية عموقة من اعمال صفد.

ومن قادة النضال الذين ابلوا في معارك الشجرة بلاءً يستحق الذكر ابو ابراهيم الصغير وعبد اللطيف قاسم القاهوم. وقد اعترف اليهود ببطولة المناضلين الفلسطينيين اذ جاء في (المجلة العسكرية اليهودية) بقلم قائد اشترك في القتال:

«القروي العربي الجليلي صلب العود. محارب عنيد وجرىء. ولقد احسسنا في منطقة شرق الناصرة بحركة قتال منظم. ولمسنا فيه اليد المحركة الخبيرة في قيادة العصابات

هذا عن المناضلين الفلسطينيين. واما القوات النظامية، فكان يقودها فوزي القاوقجي وكانت هذه مزودة بمدافع الميدان من عيار ٧٥ ملمترا والمدافع الرشاشة من طراز هوشكس والمدافع القويه (مورتر) من عيار بوصتين والمصفحات. ولم يكن اليهود اقل تسلحا من العرب، بل كانوا مثلهم او اكثر. وكانت لديهم مدافع قوسية (مورتر) من عيار ثلاث بوصات. وكثيرا ما اشتركت الطائرات من الطرفين في القتال.

والسبب الذي حدا بكلا الفريقين للاهتمام بهذا القطاع والسيطرة عليه هو وقوعة في موضع استراتيجي هام. من سيطر عليه نال النصر لا في منطقة الجليل فحسب، بل في الجزء الشمالي من فلسطين. ولطالما تذكرت موقعة (حطين) التي تغلب فيها صلاح الدين على الصليبيين (٢٥ ربيع الثاني ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م) وانا اتتبع معارك الشجرة التي قامت بين العرب واليهود في صيف عام ١٩٤٨. بلى وربك انها كحطين. وكما مهدت حطين الطريق لجيش المسلمين في ذلك الحين فسيطروا على البلاد وفتحوا بيت المقدس (٢٧ رجب ٥٨٣ هـ ـ ١١٨٧ م) فان انتصار اليهود في الشجرة وما حولها من بقاع مهد لهم السبيل لا، لاحتلال الناصرة فحسب، وانما لاحتلال الجليل كله.

بدأت المناوشات بين العرب واليهود في هذا القطاع في شهر شباط ١٩٤٨، يوم راح العرب يقطعون طرق المواصلات اليهودية. واما الاشتباكات الجدية بين الطرفين فلم تبدأ الا في شهر آذار. واتسع القتال في شهر نيسان. وبلغ اشده في شهر ايار. وكانت المعارك التي وقعت بين اليوم السادس من شهر ايار، والثامن عشر من شهر

تموز هي الفاصلة ، ولقد خسر الفريقان في هذه المعارك عددا كبيرا من القتلى والجرحى ففي المعركة التي قامت في ٦ ايار فشل اليهود في احتلال الشجرة . ولكن سكان هذه القرية اخلوها لوقوعها في ساحة القتال . وكذلك قل عن سكان قرى عولم ، ومعذر وحدثا وما الى ذلك من القرى التابعة لطبريا ، وسيرين من قرى بيسان القريبة من ساحة القتال واما قرية (كفركما) الشركسية فان سكانها لم ينزحوا عنها . اذا اعلنوا للفريقين انهم سيبقون على الحياد . واشتد القتال في اواسط شهر ايار ، وحاول اليهود احتلال (لوبية) الا انهم فشلوا . وارتدوا الى الوراء تاركين عددا كبيرا من القتلى . وتقدم العرب نحو مستعمرة (سجرة) وكادوا يحتاونها . لولا الهدنة الاولى التي اعلنت في ١١ حزيران ١٩٤٨ وكانت مواضع الفريقين ، عند اعلان الهدنة لا يبعد بعضها عن البعض الآخر اكثر من مئة وخمسين الى ثلاثمئة مترا .

راح الفريقان يقويان تحصيناتهما خلال فترة الهدنة ولكن اليهود كانوا اسبق في هذا المضمار . فقد اتتهم نجدات كثيرة ، ومقادير كثيرة من السلاح والعتاد ، هذا بالاضافة الى الخنادق التي حفروها حول المستعمرة ، والالغام التي زرعوها .

فما كادت الهدنة تنتهي ، والقتال ينشب من جديد (٩ تموز) حتى التحم الفريقان . وقامت بينهما معارك حامية . وكان زمام المبادرة تارة بيد العرب وطورا بيد اليهود ؛ وكثيراً ماتبادلت الأيدي بعض المشارف والتلال . ولكن الغلبة كانت في معظم الحوادث بجانب اليهود . اذ كانوا ، كما قد منا ، قد تقووا بالنجدات والاسلحة الجديدة التي اتوا بها خلال فترة الهدنة منها عدد من مدافع الميدان . فتمكن اليهود من احتلال كفرسبت في ١١ تموز وهي قرية عربية من اعمال طبريا ، وسيرة العجل ؛ وهي خربة عربية اخلاها العرب في الليل . وقتل في هذه المعركة القائد اليهودي (فريتس يوردن) .

ودام القتال في اليومين التاليين . وكان فيهما اعنف من اية مرة سبقت . اذ قام العرب بهجمات متتالية على اليهود اكثر من مرة واحدة . وكان عدد المحاربين في كل مرة يتراوح بين السبعين والمئة . ولكن اليهود تمكنوا من صد هذه الهجمات ، بفضل مدافع الميدان الجديدة والنجدات الكثيرة التي كانت قد وصلت الى الميدان . ولاسيما الطائرات التي ظهرت في سماء المعركة والتي رفعت معنويات اليهود بعد ان كانت قبل الهدنة قد هبطت الى الحضيض . وانكسرت معنويات العرب عندما اتتهم انباء اللد

والرملة وسقوطها بيد اليهود ، وكان عدد مقاتليهم في قطاع الناصرة قد انخفض ونفدت ذخائرهم وعبثا حاولوا طلب النجدة من مقر القيادة العامة ورغم الكرات العنيفة التي قاموا بها ضد اليهود في المعركة التي قامت في ١٣ تموز غلبوا على امرهم . ولقد اعادوا الكرة في اليوم التالي (١٤) تموز فطوقوا المستعمرة . وتخطوا منطقة الألغام . ووصلوا الى نقطة تقع على مرمى القنابل اليدوية من متاريس المستعمرة واستحكاماتها ، إلا انهم لم يتمكنوا من احتلالها . فانسحبوا من امامها . واتى اليهود على اثر ذلك ، فاحتلوا الشجرة في ١٥ تموز ، ودبوريا في ١٦ . وانقطعت حركة المواصلات العربية على طريق الناصرة انقطاعا تاما . وعزلت الناصره عن القطاعات العربية المجاورة لها . فلم تلبث ان سقطت بيد اليهود . وقد فصلنا ذلك في موضع آخر من هـذا الكتاب . وسقطت بعد الناصرة ، قرى طرعان ولوبية ونمرين في ١٨ تموز ، وعين ماهل في ١٩ منه .

لانستطيع ان نختم هذا الفصل قبل ان نأتي على نبذة من تاريخ حياة بطلين من ابطال الجهاد في هذا القطاع . احدهما قد لبى نداء ربه وهو يؤدي واجبه ، والثـاني كتب له البقاء بعد ان ابـلى في ميدان القتال بلاء يستحق التقدير . اما الثاني فانه عبد اللطيف قاسم الفاهوم .

واما الأول فهو الشاعر الفلسطيني الطيب الذكر عبدالرحيم محمودويكني بابي الطيب . اصابته رصاصـة في المعركة التي دارت رحاها امام الشجرة في ١٣ تموز فقضت على حياته وكان قبل ان يلفظ النفس الأخير وهو محمول في محفة على اكتاف اصدقائـه الذين نقلوه الى مستشفى الميدان يتمتم هذه الكلمات : ـ

احمـلوني احمـلوني   واجذروا ان تتركوني
وخذوني لاتخـافوا   واذا مت ادفنـوني

واستمرت شفتاه تدمـدمان ، الى ان تلاشى صوته ، وطارت روحه الى بارئها راضية مرضية .

كان رحمه الله معلما في كلية النجاح الوطنية بنابلس وكان يدرس تاريخ الأدب العربي في تلك الكلية . كان يكره الاستعمار والمستعمرين . ويحب وطنه حبا لامزيـد عليه . التحق بالثورة التي قامت في فلسطين عام ١٩٣٦ ، فقاد احد الفصائل وجرح في احدى المعارك التي شنها الثوار على الجنود البريطانيين .

ولماخبت نار تلك الثورة طاردته السلطة ، ففر الى العراق (١٩٣٩) .

ولما صدر قرار التقسيم ، وقامت الحرب بين العرب واليهود في فلسطين (١٩٤٨) نزل الى الميدان وكانت اول قصيدة نظمها في هذا الباب ، قال فيها :

دعا الوطن الذبيح الى الجهاد فطار لفرط فرحته فؤادي
وسابقت النسيم ولا افتخار أليس عليّ ان أفدى بلادي
حملت على يدي روحي وقلبي وما حملتها الاعتـادي
وقلت لمـن يخافُ المنـايا أتفرق من مجابهـة العوادي
أتقعد والحمى يرجوك عونا وتجبن عن مصاولة الاعادي
فدونك خدر امك فاقتحمه وحسبك خسة هذا التهادي
فللا وطان اجناد شـداد يكيلون الدمـار لاي عادي
يلاقون الصعاب ولا تشاكي اشاوس في ميادين الجلادي
تراهم في الوغى اسدا غضابا معاويناً اذا نادى المنادي

●

بني وطني دنا يوم الضحـايا اغر على ربي ارض الميعـاد
فمن كبش الفداء سوى شباب ابيّ لا يقـيم على اضطهاد
ومن للحرب ان هاجت لظاها ومن إلّا كم قـدح الزنـاد
فسيروا للنضـال الحق نارا تعب على العدى في كل وادي
فليس احط من شعب قعيـد عن الجلى وموطنه ينـادي
بني وطني افيقوا من رقـاد فما بعـد التعسف من رقاد
قفوا في وجه اي كان صفـا حديـدا لايؤول الى انفراد
ولاتجموا اذا اربـدت سماء ولا تهنوا اذا ثـارت بوادي
ولا تقفوا اذا الدنيا تصدت لكم وتكاتفوا في كـل نادي
اذا ضاعت فلسطين وانـتم على قيد الحياة ففي اعتقادي
بان بني عروبتـنا استكانوا وأخطأ سعيهم نهج الرشاد

●

فسافر في منتصف شهر كانون الثاني ١٩٤٨ الى بيروت ومنها الى الشام . وبعد ان تدرب في معسكر (قطنا) على القتال التحق بجيش الأنقاذ . فنزل (بلعا) واشترك في

معركة (بيار عدس) مع سرية من سرايا فوج حطين . كما اشترك في معركة قامت في (راس العين) على مقربة من مستعمرة ملبس اليهودية . وفي شهر نيسان ١٩٤٨ عين آمراً للانضباط في مدينة طول كرم .

وكان يدون مشاهداته في مذكرات دأب على تدوينها يوما فيوما . وكان فيها ، كما في غيرها من الحالات ، صريحاللغاية . وكان تقيا . وكثيرا ما وجه سهام لومه وتقريعه الى الرؤساء الذين شغلوا انفسهم بالقشور اكثر من اللباب . وكثيرا ما عبر عن المه لبعده عن ميادين القتال . من ذلك مانقله ابن عمه عنه في هذا الصدد . اذ قال له ابن العم :

آه ما أعذب ايام النضال — واحيلى الموت في نيل المعالي
لاتقل لي وانا اغشى الوغى — حاذر الرمية تسلم في النضال
رب ساع لم يمت في سعيه — وقعيد مات في غير نضال
ما جمال العيش الاوقعة — في سبيل الحق والرأي المثالي

فاجابه بقوله : —

كشري ماشئت ياسود الليالي — فابو الطيب لا يخشى العوالي
ان تقاعست عن الحرب فاني — مجرم يقعد عن شأو المعالي
غايتي القى المنايا عاجلا — في مجالى العلم او ساح النضال
فابسمي يا ام عبد إنه — زف للحور وولى وهو عالي

وقد اشترك بعد ذلك في النضال الذي قام حول الرملة . وفي قطاع الناصرة ، وكان قد رقي الى رتبة (ملازم اول) وكان مساعداً لآمر الفوج المسؤول عن الناصرة وعندما اشتدت معارك الشجرة ، أمّها ليساهم في درء الردى عنها . أمها ولسانه يقول :

ساحمل روحى على راحتي — والقى بها في مهاوي الردى
فاما ممات يسر الصديق — واما حياة تغيظ العدا
ونفس الشريف لها غايتان — ورود المنايا ونيل المنى
لعمرك ها قد دنا مصرعي — وإني أغذ اليه الخطى
ارى مقتلي دون حق السليب — ودون بلادي هو المبتغى

●

وظل يناضل مع اخوانه المجاهدين نضالا منبعثا من صميم النفس ، الى ان اصابته شظية من شظايا قنبلة قذف بها اليهود وهي من النوع المعروف بالسلبند . فاصابته في عنقه وذقنه واسفل وجهه فخر صريعا .

رحمه الله واسكنه فسيح جناته .

سقوط الناصرة

وما كاد الناس يفيقون من سكرتهم ، اثر سقوط اللد والرمله ، حتي اتاهم نبأ (الناصرة) ، وسقوطها بيد اليهود ، وتبعثر قوات جيش الانقاذ في تلك الجبهة . فاعتبروها ثالثة الاثافي بعد اللد والرمله . وتبددت آمالهم في النصر .

سقطت الناصرة بيد اليهود في الساعة الثالثة من بعد ظهر اليوم السادس عشر من شهر تموز ١٩٤٨ . سقطت من غير قتال . اذ كان جيش الأنقاذ قد انسحب منها قبيل سقوطها .

وكان فيها قبل سقوطها ١٩٣ مقاتلا عربيا ٦٥ منهم تابعون لجيش الانقاذ يؤلفون فوج حطين ، وكانوا بقيادة اثنين من العراقيين هما الرئيس مدلول عباس والرئيس [١] عامر ، و٢٨ من رجال الجهاد المقدس يقودهم توفيق ابراهيم الملقب بابي ابراهيم الصغير ، وهو من قرية اندور من اعمال الناصرة [٢] ، ومن ١٠٠ مناضل من سكان الناصرة وقراها بقيادة عبد اللطيف بن الشيخ قاسم الفاهوم مفتي الناصرة . وهذه القوى كلها (جهاد وانقاذ) كانت تأتمر بأوامر القاوقجي قائد جيش الانقاذ .

---

(١) كان آمر الحامية مدلول وانسحب مدلول من الناصرة قبل سقوطها بثلاث ايام ولما جرح هذا في معركة الشجرة تولى قيادة تلك المنطقة عامر حسك .

[٢] قال ابو ابراهيم الصغير في تقريره الذى رفعه الى العميد الركن طه باشا الهاشمي عندما اجتمع به في دمشق بتاريخ ٣١ اذار ١٩٤٨ أن قوته في الناصرة كانت يومئذ عبارة عن ٢١٠ مجاهدين ، اكثرهم من مسرحي قوة الحدود الفلسطينية : وان لديه اربعة من الضباط احدهم الماني . وان معظم سلاحه انكليزي وبعضه افرنسي وايطالي وان لديه خمسة رشاشات من طراز برن ، ومدفعاً واحداً من طراز هاون . ولكن ليس لديه من قنابل الهاون اكثر من خمس قنابل

وكان رجال جيش الانقاذ قد اتوا اليها من لبنان قبل اعلان الهدنة الاولى بيوم واحد (١٠ حزيران) .

ولقد قدر الخبراء عدد اليهود الذين هاجموا الناصرة واحتلوها بخمسمئة من المشاة ، مزودين بثلاث عشرة دبابة وخمسين سيارة جيب وبعدد من المدافع الثقيلة . وحلقت في سماء الناصرة ، ساعة احتلالها ، ثلاث طائرات يهودية : واحدة من الطراز الخفيف واثنتان من راجمات الالغام . وكانت القوات اليهودية هذه بقيادة اميركي مسيحي برتبة زعيم .

زحفت القوات اليهودية على الناصرة من ثلاث جهات : من صفوريا (في شمالها الغربي) ومن كفارها حوريش على طريق حيفا (الى الغرب من الناصرة) ومن مرج بن عامر (الى جنوبها) . والقوات التي اتت من ناحية صفورية هي التي احتلتها اومن تلك الناحية قام اليهود هجومهم الرئيسي .

وكان الجنود اليهود الذين دخلوا مدينة الناصرة يرتدون ثياباً عربية . ولما رآهم الأهلون فرحوا . اذ ظنوا انهم عرب جاؤا لانقاذ الناصرة . فراحوا يزغردون ، ويصفقون . وزغردت احدى السيدات [1] مرحبة بابناء العروبة (؟) قائلة : « حاج امين ! يا منصور ! » فقتلها اليهود .

وقتل من العرب في حركات الناصرة ٨٣ رجلا بعضهم من المدنيين والبعض الاخر من الجنود والمناضلين . وغادر المدينة ، قبل احتلالها، الف من سكانها المسلمين ، ونفر قليل من المسيحيين . وكان عدد سكانها (عام ١٩٤٥) ١٤,٢٠٠ منهم ٥,٦٠٠ مسلمون و ٨,٦٠٠ مسيحيون .

ويعزو الخبراء العسكريون انهيار الدفاع في الجليل الى اسباب عديدة ، منها ان الجيش العراقي الذي كان يرابط في قطاع جنين لم يقم باي عمل يذكر ليسند جناح القوى المقاتلة في الجليل عندما كانت المعركة قائمة هناك . ووجد اليهود في الناصرة ، بعد احتلالها ، اربعة الاف بندقية . وبسقوط الناصرة تبعثر جيش الانقاذ ، بعد أن تكبد خسائر فادحة .

---

[١] انها راضية المهدى المكناة بام فؤاد العلوطي . وولدها هذا فؤاد من المجاهدين الذين اشتركوا في الجهاد وابلوا في الدفاع عن الناصرة بلاء حسناً .

حدثني الشيخ سعد الدين افندي العلمي المقدسي ، وكان في فترة القتـال قاضيا في الناصرة ، انه كان للناصرة حاميتان : احداهما تابعة لجيش الانقاذ يقودهامدلول عباس والثانية للهيئة العربية العليا ويقودها ابو ابراهيم الصغير وان قائد جيش الانقـاذ فوزي القاوقجي لم يدخل الناصرة الا في اليوم الحادي عشر من حزيران . وكان يومئذ يرافقه الامير مجيد ارسلان وقد مكثا فيها ثلاثة ايام . وان جيش الأنقاذ لم يدخل في اية معركة مع اليهود في الناصرة ، وان كان قد خاض معارك الشجرة ، وقد غلب فيها .

وأن قائدي الحاميتين غادرا المدينة قبل وصول اليهود اليها وقدغادراها بعد أن أيقنا انه لافائدة ترجى من الدفاع . . . وان القوة التي جاءت لانقـاذ المدينـة ، وكانت عبارة عن ست مصفحات ومدفعين وصلت متأخرة ووقفت هـذه النجدة على الهضبة المطلة على الناصرة من ناحيتها الشرقية . وعلى مقربة من قرية المشهد وكان اليهود قـد باشروا زحفهم من ناحية صفورية [1] بعد ان كانوا قد احتلوا تلك القرية . وقاومهم سكانها ببنادقهم الاعتيادية . إلا ان رصاص هـذه البنادق ما كان ليخترق السيارات اليهودية المصفحة بالفولاذ .

واشتبك الفريقان في معركة لانستطيع ان نصفها بالحامية ، اذ ان اليهود كانوا من السرعة بحيث تمكنوا من احتلال هضبات اعلى من الهضبة التي احتلها العرب الـذين جاءوا للنجدة ، وكانوا اكثر عدداوسلاحا واقوي معنوية .والانكى من هذا ان المدافع والمصفحات العربيـة كانت ترابط في شارع ضيق بعضها لاصق بالبعض الاخـر . المدفعان في المقدمة ومن الخلف المصفحات . الامر الذي نتج عنه خسائر في الارواح والمعدات . اذ ما كاد الفريقان يشرعان في تبادل النار ، حتى اخترقت رصاصة يهودية

---

(١) قرية تقع الى الشمال الشرقي من النـاصرة فيها ٤٣٢٠ من السكان ، كلهم مسلمون . وكان فيها اثناء القتال زهاء ثلاثمئة من المناضلين وتابعين لجهاد المقدس دربوا علي القتال . لكن سلاحهم كان عبـارة عن بنادق اعتيادية ، ينقصها العتاد . وقد هاجمها اليهود بمصفحاتهم ، بعد ان قذفوها بقنابل طائرة من طائراتهم وماكادت الساعة تدق الواحدة بعد منتصف الليل حتى كانت القرية قد سقطت بايديهم (١٦ تموز ١٩٤٨)

وكذلك قل عن قرية (المجيدل) التي احتلها اليهود قبل سقوط النـاصرة في ايديهم ببضع ساعات وهي واقعة على بعد ثمانية كيلومترات من الناصرة الى الغرب . وقد قتلوا حاميتها عن بكرة ابيها ، وكانت هذه مؤلفة من اربعين مقاتلا . واما شفا عمرو فقد سقطت قبل ذلك بيوم ، اي في ١٥ تموز .

احدى المصفحات وهي الثانية ، فاصابت مخزن وقودها فعطلتها وانفجرت (ذخيرتها . ولم تستطع المصفحة الاولى التي كانت امام المصفحة المحترقة ؛ لا ، ولا المدفعان اللذان كانا في المقدمة ان ينسحبا — . فكانت خسارة العرب في ذلك الاشتباك القصير عبـارة عن مصفحتين ومدفعين وجنديين احدهمـا احترق في المصفحة ، والثاني استشهد وهو يقاتل على الهضبة .

وواصل اليهود زحفهم الى ان احتلوا الهضبة المطلة على الناصرة من ناحيتها الشرقية على طريق طبريا ثم احتلوا ، من الجهة الثانية، عمـارة البوليس (تيجارت) على طريق حيفا . ثم احتلوا دار الحكومة الواقعة في وسط المدينة .

وحلقت في سماء الناصرة في الوقت نفسه ثـلاث من طائراتهم . ولما لم يروا مقاومة اوقفوا النار . وارسلوا رسلهم الى رجالات المدينة يطلبون منهم الحضور فحضر كل من يوسف محمد على الفاهوم رئيس البلدية ، وابراهيم الفاهوم رئيس اللجنة القومية ، وحسين الزعبي نائب الرئيس ، ونخله بشارة وعـدد من روساء الطوائف المسيحيـة (خورة الروم واللاتين) .

وفي تمام الساعة التـاسعة من مساء اليوم المـذكور (الجمعـة ١٦ تموز سنة ١٩٤٨) فرض القائد اليهودي شروط التسليم ، وقد كتبت باللغة العربية . فامضاها الحاضرون وخلا رجال الدين . وقـد تم ذلك في منزل شفيق الجسر من اهـالى الناصرة . وكان تعطيه يومئذ قاضي الناصرة الشيخ سعد الدين العلمي .

ويقول الاستاذ العلمي ان شروط التسليم تقضي بتسليم المدينة دون قيد او شرط وتعهدت اسرائيل بالمحافظة على الأهالي وكنائسهم واديرتهم . ولم تذكر المساجد في الاتفاقية .

وفيا كانت مفاوضات التسليم تجري على الشكل المتقدم ذكره كان اليهود يحتلون . في الجهة الثانية ، عمارة البوليس (تجارت) على طريق حيفا ، ودار الحكومة في وسط المدينة وما كاد الليل يجن حتى كانوا قد احتلوا المدينة كلها .

ولقد دخل الجنود الاسرائيليون ، رغم هذا التعهد ، دير يسوع ، فنزعوا الصلبان والصور التي كانت فيه ، وداسوها باقدامهم . وقد فعلوا ذلك على مرأى من رئيس الدير . كان ذلك في ١٩ تموز ولما جاء وزير الاديان الاضون فيشمان ، وسأل رؤساء الطوائف عما يبتغون ، جامله بعض هؤلاء الروساء فقالوا له انه لم يجر اي اعتداء على كنائسهم وقد وقعوا على عريضة كتبت بهذا المعنى .

واعتقل اليهود ثلاثة من افراد جيش الأنقاذ ، عراقي وسوريين ،ظلوا في المدينة ، ولم يغادروها . قتلوهم بالرصاص . ولم يحجم الجنود الاسرائيليون عن اقتحام المنازل بحجة البحث عن السلاح . وكثيراً ما سرقوا ونهبوا اموال الناس ومصاغهم بتلك الحجة وفي غضون ذلك فرضوا (نظام منع التجول) فمنع الناس عن مغادرة منازلهم خلال ساعتين من النهار . ودامت الحا على هذا المنوال اربعة ايام .

ويؤكد الاستاذ العلمي ان اليهود صادروا ما ينوف عن اربعة آلاف بندقية كانت بحيازة السكان . ويعتقد السيد عبد اللطيف الفاهوم ان هذا العدد لم يزد عن الالف . يدخل في ذلك البنادق التي صادرها اليهود من الناصرة وقراها معاً .

وما كادت الناصرة تسقط بيد اليهود حتى سقطت القرى القريبة منها ، سيما تلك التي تقع بينها وبين طبريا وبينها وبين حيفا نذكر منها : الرنية . كفركنا . طرعان . لوبية الشجرة . دبورية . اكسال . عين ماهل . وكثير من القرى الأخرى التابعة للناصرة .

ومن القرى التي سقطت بايديهم (عياوط) وهي قرية عربية واقعة على طريق حيفا يسكنها ٨٠٠ من السكان كلهم مسلمون . وما كاد اليهود يحتلونها حتى جمعوا سكانها كلهم في ساحة المسجد واختاروا منهم عشرين شابا . صفوهم على حائط المسجد واطلقوا عليهم الرصاص ، فقتلوهم على مرأى من اهلهم وذويهم ، وامروا باقي السكان بمغادرة القرية ، فغادروها فورا دون ان يتمكنوا من دفن موتاهم ، او العودة الى منازلهم ليأخذوا ثيابهم .

وكان اكثر الضغط موجها الى المسلمين سواء في ذلك مدينة الناصرة وقراها . حتى ان احد الجنود اليهود البولنديين اكد للشيخ سعد الدين وقد ظن انه مسيحي انه لاخوف على المسحيين ، وان اليهود انما يكرهون المسلمين وانهم سيعملون على سحقهم وتشريدهم .

ولقد دب الرعب في قلوب السكان ، اثر سقوط الناصرة ، فراح الناس ينهزمون من قراهم ميممين شطر لبنان القريب منهم . وحاولت حكومة لبنان ، بادىء ذي بدء ، ان تصدهم . ولكنها عادت ففتحت لهم ابوابها . وكان الرعب قد دب في قلوب سكان القري اللبنانية القائمة على الحدود . فرحلوا عن منازلهم الى الداخل . ولو تابع اليهود يومئذ تقدمهم لوصلوا (صور) دون مقاومة . وقال بعضهم : لاحتلوا لبنان باسره .

موقف العالم المسيحي من الكارثة

ومما يدعو للاسف ان العالم المسيحي لم يتألم لهذه الكارثة كارثة الناصرة . . مدينة يسوع الناصري . . ، ولا استنكر الاعمال التي قام بها اليهود ، والتي ادت الى خراب الأماكن المسيحية المقدسة ، والتي لم يسلم من اذاها حتى كنيسة القيامة . وفيما يلي اسماء الكنـائس الاديرة والمؤسسات المسيحية الكائنـة في مدينة القدس والتي احتلها اليهود (١٩٤٨) :

١ ــ دير القديس سمعان في حي القطمون .

٢ ــ دير القديس شارل في الحي الالماني .

٣ ــ دير القدس اندرز في الحي الماني .

٤ ــ ديرراهبات القديسة كلير

٥ ــ ديرابي ثور للروم الارثوذكس في حي ابي ثور .

٦ ــ دير الاباء الكابوشين .

٧ ــ هو سبيس الالمان الكاثوليك .

٨ ــ دير الراهبات الفرنسيسيات .

١٠ ــ كنيسة نياحة العذراء (دورميثيون) على جبل صهيون .

١٢ ــ كنيسة الحبش خارج السور الى الشمال الغربي من المسكوبية .

١٣ ــ دير وكلية القديس يوسف

١٤ ــ دار الايتام الكاثوليك .

١٥ ــ دير النوتردام للأباء الانتماليين امام الباب الجديد وفيه كنيستان

١٦ ــ دار الايتام السورية (شنلر) في حي الشيخ بدر الى الشمال المغربي من المدينة

١٧ ــ مستشفي القديس يوحنا للعيون على طريق محطة السكة الحديدية .

١٨ ــ المستشفي الالماني في حي الشيخ عكاشة .

١٩ ــ المستشفي الأيطالي في القسم العلوي من حي المصرارة وكذلك قل عن المدرسة الايطالية والكنيسة الأيطالية .

٢٠ ــ المستشفي الانكيزي في حي عكاشة .

٢١ ــ جمعية الشبان المسيحيين شمالي حي الطالبية .

٢٢ ـ جمعية الرفق بالحيوان عند بركة السلطان .

٢٣ ـ مدرسة صهيون على جبل صهيون .

٢٤ ـ مدرسة الراتزبون لراهبات صهيون غربي المدينة وعلى مقربة من ماملا .

٢٥ ـ الارسالية الاكلركية الروسية .

٢٦ ـ كلية البنات الانكليزية .

٢٧ ـ مقـابر المسيحيين البروتستانت الكاثوليك والروم الارثوذكس والاقباط والسريان والاحباش والارمن على جبل صهيون .

٢٨ ـ مدرسة (طاليتا فومي) غربي المدينة والى الجنوب من طريق يافا .

٢٩ ـ مدرسة ترازيا الالمانية الى الغربي من بركة ماملا .

٣٠ ـ كلية شميت الألمانية للبنات الى الشمال من مقبرة ماملا .

٣١ ـ دير القـديس شـارل بروميوسى للاخوات الالمانيـات ، الى الغرب من مقبرة ماملا .

٣٢ ـ مستشفى الجزام للألمان الى الجنوب من حي الطالبية .

٣٣ ـ دير مارتوما للسريان في شارع صهيون الى الغرب من القلعة .

٣٤ ـ دير المصلبة للروم غربي المدينة على بعد خمسة كيلومترات من مقبرة ماملا .

٣٥ ـ (دير مار الياس) للروم ، قبلي المدينة على طريق بيت لحم .

٣٦ ـ كنيسة (مارفنسيس) للأباء الفرنسيسيين الى الشمال من مقام النبي داود .

٣٧ ـ (دير الأباء الكرمليين) قبلي مقبرة ماملا .

٣٨ ـ المستشفي الافرنسي (مستشفي القديس بولس) ملاصق للسور في شمـال المدينة وعلى مقربة من الباب الجديد .

٣٩ ـ مدرسة ثانوية وميتم باسم (راهبات ماريوسف .)

٤٠ ـ دير (الراهبات الوردية) على جبل المكبر .

٤١ ـ دير (راهبات المحبة) على طريق ماملا .

٤٢ ـ دير راهبات القربان ، ملاصق للسور من الشمال وتجاه المستشفى الأفرنسي .

٤٣ ـ دير الأباء العازريين جنوبي مقبرة ماملا .

٤٤ ـ دير الراهبات السالزيات في حي المصرارة .

٤٥ ـ دير راهبات ايفريا ، في حي الطالبية .

٤٦ ـ (دير الاباء اليسوعيين) في حي النيقوفوريــة الى الشـمال الشرقي من دار جمعية الشبان المسيحيين .

الطراد فاروق يغرق في بحر غزة

ولا دلنك على مبلغ احترام اليهود لاتفاقية الهدنة أود ان اسوق اليك ، ايها القارىء الكريم ، الخبر التالي : ـ

كان يرسو على مقربة من شاطيء غزة قبيل اعلان الهدنة الثانية طرادان مصريان يحمل احدهما اسم فاروق والثـاني فريدة . فاقتربت منهـما في ١٦ تموز (يوليو) سنة ١٩٤٨ وبعد اعلان نبأ الهدنة بساعة واحدة اربع سفن يهودية حربية . وعندما دخلت المياه الاقليمية احس قائـد الطراد فاروق بالخطر ، فاتصل بالقـاهرة ، وطلب ان يعطى الأمر بضربها ولكن القيادة العليا بالقاهرة رفضت اعطـاء مثل هذا الأمر . ثم كرر طلبه مرة ثانية ، فثالثة . مؤكداً للمسؤولين في القاهرة ان باستطاعته أن يدرأ عنه الشر بمدافعه . (١) فقيل له : ـ

« لا تضرب ، الا بعد ان يضرب اليهود . » وكان اولئك المسؤولون يخشون خرق الهدنة في ساعاتها الأولى .

وفيـما كان المصريون في تردد وحيرة من امرهم : ـ أيضربون ، أم لا يضربون انطلقت نسافتان يهوديتان احداهما باتجاه الطراد المصري فاروق والأخرى باتجاه فريدة واصابت الأولى فاروق في مقدمته . فشطرته شطرين وماهي الالحظة حتى غاب عن الانظار ، فاستقر في قعر اليم . واما الطراد الثاني فلم يصب بأذى .

حدثني مفتش الميناء محمود احمد دباش الغزي [٢] انه غرق مع الطراد احد عشر نفر من بحارته ، وان خمسة وسبعين منهم قد نجوا ، وان الفضل في انقاذهم يعود للبحارة من ابناء غزة واللاجئين الذين هبوا للنجدة من كل صوب .

---

(١) اكد لي الخبراء انه كان في الطراد مدافع تصيب الهدف عن مسافة بعيدة قدرها بعضهم بخمسة عشر كيلو مترا

٢) كان هذا ، ساعة وقوع الحادث ، مرابطا في ميناء غزة وهو الـذي انبأ البكباشي عادل الجميعى من رجال القيادة المصرية بغزه عما جرى

معارك نقبا واسدود بيروت اسحق

هاجم المصريون قبل بدء الهدنة الثانية ببضعة ايام مستعمرة (نقبا) . هاجموها بالمشاة من افراد الكتيبة التاسعة . انها من كتائب اللواء الثاني . وقد اتبعت من اجل اغراض هذه المعركة باللواء الرابع . ورغم ان هذه الكتيبة انجدت بعد قليل بالكتيبة الثالثة التي كانت يومئذ تحرس مدينة غزة – حتى ان غزة عاشت بضعة ايام من غير حامية – الا انها لم تنجح في اقتحام المستعمرة . ذلك لانها (اي المستعمرة) كانت محصنة تحصيناً تاماً .

فقد اشتبك الفريقان ، باديء ذي بدء ، عند تقاطع الطرق على مقربة من (عراق سويدان) . وكان الوقت ليلا . اشتبكا بالسلاح الابيض والقنابل اليدوية . وفي اثناء ذلك الاشتباك جرح الركن جمال عبد الناصر . وارتد العدو الى داخل المستعمر . ولحق به المصريون حتى الاسلاك الشائكة . ولكن لم يستطيعوا التقدم اكثر من ذلك . لان المستعمرة – كما سبق وقلنا – كانت محصنة . ولم يكن لدى المصريين مدرعات تؤازر المشاة . وكانت هناك سرايا مشتبكة في قتال مع اليهود على مقربة من اسدود . وكذلك قل عن الوضع امام مستعمرة (بيروت اسحق) . وفي جميع هذه المعارك كان المصريون يحاربون بلا دروع . ورغم انهم ربحوا المعركة الاخيرة ودخلوا المستعمرة (بيروت اسحق) ، تلك المستعمرة القريبة من غزة والواقعة على الطريق بينها وبين بئر السبع ، الا انهم عادوا فاخلوها بسبب النجدات الكثيرة التي ارسلها اليهود . وخسر المصريون عدداً كبيراً من جنودهم وضباطهم .

ولما رأوا انه لا فائدة ترجى من النصر في القتال انسحبوا من الميدان : امام نقبا ، وبيروت اسحق ، واسدود .

معركة خرب اللحم

لما كانت طريق رام الله – اللطرون من الطرق الرئيسية ذات الاهمية الاستراتيجية ، وكان الجيش العربي يمر منها ليلا ونهاراً في طريقه الى باب الواد ، فكر اليهود في قطعها ، وراحوا بعد ان استؤنف القتال يرسمون الخطط لاحتلال التلال المرتفعة المطلة عليها . ولكنهم لم ينجحوا . فصُدوا في المعركة الاولى التي قاموا بها في هذا السبيل . وقد

وقعت هذه في اليوم السابع عشر من شهر تموز (يوليو) عندما قامت في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم (وقبل الموعد المضروب لبدء الهدنة الثانية) سرية مؤلفة من سبعة وستين يهودياً ويهوديتين . جاءت من ناحية مستعمرة الخمس [1] ، وراحت تزحف نحو الطريق المتقدم ذكرها . فتصدى لها أولا عدد من المناضلين من (بيت عنان) قدر عددهم بعشرين . فتغلبت عليهم ، وقتلت منهم اثنين . ثم راحت تتقدم . ولما وصلت إلى الخرب المعروفة بـ (خرّب اللحم) من اراضي قطنة وهي واقعة بين بيت عنان وقطنة من اعمال القدس ، تصدى لها المناضلون من قطنة والقبيبة وبيت دقو يقودهم المناضل فخري اسماعيل ، وعددهم ثلاثون ، وعدد من جنود الكتيبة السابعة يقودهم القائد خالد الصحن . واشتبك الفريقان في قتال عنيف . ورغم التفاوت الموجود في اسلحة الفريقين – اذ كان لدى اليهود بالاضافة الى البنادق الاعتيادية عدد كبير من القنابل اليدوية وخمسة رشاشات من طراز هوشكس ، ولم يكن بيد العرب سوى بنادق اعتيادية وهوشكس واحد [2] – فقد كان النصر في هذه المعركة حليف العرب . فقتلوا اليهود كلهم . ولم يقتل من العرب سوى مناضل واحد وجرح ثلاثة .

جيش الانقاذ في معاركه الاخيرة

ألمت بجيش الانقاذ كوارث عديدة بعد سقوط الناصرة . وقد لا يخلو من فائدة ان نقص عليك في السطور التالية بعض هذه الكوارث .

قلنا في موضع آخر من هذا الكتاب ، ان جيش الانقاذ انسحب من فلسطين عندما دخلتها الجيوش العربية في ١٥ ايار . وانه عاد يومئذ الى دمشق لينظم نفسه من جديد .

ولقد اعيد تشكيله في اثناء الهدنة الاولى (١١ حزيران ٩ – تموز ١٩٤٨) . فاصبح مؤلفاً من ثلاثة الوية هي :–

١ – لواء اليرموك الاول – يقوده المقدم صفا .

«١» سميت كذلك نسبة الى اليهود الخمسة الاولين الذين قتلوا في هذا الموضع حوالي عام ١٩٣٦ عندما جاءوا لوضع الحجر الاساسي للمستعمرة .

«٢» غنمه العرب من اليهود في المعركة التي قامت بين الفريقين في جبل الرادار في ١ حزيران « يونيو » ١٩٤٨ .

٢ ـ لواء اليرموك الثاني ـ يقوده العقيد مهدي العاني .

٣ ـ لواء اليرموك الثالث ـ يقوده المقدم اديب الشيشكلي .

ووضعت هذه الالوية الثلاثة تحت قيادة القاوقجي فارسلها إلى قطاع الجليل ؟وجعل مقرها في (عيترون) من اعمال لبنان . وانضم اليها ، في الوقت نفسه ، المقدم شوكت شقير ، والمقدم عامر كطابطي ركن للقاوقجي ؛ فاضحت قوة منظمة . ولكن اليهود كانوا اسرع في العمل . فاقاموا تجاهها قوة اكبر عدداً وامضى سلاحاً .

اما لواء اليرموك الأول فلم يدخل ، فور تكوينه ، اية معركة . واما اللواءان الثاني والثالث فقد دخلا ، فور تكوينهما ، معارك الشجرة ، كما دخلا سلسلة من المعارك الاخرى التي قامت في الجليل : في المالكية ومجد الكروم وغيرهما . وكانت معارك الشجرة ادقها تنظيما واكثرها تضحية . اذ كانت خسائر جيش الانقاذ فيها الفاً بين قتيل وجريح . وقد فصلنا تلك المعارك في موضع آخر من الكتاب .

وعندما سقطت الشجرة والناصرة انسحبت قطعات الانقاذ التي كانت هناك نحو الشمال . وأمر لواء اليرموك الاول ، فاحتل من جديد قطاع (مجد الكروم) و (سخنين) و (عيليبون) و (فرادة) وكان ذلك قبل الهدنة الثانية بيوم (١٧ تموز ١٩٤٨) .

ورابطت في ترشيحا خلال الهدنة الثانية فئة يقودها العقيد مهدي ؟ وفي (الجش) اخرى يقودها الرئيس غسان شديد (علوي) . وبقيت تلك القرى كلها في يد العرب ، حتى شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ يوم قام اليهود بهجوم شديد على قطعات جيش الانقاذ التي كانت ترابط فيها . فانسحبت هذه . وبانسحابها يكون جيش الانقاذ قد انسحب من قطاع الجليل كله . فاستولى عليه اليهود . وقد تم ذلك في غضون الهدنة الثانية . وفي الحقيقة لم يكن اي أثر للهدنة في ذلك القطاع .

حدثني صديق اثق بصدق حديثه ، وقد رافق جيش الانقاذ ، في حركاته الأخيرة ان هذا الجيش مُني ، وهو ينسحب ، بخسائر فادحة في الرجال والسلاح . وانه ريثما كان ينسحب ، ارسل الجيش السوري فوجاً من رجاله ، قدر عددهم بخمسمئة مقاتل يقودهم المقدم علم الدين قواص [١] ؛ وان هذا الفوج الذي كان عليه ان يحفظ (خط

«١» انه من رجال الانقلاب السوري الذي تم على يد الزعيم سامي الحناوي .

الرجعة) ويحافظ على الطريق التي تصل (سعسع) بالغراوية ، تقدم دون ان يتخذ الاحتياطات اللازمة لدرء شر الأعداء عنه (كأن يرسل طلائعه بقصد الكشف ومعرفة مواضع الأعداء ، ولما استمر في تقدمه بعد (سعسع) باغتة اليهود عند موضع يقع الى الجنوب من قرية (الصفصاف) . فقتلوا عدداً غير قليل (قدر بمئتين) من رجاله ، وفر الباقون . ومن لم يستطع الفرار وقع في الاسر ، وقدر عدد الاسرى بخمسة عشر رجلا . واستولى اليهود على جميع سيارات الفوج ومدافعه وعتاده .

وبانسحاب جيش الانقاذ من الجليل انسحب فوزين القاوقجي من الميدان . والحقت البقية الباقية من رجاله بالجيش السوري ، فاسميت (لواء اليرموك) وعندما قام الزعيم حسني الزعيم بانقلابه المشهور حل هذا اللواء ايضاً وطويت صفحة من الصفحات الاخرى التي طواها الدهر .

للقدس قبيل الهدنة الثانية

في ١٦ تموز ١٩٤٨ كانت القدس كلها من اولها الى آخرها في جحيم مستعر ودام القصف ليلا . وكان العرب يقصفون الاحياء اليهودية في المدينة الجديدة بمدافعهم [١] ويقومون بالعملية المدفعية المعروفة بـ (الكنس التنظيف) من ميشورم حتى دار الوكالة اليهودية وطريق المحطة ، وقتل في ساحة المسكوبية امام دير السريان ما لا يقل عن اربعمئة يهودي . واستعمل العرب في هذه المعركة الطائرات لأول مرة . وبدأت غاراتهم على الأحياء اليهودية من الجو بعد الساعة الواحدة بعد منتصف الليل (١٦/١٥ تموز).

ولم يكن لدى اليهود مدافع مضادة للطائرات . بيد انهم راحوا يقصفون المدينة

«١» فئتان من البطارية الثانية من بطاريات الميدان التابعة لكتيبة المدفعية الملكية قائدها الميجر هرست . فئة كانت تضرب الاحياء اليهودية في القدس الجديدة مدافعها اربع من عيار ٢٥ رطل ، واربعة من طراز هاوزر ، وثمانية من عيار ١٦ رطل وعدد كبير من النوع المعروف بالمورتر . وفيما كانت هذه تضرب القدس كانت الفئة الثانية تقصف مستعمرة الخمس والمستعمرات اليهودية الاخرى خارج القدس .

القديمة والأحياء العربية في المدينة الجديدة بمدافعهم [1] واستعمل اليهود في هذه المرة من الاسلحة الخفيفة والثقيلة ما لا عهد للقدس بمثلها من قبل . وكانت قنابل هذه المدافع وتلك تتساقط في قلب المدينة وأطرافها على غير هدى ... هنا وهناك ... فالفريقان كانا يعلمان العلم اليقين أن القتال سيقف ، وان الهدنة ستعلن لا في القدس وحدها بل في جميع انحاء فلسطين . اذاً فليفرغا ما في جعابهما من قنابل ليربحا أكثر ربح مستطاع .

وعندما جن الليل قام اليهود بهجوم شديد على باب الخليل وباب النبي داود والباب الجديد . فكان الباب الاول من نصيب عصابة شترن والثاني الهاغانا والثالث الارغون . الا أن العرب تمكنوا من صد الهجوم وقتل في تلك الليلة أربعة من قادة الارغون .

حدثني طارق بك الافريقي الذي شهد تلك المعركة وكان يدير دفة القتال في جانب من القطاع الجنوبي أن عدد المناضلين من رجاله كان يومئذ ٥٢١ ورجال الجهاد المقدس يتراوحون من ٥٠٠ الى ٦٠٠ مقاتل ، هذا طبعاً بالاضافة إلى الجيش العربي المؤلف من كتيبتين ومجموع رجالهما يبلغ الالفين . واما في الجزء اليهودي فقد كان يتولى الدفاع غشرة آلاف مقاتل ، بعضهم من يهود البلاد ، والبعض الآخر من المتطوعين الأجانب بعضهم رجال والبعض الآخر نساء .

قال مناحيم بيغن ، قائد منظمة الارغون [2] ان القطعات اليهودية التي اشتركت في

«١» كانت المدافع اليهودية منصوبة في قطاع شنلر الى الشمال الغربي من المدينة ، وكانت هذه من عيار ١٧ وطلا ، ضربوا بها الاحياء العربية الواقعة الى الشمال من المدينة . واستعملوا بضعة مدافع افرنسية من عيار ٧٥ مليمتر . بعضها كان منصوباً بالقرب من جبعات شاؤول غربي المدينة ، والبعض الاخر كان يحمل في سيارة وينقل من مكان الى مكان . ورأى احد الرهبان بعض المدافع اليهودية منصوبة على تل صهيون ، وعند فندق الملك داود . ورآها بعضهم منصوبة وراء النوتردام وفي ساحة المسكوبية هذا بالاضافة الى مدافع المورتر وراجمات الالغام التي ما انفكوا عن استعمالها منذ بدأ القتال في المدينة ، وكان بعضها من عيار ست بوصات . وكان لليهود مدفع هاوزر من عيار ثلاث بوصات وسبعة اعشار البوصة في مكان ما عند جبعات شاؤول . وسقطت احد عشر قنبلة من القنابل الجديدة على مسجد النبي صموئيل الى الشمال من المدينة فهدمت جانبا منه . ولكن سرعان ما اكتشف العرب موضعه فقصفوه من قرية الجبيب بمدفع من عيار خمسة وعشرين وطلا واعطبوه ،فسكت ولم يقذف اليهود بعدئذ اية قنبلة من ذلك العيار .

The revolt P. 162 «٢»

معارك القدس هذه كانت يومئذ عبارة عن ثماني سرايا : اربع من الهاغانا وثلاث من الاوغون وسرية من (المناضلين عن حرية اسرائيل) وقد اشار اليهم بهذه الاحرف الثلاثة F . F . I. وان هذه السرايا كانت تستهدف استرجاع الحي اليهودي بالبلدة القديمة وان احدى هذه السرايا كانت قد عادت من (المالجة) بعد أن احتلتها وخسرت ١٨ رجلا من مقاتليها ؛ وانه رغم الجهود الجبارة التي بذلها اليهود يومئذ من اجل الوصول الى اهدافهم فقد باءوا بفشل عظيم اذ انهم عجزوا عن اقتحام السور ، لا ولا استطاعوا ان يفتحوا ثغرة واحدة فيه . »

وقذف اليهود المدينة القديمة ، في اليوم المذكور ، بما لا يقل عن ثمانمائة وخمسين قذيفة من قذائفهم ومن راجمات الالغام ، وقيل ان عدد القذائف اليهودية في ذلك اليوم بلغ ألفاً ومئة وسبع عشرة قذيفة أصابت بعض هذه القذائف[1] مسجد الصخرة والاقصى وقبة المعراج ومواضع اخرى من الحرم ، كما اصابت كنيسة القيامة [2] والدباغة وبعض الاديار وقتل بعض الرهبان . وتجدم جانب من دار الايتام الاسلامية ، تلك الدار التي كان نصيبها من العدد المتقدم ذكره ثمان وأربعون قذيفة من راجمات الالغام . وكان اكثر الأحياء العربية تعرضاً لقنابل اليهود باب الخليل وحارة الارمن والباب الجديد ودرب الآلام.

فقد جاء في يوميات الآباء البيض الذين يقيمون في ديرهم (الصلاحية) على مقربة من الأسباط انه في اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة الثانية ووقف القتال (١٨ تموز) بلغ عدد قنابل المورتر اليهودية التي سقطت في هذا الجزء من المدينة (الحرم المقدس و درب الآلام) حداً لا يحصى ، وان أربعاً من هذه القنابل سقطت على مقربة من المدرسة

«١» حدثني حراس الحرم ان نصيب الحرم من القذائف اليهودية في تلك الليلة كان خمساً وخمسين قنبلة . وقال اخرون انها ستون . وكان اليهود يقصفونه من كنائسهم في الحي اليهودي ، ومن جبل صهيون ، ومن النوتردام .

«٢» القبة الحجرية للكنيسة المعروفة بـ (نصف الدنيا) ونفذت القنبلة فيها زهاء خمسين سانتمترا .ولكنها لم تنفجر وكانت من عيار ست بوصات وسقطت قنبلة مثلها بجانب القبة فانفجرت ودمرت الجدار الشمالي وجزءا من الجدار الغربي .

الصلاحية نفسها تسع عشرة قنبلة عند المرحلة الرابعة من مراحل السيد المسيح في درب الآلام على مقربة من دير الارمن الكاثوليك ، وما ينوف عن الخمسين في ساحة الحرم وعلى قبتي الصخرة والأقصى ، وعدداً آخر كبيراً عند مستشفى الهوسبيس حتى ان عدداً كبيراً من المرضى الذين كانوا في هذا المستشفى قتلوا ، وآخرين جرحـــوا ، وحرق الامبولانس .

ولولا متانة المدينة وابنيتها المتراصة وقبابها الضخمة وقناطرها المعقودة لاضحت بسبب تلك التي شاب من هولها الولدان قاعا صفصفا . ولسوء الحظ لم يكن في مدينـــة القدس يومئذ اي نوع من انواع الملاجىء يلجأ اليها السكان في مثل هـــذه الغارات . ولكن المناضلين كانوا يركضون لاسعاف الجرحى .

زرت القدس في صبيحة اليوم التالي ؛ وغشيت ساحة الحرم لأرى بعيني مطـــارح القنابل التي اصابته ، وفيما كنت أجتاز بابه الشمالي عند درج الغوانمة سمعت المؤذن ينادي الناس من على المئذنة الى الصلاة قائلا : الله اكبر ، فسررت لأن صوت المؤذن ما برح يدوى في بيت المقدس ، وحزنت لاني لم ار في ساحة المسجد سوى بضعة رجال مـــن المصلين الطاعنين في السن . وخشيت ان يضيع المسجد الاقصى مـــن ايدينا ؟ وقلت في نفسي : ترى اتبقى هذه المآذن في القدس ويبقى فيها مسلمون ومؤذنون ينادونهـــم الى الصلاة كلما حان وقت الصلاة ؟ وهل تظل كلمة الله اكبر تدوي في سماء هذه المدينـــة المرتبط تاريخها بتاريخ العرب والاسلام ، ام يستولي عليها اليهود ـ لا قـــدر الله ـ فيهودونها ، ويخفتون من على مآذنها وبين جدرانها الكلمة التي تعتبر بحق رمز العروبـــة والاسلام : الله اكبر . . . ورحت ابحث عـــن عدد العرب الذين استشهدوا في تلك المعركة ، فقيل لي انهم اثنان وسبعون : منهم ثمانية عشر من جنود الجيش العربي واربعة وعشرون من المناضلين الفلسطينيين وثلاثون من المدنيين ؛ وجرح اربعون . ولم تكن خسائر اليهود في احيائهم باقل من خسائر العرب . لا بل انها اكثر بكثير قدرها بعضهم بخمسة آلاف قتيل وجريح [1] وكان بين الجرحى قائدان كبيران احدهما روسي اشترك

« ١ » هذا ما قاله المسيو لافوزيه مندوب الصليب الاحمر الدولي الذي قدر خسائر اليهود مـــن مقاتلين ومدنيين بما لا يقل عن خمسة آلاف نسمة بين قتيل وجريح ، وزعم اليهود ان الجيوش العربية خسرت خلال الايام التسعة التي انقضت بعد استئناف القتال ، مثل هذا العدد (اي ٥٠٠٠) بين قتيل وجريح .

في معركة ستالنغراد في الحرب الكونية الثانية وقد كسرت ساق فخذه في هذه المعركة. والثاني اميركي جرح في رأسه.

ودام قصف المدافع العربية من الساعة السابعة من صباح ذلك اليوم حتى الساعة الرابعة من صباح اليوم التالي (١٧ تموز ١٩٤٨) وشاهد الناس زهاء خمس وعشرين حريقاً نشب في الاحياء اليهودية وكانت مهمة رجال المدفعية شاقة للغاية. اذ كان عليهم ان يميزوا بين المواقع الحربية وبين المستشفيات والقنصليات ودور العبادة. وعلينا ان لا ننسى ان بعض الناس ولا سيما في الجانب اليهودي كانوا يرفعون اعلام الصليب الاحمر الدولي وبعض الدول المحايدة خصيصاً لئلا تتعرض منازلهم لقصف المدافع. وكان اليهود ينصبون مدافعهم في مواضع ملاصقة للمستشفيات. كما جري لمستشفى المسكوبية. اذ كان اليهود واضعين مدافع المورتر فوق قصر العدل الملاصق للمستشفى المذكور.

حدثني احد قادة الجهاد المقدس في بيت المقدس ان العرب قذفوا الأحياء اليهودية يومئذ بما لا يقل عن ١٧٠٠ قذيفة، اشترك في قذفها رجال المدفعية الملكية في الجيش العربي الاردني. وكانوا يقذفونها من شعفاط والنبي صمويل؛ ورجال المدفعية العراقية[١] من الجيب، ورجال المدفعية المصرية من بيت جالا وطباليا[٢] ولهذا لم تر الاحياء اليهودية يوماً اسوداً منذ بدء النضال الحالي مثل ذلك اليوم، والليل الذي تلاه (١٧/١٨ تموز). ولقد سمع الناس، عندما وقف قصف المدافع، من محطة الاذاعة اللاسلكية في القدس تذيع قراراً اصدرته السلطات اليهودية (رقم ١٣) جاء فيه انهم (اي اليهود) يعتبرون رجال المدفعية العربية الذين اشتركوا في قصف الأحياء اليهودية (مجرمي حرب) وان هؤلاء الرجال سيساقون الى المحكمة بعد انتهاء القتال، وسيعاقبون بالموت. وقد ساقوا الى المحكمة رجال مدفعيتهم، وزجوا بعضهم في السجون لانهم تباطأوا في عملهم وأخروا الرمي ربع ساعة عن الوقت المضروب.

«١» كان للعراقيين في هذا القطاع يومئذ مدفعان من طراز هاوزر عيار ٦ عقد (بوصات) يقودهما الرئيس فوزي جميل العراقي وقد قذفت يومئذ مئة وتسع قنابل سقطت معظمها في سنهدريا وروميما.

«٢» كانت اهداف المدافع المصرية تل بيوت ومعسكر العلمين والاحياء التي كان اليهود قد احتلوها في القطاع الجنوبي.

ومهما كان الامر فان التاريخ سيخلد ، ولا ريب ، ذكرى المجاهدين الابطال من ابناء يعرب الذين ضحوا في هذه المعركة بما ضحوا من نفوس طاهرة ودماء زكية في سبيل الذود عن الحمى في هذه المدينة المقدسة ، والذين ابلوا في الدفاع عما فيها من مقدسات واعراض بلاء حسناً . ولئن اردنا ان نأتي بالامثلة المؤيدة لقولنا هذا لما وسع ذلك القرطاس ولنفذ المداد قبل ان نبلغ المراد . ولكنى لا بد لنا من الاشار الى ذلك الفتى البطل (كاظم صالح) (١) الذي انخرط في فرقة التدمير العربية المقدسية ؛ فقاتل اليهود في عدة مواضع ، وكان دائماً مع المجاهدين في الطليعة . فلقد قام هذا الفتى وحده بنسف دار بندلبوم في مياشورم ، ودار غوشه التي كان يتحصن بها اليهود . ولما رفعت انقاض هاتين الدارين وجدوا تحت الاولى أربعاً وسبعين جثة من جثث اليهود المقاتلين وتحت الثانية احدى وأربعين . ولقد قذف هذا البطل الصغير ، في اليوم نفسه ، اليهود بلغم اصاب احد عشر شخصاً من مقاتليهم ، فقتلهم ، وهو يناديهم « انا كاظم ايها اللئام ... » وكذلك قل عن الفتى جمال بازيان (٢) الذي اشترك في معارك الشيخ جراح ورام الله ومياشورم وابلى في المعركة المتقدم ذكرها بلاء حسنا .

واستشهد في المعركة نفسها فتى سوري في الرابعة عشره من عمرة اسمه (صباح الدين عبد الغني القحف) (٣) استشهد عندما كان هو وفريق من اترابه المجاهدين ينسفون

«١» شاب من القدس في السادسة عشرة من عمره . ابلى في هذه المعركة بلاءابرح المقدسيون يذكرونه بالتقدير . وقد انعم عليه الملك عبد الله بوسام ذهبي تقديراً لبطولته .

«٢» نابلسي الاصل في الثانية عشرة من عمره . وحيدأمه . مات ابوه في ثورة ١٩٣٦ اعجب بهوبشجاعته الامير عبد الاله فاخذه معه الى بغداد وادخله الكلية الحربية .

«٣» انه من الشام جاء الى فلسطين مع ابيه عبد الغني الحاج سليم القحف احد قادة جيش الانقاذ في شمال فلسطين وشقيقه الاكبر محمد سليم عبد الغني والاصغر صلاح . فحارب ابوه واخوته في انحاء عديدة من جهات فلسطين ، وانخرط هو في فرقة التدمير المقدسية وابلى بالاشتراك مع شباب هذه الفرقة البلاء الحسن في معارك القطمون والقسطل والحي اليهودي والشيخ جراح ومياشورم والنبي داود . عندما كانت رحى القتال دائرة في مياشورم كانت هذه واقفة في حي النبي داود . الامر الذي حدا بصباح لمغادرة ذلك الحي والانتقال الى ميدان القتال . فتقدم الصفوف ، وكان شجاعا . ونسف ثلاثة منازل يهودية ، وكاد ينسف الرابع . وكان هذا عبارة عن عمارة مؤلفة من طابقين . فصعد الى طابقها العلوي وكان اليهود يرابطون في طابقها السفلي . وفيما كان يحاول اشعال فتيل اللغم الذي كان ممسكاً به لينسف العمارة بمن فيها وهو مدرك ادراكاً تاماً لما في ذلك من خطر على حياته — صوب الاعداء مدفعهم الرشاش من طراز برن ، فاصابوه في بطنه وفخذه قبل ان يشتعل اللغم . وتمكن رفيقه جمال بازيان من جره الى منطقة الامان . ومنها نقل الى عمان حيث قضى نحبه مأسوفاً عل شبابه . وما كاد يراه ابوه حتي راح يحمد الله على هذه النعمة . وعاد لامتشاق الحسام بعد ان تنحى عن الميدان بسبب الشيخوخة وقد اشترك قبل ذلك في الثورة السورية — وكذلك قل عن ابنه الثاني صلاح . هو اصغر من اخيه صباح .

العمارتين المتقدم ذكرهما . ولقد صدق في هذا او ذاك وفي غيرهما من المجاهدين الابطال الذين ذبوا عن الحمى في بيت المقدس وفي غير بيت المقدس من انحاء البلاد قوله تعالى : « الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا في سبيل الله باموالهم وانفسهم اعظم درجة عند الله ، واولئك هم الفائزون ، ان الله عنده اجر عظيم » سورة التوبة : الآيات ٢٠ ــ ٢٢

وفيما كانت المدافع العربية تقصف اليهود بشدة تقدم المناضلون الفلسطينيون يرافقهم ثلة من الجيش العربي من رجال الكتيبة الثالثة فاحتلوا عمارة الاوقاف الكبيرة والمباني المجاورة لها ووصل بعضهم الى الحي المعروف بشنللر . وكادوا يحتلون النوتردام والعمارات المجاورة لها . وتغلغلوا في مياشورم وبعض الاحياء اليهودية ، وسمع العرب اليهود وهم يستنجدون بولاة الامور في تل ابيب . سمعوهم على امواج الاثير يقولون (اذا لم تنجدونا حالا وتنقذونا اضطررنا الى التسليم) . فأجابهم هؤلاء (ان اصبروا فالنجدة السياسية آتية) وكانوا طبعاً يعنون (الهدنة) . . . وبالفعل اعلنت الهدنة بعد ذلك ببضع ساعات .

حدثني جورج نقولا حنانيا الذي كان يشرف على ادارة مستشفى المسكوبية ، وكان هذا المستشفى لا يزال بيد العرب ــ وشاهد بعينه ما جرى في تلك البقعة من اليوم الذي تسلم العرب فيه ادارة المستشفى (٢٤ نيسان ١٩٤٨) حتى غادروه (١٩ نوفمبر) حدثني فقال : انه لولا الهدنة الثانية لسقطت النوتردام والبنايات المجاورة لها بيد العرب ، اذ اضطر اليهود لاخلاء هذه البنايات بسبب نفاذ ذخائرهم » ولقد نفدت هذه عندما سقطت احدى القنابل المحرقة التي قذفها العرب على الأحياء اليهودية ، فأتت على مستودع ذخائرهم المركزي الكائن بالقرب من بنك انجلو ــ فلسطين الى الغرب من المسكوبية وكان في هذا المستودع مقادير كبيرة من الأسلحة والذخائر والأعتدة الحربية واحد عشر سيارة من سيارات الميدان ، فخسروا ذلك كله . عندئذ انسحبوا من النوتردام ومن جميع المباني والمرتفعات التي كانوا يحتلونها في تلك البقعة وتحصنوا في المسكوبية . وكان ذلك قبل اعلان الهدنة بيوم واحد . ثم عادوا فانسحبوا من المسكوبية ايضاً ، تاركين في فنائها مقادير غير قليلة من الأعتدة والذخائر وادوات الميدان . وكان ذلك في اليوم الذي اعلنت فيه الهدنة ، وقبل اعلانها بثماني ساعات . ويؤكد السيد جورج حنانيا الذي شاهد انسحاب اليهود بعينه ، ان اليهود في هذا القطاع تنفسوا الصعداء عندما اعلنت الهدنة ، ووقف القتال . ولولا ذلك لغير التاريخ مجراه في هذه المدينة المقدسة .

من الهدنة الثانية

الى ما قبل اتفاقية رودس ووقف القتال

مجلس الامن يبحث الموقف بعد استئناف القتال

عقد مجلس الامن في ١١ تموز جلسة ترأسها المستر مانولسكي Manuilsky مندوب اوكرانيا . ومثل الوسيط امام المجلس فقال : ان العرب هو الذين رفضوا تمديد الهدنة وطلب من المجلس أن يتدخل في الامر تدخلا حازماً، وان يأمر بوقف القتال في الحال، وأن يصدر امراً قاطعاً بوجوب نزع السلاح عن القدس . وبعد جدل عنيف اشترك فيه ممثلوا الدول الاربع الكبرى اعتبر المجلس الحالة في القدس ، وفي فلسطين مهددة للسلم ؛ مستنداً في ذلك على الصلاحية المخولة له بموجب المادة ٣٩ من ميثاق هيئة الامم [١] ولهذا استعمل الصلاحية التي خولته اياها المادة ٤٠ من الميثاق المتقدم ذكره [٢]. واقر (في ١٥ تموز) الاقتراح الذي قدمه المستر جيسوب رئيس الوفد الاميركي . اقره باغلبية سبعة اصوات وامتناع ثلاثة عن التصويت . وهو كما يلي : ـ

« يأمر مجلس الأمن جميع حكومات الفريقين بالامتناع عن اي عمل حربي ، وان يأمروا بوقف اطلاق النار الى جميع قواتهم في الميادين في خلال ٢٤ ساعة من بدء الموافقة على هذا القرار . ويكلف الوسيط بالسير في عملية نزح السلاح عن القدس . على ان لا يؤثر ذلك في وضع القدس من الناحية السياسية في المستقبل . كذلك يكلف الوسيط بالسير في فرض الهدنة . ومراقبتها ، وبيان من يخالف شروطها . وتظل الهدنة قائمة الى ان توضع تسوية سلمية لفلسطين . »

ولقد انذر المجلس الموما اليه الفريق الذي لا ينصاع لامره باتخاذ الاجراءات الوارد ذكرها في الفصل السابع من الميثاق . واصدر تعليماته الى الوسيط الدولي كي يبذل جهده لتجريد مدينة القدس من السلاح دون ان يكون لذلك اثر في المركز السياسي لهذه المدينة في المستقبل ولضمان حماية الاماكن المقدسة والابنية والمواقع الدينية في فلسطين . كما امره بالاشراف على تنفيذ الهدنة واتخاذ الاجراءات اللازمة لمعالجة الحوادث التي

«١» تنص هذه المادة على ان لمجلس الامن ان يقرر وجود حالة تهدد السلم اولا ، وايضاً ان يقرر الاجراءات الواجب اتخاذها للمحافظة على السلم واقرارة .

«٢» تنص هذه المادة على ان للمجلس ، اذا ما اراد ان يحول دون ازدياد خطورة الموقف ، ان يدعو الطرفين الى تنفيذ التدابير التي يراها لازمة .

تخرق فيها الهدنة ، وابلاغه عن الاجراءات التي يتخذها في هذا الصدد .

وما كاد هذا القرار يبلغ الى الفريقين في اليوم السادس عشر من شهر تموز ١٩٤٨ حتى ابرق اليهود الى الوسيط يقولون انهم يقبلون الهدنة . واما العرب فقد قصروا قبولهم، بادىء ذي بدء ، على الهدنة في القدس . ولم يقبلوها في الميادين الاخرى ، ثم عادوا فابرقوا للوسيط (١٧ تموز) يقولون انهم يقبلونها في جميع الجبهات .

وكانت تلك الفترة من الزمن اخطر فترة اجتازها العرب ، وتلك الازمة اشد ازمة عرفوها ، منذ نشوب القتال في فلسطين .

وفيما يلي موجز المذكرة التي ارسلها الامين العام عبد الرحمن عزام ، الى المستر تريجفي لي السكرتير العام للامم المتحدة جواباً على قرار مجلس الامن بتاريخ ١٥ تموز ١٩٤٨ : —

« ان الحكومات العربية لتستغرب موقف مجلس الامن وتهديده اياها بفرض العقوبات ، اذا هي لم تقبل من جديد وقف القتال في فلسطين . اذ لولا تدخل الدول العربية عسكرياً في اليوم الذي تخلت فيه بريطانيا عن الانتداب (١٥ ايار) وانتشرت الفوضى في البلاد ؛ لازدادت الحالة تفاقماً ، واختل الامن في الشرق الاوسط كله .

« وانه لقلب للاوضاع الطبيعية ان يُسمى المنقذ معتدياً . وان الحكومات العربية لا ترى تعليلا لموقف مجلس الامن منها الا انه رغبة لبعض الدول الكبرى في تمكين اليهود من فلسطين على حساب العرب .

« فان الجرائم الوحشية التي اقترفها اليهود من تقتيل وتعذيب وتشريد وسلب ونهب ، والتي تحاكي جرائم النازي في اوروبا ؛ كان من نتائجها ان اخرج مئات الالوف من عرب فلسطين من ديارهم ، وهاموا على وجوههم مشردين . وحل محلهم مهاجرون اجانب من اليهود . ومن الظلم في هذا الحال اتهام العرب بالعدوان والخروج على احكام ميثاق الامم المتحدة .

« ان اليهود لم يراعوا الهدنة اطلاقاً . بل نقضوها من الساعة الاولى . واستمروا في نقضها . فاستولوا على اماكن وقرى عربية حققت لهم ميزات عسكرية واستراتيجية . ولقد اعترف بذلك الوسيط نفسه امام مجلس الامن . ولم يقم المراقبون الدوليون بأي

عمل مجد في هذا المضمار . ولم يكن في مقدور الدول للعربية ، بعد هذه التجربة القاسية وبعد ان لمست مبلغ الضرر الذي لحق بها وبعرب فلسطين من جراء هدنـة الاربـع اسابيع ، ان تقبل تمديدها .

« ومع ذلك فهي لم تقفل الباب في وجه الوسيط ، وما يبذله من جهود لايجاد حل سلمي عادل . فكيف يمكن اعتبار هذه الدول اذن خارجة على الميثاق .

« وتري الدول لزاماً عليها ان تعلن الآن انه يجب الحيلولة دون ما وقع اثناء الاربعة اسابيع التي وقف فيها القتال ، فيحال دون هجرة اليهود الى فلسطين ، ويسعى لاعادة اللاجئين العرب الى منازلهم ، وقد ناف عددهم على الثلاثمئة الف .

« ولا يسع الدول العربية الا ان تبدي استغرابها لما جاء في قرار مجلس الامن مـن وصف العصابات الصهيونية بالحكومة المؤقتة . فان في هذا الوصف خروجاً على الحياد المفروض في مجلس الامن ، وهو مناقض لما جاء في قراره الصادر بتاريخ ٢٩ ايار حيث نص على عدم الاخلال بحقوق ومركز الجانبين .

« وازاء اصرار مجلس الأمن على اعتبار مواصلة القتـال تكديراً للسلم الدولي ، وتهديـده بتوقيع الجزاءات على الدول العربية اذا هي رفضت وقف القتال ، لا يسع الحكومات العربية الا ان تنزل على قرار مجلس الامن الخاص بوقف القتال مرة اخرى في فلسطين . وهي تعلن على الملأ ان وقف القتال في فلسطين لن يعيد السلام الحقيقي الى تلك الربوع . بل ستظل النفوس قلقة الى أن يوجد الحل العـادل لقضية فلسطين . وهي ما زالت عند رأيها ان اقتطاع جزء من فلسطين لانشاء دولة يهودية فيه بالقـوة وبالرغم من العرب سكان فلسطين لن يدنينا من الحل العادل المنشود ... »

وقف القتال في القدس وفي سائر انحاء فلسطين

وفي ١٧ تموز ١٩٤٨ أوقف العرب القتال ، عملا بقرار اللجنة السياسية لجامعـة الدول العربية التي قبلت قرار مجلس الأمن ، بوقف القتال في مدينة القدس . واصدرت قيادة الجيش العربي في عمان اوامرها الى الكتائب المرابطة في القدس ، فوقف القتـال اعتباراً من الساعة الثانية من صباح ذلك اليوم . وفي ١٨ تموز قررت اللجنة قبول قرار المجلس نفسه (اي مجلس الامن) بوقف القتال في جميع أنحاء فلسطين . كانت اللجنة

يومئذ مجتمعة في بيروت ، وكانت مؤلفة من جميل مردم رئيس الوزارة السورية ، ورياض الصلح رئيس الوزارة اللبنانية ، وتوفيق أبو الهدى رئيس الوزارة الاردنية ، ومزاحم الباجه‌جي رئيس الوزارة العراقية ، ومحمود فهمي النقراشي رئيس الوزارة المصرية ، وغيرهم من ممثلي الدل العربية الاخرى ، وكان قرارها بالاكثرية ، لابالاجماع فان مندوبي سوريا ولبنان صوتا ضد الهدنة واما مندوبا الاردن ومصر فقد صوتا مؤيدين . وكان العراق في بادىء الامر يريد استئناف القتال ، الا انه عاد فاعتذر بسبب موقف الاردن . ورفض النقراشي رجاء سوريا بان تحذو مصر حذوها . وفيما يلي نص القرار الذي أصدرته في هذا الصدد :

« تلقت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قرار مجلس الأمن الصادر بتاريخ ١٥ تموز بفرض وقف اطلاق النار في مدينة القدس وفي سائر فلسطين الى ان يوجد حل سلمي لمشكلتها .

« ولقد سبق لهذه اللجنة أن بادرت فلبت دعوة ذلك المجلس الى هدنة أربعة اسابيع امتدت من يوم ١١ حزيران الى يوم ٩ تموز . فاوقف العرب القتال في ساعة كانت جيوشهم تملك ناصية الامر في جميع الميادين اثباتاً لرغبتهم في السلم ، واملا منهم في الوصول في ظله إلى حل عادل لقضية فلسطين ، واحترم العرب احكام تلك الهدنة احتراماً كلياً ، ووفوا بالعهد الذي قطعوه برغم الانتهاك المستمر الذي انتهكه اليهود لتلك الاحكام .

« والعرب يؤمنون أن السلام الذي وجد من أجله مجلس الامن والذي هو مطلب الشعوب كلها لا يمكن أن يقوم وتثبت دعائمه إلا على الحق والعدا، .. إن حكومات الدول العربية التي تعتبر تحرير فلسطين قضية قومية تقتضي كل التضحيات واحتمال كل الآلام مهما تنوعت وطال بها الأمد لا تهاب في سبيلها المصاعب والمتاعب التي يكبدها إياها أي قرار ظالم تتخذها أية هيئة كانت . ولكن الحكومات العزبية — لاعتبارها هيئة اقليمية أخذت على نفسها مسؤولية المشاركة في حفظ السلم العالمي ، رأت وقف القتال دحضاً لحجة مجلس الأمن .

« وان اللجنة لتدرك تمام الادراك ، وهي تتخذ هذا القرار ، ما فيه من مرارة وألم،

وما يكلف الأمة العربية من احتمال وصبر ، ولكنها واثقة بان ذلك لن ينال من ايمانها بالنصر النهائي والفوز المحقق . »

هذا هو قرار اللجنة . ولقد وقف القتال بالفعل في تمام الساعة الخامسة من بعد الظهر ذلك اليوم (١٨) تموز) .

وفيما كانت الطائرات المصرية تحلق في الجو عائدة الى خظائرها في مطار غزة عملا بقرار مجلس الامن ، هاجمتها ثلاث طائرات يهودية فاسقطت اثنتين منها ، فهوت احداهما الى الأرض وصرع طيارها . ونجت الثانية ولقد جرى هذا بعد الموعد المحدد لوقف القتال . وجرى مثل ذلك في الجهات الاخرى حيث اهتبل اليهود الفرصة وتقدموا ولو بضع خطوات قبل ان يتمكن المراقبون الدوليون من السيطرة على الموقف .

فعل ممثلو الدول العربية ما فعلوا ونزلوا عند ارادة مجلس الأمن لسببين رئيسيين : أولهما ضغط دول الغرب . وفي طليعتها أميركا وبيدها مصانع السلاح والمال والمقام الأكبر في العالم الدولي ، وانكلترا التي تسير مع الولايات المتحدة جنباً إلى جنب . وقد هددت هذة (أي انكلترا) مصر وشرقي الادرن والعراق بالامتناع عن مدها بالسلاح ، إذا رفض العرب الهدنة ، الأمر الذي كان له وقعه عند هذه الدول ولا سيما الحكومة الاردنية ، وكانت هذه مرتبطة ببريطانيا ارتباطاً لا محيد عنه . وكانت بينهما معاهدة لا انفصام لها . وما كانت الحكومة الاردنية لتملك من الامر شيئاً . حتى أن ممثلها في اللجنة السياسية ، توفيق أبا الهدى ، أنذر بقوله أن الهدنة إذا لم تقبل اضطرت حكومته لسحب جيشها من فلسطين ... والسبب الثاني وهو ادراك الدول العربية أن اليهود أقوياء بالمال والعلم والرجال والتضحية والتنظيم . وانها (أي الدول العربية) غير قادرة على قهرهم وهي على ما هي عليه من تخاذل وعدم انسجام وعدم استعداد .

حدثني الاستاذ يوسف العيد منشىء (الوحدة العربية) في الارجنتين انه عندما تحدث الى عبد الرحمن باشا عزام الامين للجامعة حول الهدنة ، قال له هذا « ان الجامعة قبلتها عملا بنصيحة ممثلي الدول العربية في هيئة الامم . » وعندما نقل الاستاذ العيد قول عزام هذا إلى فارس بك الخوري ، ممثل سوريا فى تلك الهيئة ، انكره كل الانكار ، وقال « انه وزملاءه ممثلي الدول العربية في هيئة الامم نصحوا رجال الجامعة ألا يقبلوا الهدنة ، وان يمضوا في القتال الى النهاية . »

وقع الهدنة الثانية في البلاد العربية وفي فلسطين

ما كادت الهدنة الثانية تذاع في ١٨ تموز سنة ١٩٤٨ حتى ساد السخط بلاد العرب فقامت مظاهرات في الشام وبغداد، وبيروت والقاهرة وعمان. ونادى المتظاهرون بسقوط الهدنة وسقوط مجلس الامن الذي امر بها، واللجنة السياسية لجامعة الدول العربية التي قبلتها. وتذكر الناس قوله تعالى[١] «قل من كان في الضلالة، فليمدد له الرحمن مدا. حتى اذا رأوا ما يوعدون، اما العذاب واما الساعة، فسيعلمون من هو شر مكاناً واضعف جنداً.» راح الناس ينقدون ملوك العرب وامراءهم وقادتهم ورؤسائهم نقداً مريراً. لأنهم لم يعملوا عملا مجدياً من اجل انقاذ فلسطين. لا، ولا من اجل درء الخطر عن بلادهم. فلقد سافروا كثيراً، واجتمعوا طويلا، واصدروا البيانات بشتى الأساليب وشتى الفرص ومن غير حساب، قائلين انهم انما يبتغون وجه الله وانقاذ فلسطين. من ذلك ما فعلوه في مؤتمر (انشاص)[٢]. ذلك المؤتمر الذي عقد في ٢٨ أيار ١٩٤٦ أثر صدور تقرير لجنة التحقيق الانكليزية الاميركية بتاريخ ٢٠ نيسان ١٩٤٦. وكان الداعي اليه هو الملك فاروق الأول ملك مصر والسودان. وقد حضره الملك عبد الله بن الحسين ملك المملكة الاردنية الهاشمية، والامير سعود ولي عهد المملكة العربية السعودية، وشكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية، والشيخ بشاره الخوري رئيس الجمهورية اللبنانية، والامير عبد الاله الوصي على عرش العراق، والامير سيف الاسلام عبد الله نجل الامام يحيي ملك اليمن؛ واتخذ المجتمعون بالاجماع قراراً[٣] اعلنوا فيه تضامنهم، واعتزامهم على دفع الخطر الذي يهدد فلسطين.

ومنه المؤتمر الذي عقدوه بعد ذلك بقليل (٨ حزيران ١٩٤٦) في (بلودان)[٤] وقد حضره ممثلو الدول العربية في مجلس الجامعة. وقد اصدروا فيه قرارات جمة، كلها في مصلحة فلسطين. ورفعوا فور ارفضاضه إلى الحكومة البريطانية مذكرة

---

١) سورة مريم: الاية ٧٥

٢) مزرعة من المزارع الملكية الخاصة بمصر، على مقربة من القاهرة.

٣) في الملحق الثاني تجد نص البيان الذي اصدره ملوك العرب ورؤسائهم في انشاص.

٤) مدينة من المدن السورية المرتفعة على مقربة من الشام.

(١٥ جزيران ١٩٤٦) جاء فيها انهم يرفضون كل التواصي التي تتعلق بفلسطين ، إلا إذا كانت تؤيد حق الفلسطينيين في تقرير مصيرهم . وفي هذا الاجتماع قرروا تأليف هيئة فلسطينية عربية عليا يعتمدها مجلس الجامعة . ودعوا الحكومة البريطانية للتفاوض معهم من اجل عقد اتفاق ينهي الحالة الراهنة في فلسطين . وقبلت الحكومة البريطانية الطلب (في ١ آب ١٩٤٦) واجتمع الفريقان في لندن (١٠ أيلول) . وكان كل ما فعلوه ممثلو الدول العربية أن قدموا إلى الحكومة البريطانية مذكرة [١] لم تخرج ، في معناها واسلوبها عن المذكرات التي اعتاد سكان البلاد تقديمها منذ بدء الانتداب، وهي : ـ

« استقلال فلسطين استقلالا تاماً. وقف الهجرة اليهودية . حماية الاراضي العربية . »

وكثيراً ما قال زعماء العرب بالسنتهم ما ليس في قلوبهم . فغشوا شعوبهم . وخدروا أعصابها . وبينما كانوا يصرحون على ملأ من الاشهادانهم متفقون ، كانوا يأتون باعمال تنم عن اختلاف في العقيدة [٢] والوسيلة والهدف . ولم يوحدوا قيادة الجيوش . فكانت كل قيادة تعمل على انفراد ، دون أن يكون لها هدف مبين او خطة مرسومة [٣] . وحدث ، في بعض الحالات ، أنه بينما كان الجيش الواحد يحارب العدو في جبهة من الجبهات كانت الجيوش الأخرى تقف صامتة كأن الأمر لا يعنيها هذا رغم أنهم

---

١) في الملحق الثالث تجد القرارات التي اصدرها المؤتمرون في بلودان .

٢) جاء في الصفحة ٦٩ من مذكرات الوسيط الدولي ، الكونت برنادوت ، التي نشرت بعد وفاته انه « أي الكونت » عندما قابل الملك فاروق ، في ٧ حزيران ١٩٤٨ ، فهم من حديثه ، ان هناك تنافسا بينه وبين الملك عبد الله من حيث قيادة العالم العربي . وان الملك فاروق قال له انه تلقى من الحكومة الاردنية ومن قيادة الجيش العربي شكوى مفادها « ان العلم المصري المرفوع في ميادين القتال اكبر من العلم الاردني بعشرة سانتمترات ! ... »

٣) قال « اسرائيل جاليلي » قائد جيش الهاغانا في بداية الحرب ، في حديث له مع جريدة « البالستين بوست » بتاريخ ١٧ أيار ١٩٤٩ ما يلي : عندما اقتحمت الجيوش العربية حدود فلسطين اعتقدنا انها تسير ضمن خطة عسكرية موحدة ، وان العرب متحدون . ولكن عندما بدأ القتال ، تبين لنا ان العرب لم يكونوا متفقين ولم تكن لهم خطة موحدة وهذا ما اتاح لنا جمع قواتنا بين الحين والاخر ، في الجبهات المختلفة . وما كان لنستطيع جمعها لولا تفرق كلمة العرب .

مسلمون . وقد أمرهم الله بالقتال صفاً واحداً [١] . نعم . لقد كانت الجيوش العربية متباينة الأهداف ، مختلفة الغايات ، يسيرها القادة والزعماء كما يشاءون . ولئن دخل بعض هؤلاء القادة والزعماء الحرب بنية خالصة ، قاصدين انقاذ فلسطين ، الا أنهم جاؤوا متأخرين . . وقد دخلها بعضهم خشية العتب ، وبعضهم جاء لينفذ خطة وضعها له الاجنبي . فلم يتعداها خطوة واحدة . وما كان في مقدوره ان يفعل غيرما فعل . إذ أن بقاءه وبقاء جيشه وملكه وتاجه وعرشه منوط بارادة ذلك الأجنبي الذي يمده بالسلاح والمال . [٢]

والمخلصون الفاهمون لحقائق الأمور أيضاً قصروا في واجبهم . إذ اقتحموا الميدان قبل أن يعدوا للامر عدته . وكان عتادهم قليلا [٣] وما فكروا في شراء الاسلحة من

---

١) قال الله في كتابه العزيز « ان الله يحب الذين يقاتلون في سبيله صفاً ، كأنهم بنيان مرصوص». سورة الصف : الاية ٤ ، وقال : واطيعوا الله ورسوله ، ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم ، واصبروا ، ان الله مع الصابرين . سورة الانفال : الاية ٤٦ ، وقال : ولا تكونوا كالذين تفرقوا واختلفوا من بعد ما جاءهم البينات ، واولئك لهم عذاب عظيم . سورة آل عمران : الاية ١٠٥ .

٢) تدفع الخزينة البريطانية نفقات الجيش العربي ورواتب الجنود والضباط شهراً فشهراً . وليس في استطاعة المملكة الاردنية أن تعيش على مواردها الضئيلة وكان غلوب باشا الانكليزي المسيطر الوحيد على مصير الجيش العربي في القتال .

٣) حدثني القائمقام احمد صدقي بك الجندي رئيس الوفد الاردني في مفاوضات رودس فقال انه حضر اجتماعاً عسكرياً عقد في مصر قبل ان تدخل الجيوش العربية في مفاوضات مع اليهود لعقد اتفاقيات الهدنة الدائمة في رودس ببضعة أسابيع . وقد حضر الاجتماع المذكور عدد من الرجال العسكريين يمثلون الدول العربية الخمسة مصر وسوريا ولبنان والاردن والمملكة العربية السعودية. ولقد بحث المجتمعون الوضع العسكري في فلسطين على ضوء الحوادث التي جرت فيها ، وكان رائدهم الصراحة التامة فتبين لهم ان ليس للجيوش العربية قدرة على القتال اما الهجوم فهذا امر مفروغ منه وهو محال . واما الدفاع فباستطاعة الجيش المصري ان يقوم بهذه المهمة لمدة لا تزيد عن عشرة ايام واما الجيش الاردني فلا يستطيع الدفاع اكثر من سبعة ايام واما الجيش العراقي فخمسة وكذلك قل عن الجيش السوري . واما لبنان فلا يستطيع ان يصمد اكثر من بضع ساعات . وثبت للمجتمعين ايضاً ان استخبارات الحكومات العربية كانت ضعيفة . وانها — اي الحكومات العربية — ما كانت تعرف عن اليهود وعن مقدرتهم الحربية الا النذر اليسير .

اوروبا وتجار الأسلحة فيها كثيرون وكانوا على استعداد لبيع ما يصنعون الى العرب وغير العرب (١) . وكذلك قل عن ماالهم . ولهذا لم يقووا على القيام بأي عمل مجد من أجل قهر العدو وكسب الحرب . فلا درسوا الموقف دراسة فنية ، ولا فرضوا على شعوبهم ضرائب جديدة ، ولا عبأوا مرافق البلاد ، ولا استغلوا مواردها ، ولا سنوا من الأنظمة ما يكفل لهم معالجة الشؤون ومجابهة الاحوال الطارئة . وكانوا ، في معظم امورهم وقراراتهم ، يخبطون خبط عشواء .

وما كنت لترى ، إذا ما حللت في أي قطر من الأقطار العربية ، ما يدلك على أن البلاد كانت في حالة حرب . فالناس ماضون في حياتهم التي تعودوها من قبل ، كان لم

---

١) اتهم الميجر رالف نيومان من ضباط الجيش البريطاني الذي كان في أواخر عهد الانتداب ، مرابطاً بفلسطين انه باع صفقة من اسلحة الجيش الى اليهود ، ولما مثل أمام احدى المحاكم البريطانية اعترف بالتهمة التي وجهت اليه قائلا : انه في ربيع عام ١٩٤٨ كان الضابط المشرف على مخزن الاسلحة رقم ٦١٤ الكائن على مقربة من حيفا .. وانه باع اليهود مقداراً كبيراً من الاسلحة التي كانت في عهدته لقاء مبلغ من المال قبض منه في حيفا سبعة آلاف جنيه ومن لندن ثمانية عشر الفاً .. وان هذه الصفقة تمت بوساطة اخوين من عمال الهاغانا : احدهما يدعى « سيلفر » وكان يقيم في حيفا ، والثاني « برنارد » وكان يقيم في لندن .

ومما قاله الميجر نيومان في مذكراته التي نشرها اثر صدور الحكم بسجنه (اقرأ هذه المذكرات في الاعداد ٤٨٢٢ و٤٨٢٣ و٤٨٢٤ من جريدة « الدفاع » الصادرة بتاريخ ٨ و ٩ و ١٠ كانون ثاني ١٩٥٢) انه حاول في بادىء الامر ، ان يبيع للعرب جميع الاسلحة التي كانت في المخزن المتقدم ذكره وهي — كما يقول — أربعة آلاف بندقية من طراز اينفلد وثلاثة الاف مدفع من طراز ستن والف وخمسماية مدفع من طراز برن وتسعمائة مسدس اوتوماتيكي وعشرون مدفعاً من طراز فيكرز .. وانه اتفق مع العرب أن يقوموا هم بمهاجمة القافلة التي ستتولى نقل السلاح من مكان الى مكان ، وأن يقاومهم رجال القافلة — وكان يقودهم الجاويش جريف وكان هذا مطلعاً على المؤامرة — مقاومة مصطنعة ، فيستولي العرب على الاسلحة ، ويعلن موت الميجر نيومان ، فيقبض هذا المبلغ المتفق عليه وقدره مئتان وخمسون الفاً من الجنيهات ، ويعيش في سوريا عيشة الثراء والهناء ...

وكادت الصفقة ، على هذا الوجه ، تتم ، بعد مفاوضات طويلة اشترك فيها القاوقجي قائد جيش الانقاذ واسماعيل صفوت باشا القائد العام لجيش التحرير وسمير ذو الفقار باشا من كبار رجالات مصر وعبد الرحمن عزام باشا الامين العام لجامعة الدول العربية ، لو لا ان اسر اليه احد الضباط الانكليز الذين كانوا يعملون في معسكر القاوقجي ان القوم « أي العرب » ينوون اغتياله بعد ان تصبح الاسلحة في حوزتهم .

فعدل ، وولى وجهه شطر اليهود ..

يكن على الباب عدو يتربص بهم الدوائر . لا اثر للتقتير والتوفير في أكلهم وشربهم وكسائهم ومنازلهم ؛ لا ، ولا في مآدبهم وملاهيهم.

ولم يكن رجال الجامعة العربية ، مع ذلك لبقين في سياستهم . لا ولا كانوا بعيدي النظر في صلاتهم مع الدول الاخرى . فقد ظنوا انهم يستطيعون ان يغيروا دفة السياسة الدولية بكلمة تخرج من افواههم ، فهاجموا الدول كلها في وقت واحد . وحاولوا حل جميع المشاكل العربية القائمة في وقت واحد . وكان من الحكمة أن يحصروا جهودهم – في كل مرة – في حل هذه المشاكل كل على حدة ؛ ومتى نجحوا في حل واحدة منها انتقلوا إلى المشكلة التي تأتي بالدرجة الثانية من حيث الأهمية . وعملوا على حلها بما تتطلبه المصلحة القومية والظروف الدولية القائمة .

واما هم فقد عادوا الدول كلها في آن واحد . فراح المصريون يطالبون بوحدة وادي النيل ، وجلاء الانكليز التام عن مصر والسودان . وحذا العراقيون حذوهم ، فرفضوا معاهدة بورتسموث ، وهوجمت أسبانيا من أجل سياستها في مراكش . وفرنسا من اجل سياستها في تونس والجزائر . والبلجيك من أجل القونجو ، وايطاليا من اجل ليبيا والصومال ومستعمراتها الاخرى في افريقيا .

ليس هذا فحسب . بل أن الجامعة العربية ، التي لم يكن في مقدورها اصلاح شؤونها الداخلية ، راحت تعمل على انقاذ أندونيسيا من الهولنديين . كما راحت تناصر الباكستان ضد الهند ، ولم تتردد في ايذاء روسيا السوفياتية باظهار عدائها الصريح لأحزاب اليسار اينما وجدت هذه في بلادها .

ولم تكن لدى العرب ، دولا وشعوباً ، الوسائل الكافية للاستطلاع وجمع الأخبار فما قدروا عدوهم حق قدرهم . لا بل ظنوا انهم سيقضون عليه في اقل من لمح البصر ، وانه لن ينقضي يوم أو بعض يوم على اجتياز الجيوش العربية للحدود الفلسطينية حتى تكون مستعمراته كلها قد دكت ويكون هو قد القى سلاحه ووضع نفسه تحت رحمتهم . ذلك لأن الصورة التي عرفوها عن اليهود الجبناء الأقدمين الذين ضربت عليهم الذلة والمسكنة ما تزال منطبعة في أدمغتهم . وما عرفوا أن اليهود تغيروا مع الزمن ، وانهم تعلموا الشيء الكثير من الغرب الذي عاشوا بين ظهرانيه أحقابا طوالا ، وأن يهود

اليوم ليسوا يهود الأمس . وانهم اليوم مسلحون باحدث آلات القرن العشرين . من علم ومال وحنكة وصناعة وتضحية وتدبير وتنظيم . أضف إلى ذلك أن الغايـة ، في نظرهم ، تبرر الواسطة ، فجاءوا وقلوبهم طافحة بالحقد والغيظ لا على العرب فحسب، بل على الكون كله . وقوم هذه طباعهم لا يمكن صدهم إلا بمثل السلاح الذي يتمنطقون به : العلم والمال والحنكة والصناعة والتضحية والتدبير والتنظيم . ولم يكن لدى العرب من هذا كله سوى النذر اليسير . لا ، بل كانت تسودهم عوامل كثيرة بعضها اسوأ من بعض . فالجهل والفقر والمرض وضعف الوعي القومي والشعور الوطني والجمود والرجعية والتعصب والانانية وحب الذات وكره الخير ، والنزوع إلى الشر ، والاتكال والارتجال والتردد والتمسك بالخيالات والترهات ، وما إلى ذلك من الصفات ، كانت متغلغلة بين الصفوف بشكل مخيف ؛ فلا غرو إذاً ان حقت علينا كلمة الاله القائل: « إن الله لا يغير ما بقوم حتى يغيروا ما بانفسهم . » (١)

والأنكى من هذا كله انهم – أي الملوك والامراء – لم يحاولوا الاستفادة من ابناء فلسطين . لا بل انهم اساءوا اليهم كل الاساءة ؛ فشتتوا شملهم ، وحلوا منظماتهم ، وصادروا أسلحتهم ، وأبعدوهم عن الميدان ، وراحوا يجرحون كرامتهم في الصميم . فاتهموهم بالجبن (٢) واللؤم وخيانة الوطن والتجسس وبيع الأراضي (٣) . مع أنهم (أي الفلسطينيين) اخلص لقضيتهم واعرف بحاجات بلادهم

---

١) سورة الرعد : الاية ١١ .

٢) مع انهم اي الفلسطينيين حاربوا الانكليز واليهود ثلاثين عاماً فلم يجبنوا ، ولم يهنوا ، وقد صمدوا للجيش البريطاني . فكسروا كتائبه الاولى التي جاءت تحاربهم بقيادة الجنرال ديل ١٩٣٧ والثانية بقيادة الجنرال ويغل ١٩٣٨ والثالثة بقيادة الجنرال هايننغ ١٩٣٩ .

٣) يظن الكثيرون – وبعض الظن اثم – ان الفلسطينيين كلهم سماسرة ، وانهم باعوا اراضيهم الى اليهود ، وان اليهود تملكوا عن هذه الطريق معظم اراضي فلسطين . والحقيقة هي كما يلي : –

ان مجموع مساحة فلسطين ٢٦,٤٠٥,٢٦٦ دونماً الدونم الف متر مربع . بلغ مجموع ما استولى عليه اليهود عند انتهاء الانتداب نحواً من مليوني دونم «١,٩٩٧,٠٠٠» اي سبعة في المئة تقريباً « ٧ ٪ » لم يبع عرب فلسطين منها سوى ربع مليون دونم « ٢٥٠,٠٠٠ » . وما كانوا ليبيعوا هذه الدونمات لولا السياسة التي اتبعتها الدولة المنتدبة لافقارهم . اذ كان صك الانتداب يقضي عليها أن تضع البلاد في حالة

وأقدر على القتال والتضحية في سبيلها من غيرهم ، شريطة أن تتوفر لديهم وسائل القتال. نقول هذا رغم اعترافنا بانهم ــ هم أيضاً ــ أخطـــأوا بان استسلموا للوهم ، فظنوا ــ

تساعد على تأسيس الوطن القومي اليهودي فيها . ومنحت حكومة الانتداب البريطاني اليهود نصف مليون دونم « ٥٠٠,٠٠٠ » من املاك الدولة : ثلاث اخماس ذلك بلا مقابل والخمسان الباقيان لقــاء اجرة اسمية . والباقي وقدره ١,٢٤٧,٠٠٠ دونماً شروه « أي اليهود » من اصحاب الاراضي والاقطاعات الواسعة من خارج فلسطين وجلهم ــ ان لم نقل كلهم ــ لبنانيون وسوريون : كآل سرسق « بيروت » الذين باعوا ٤٠٠,٠٠٠ دونماً من أراضيهم الواقعة في مرج بن عامر .. وآل سلام « بيروت » الذين باعوا ١٦٥,٠٠٠ دونماً مــن اراضيهم الواقعة في الحولة . « لآل سلام امتياز في هذه الاراضي هو الذي باعوه لليهود . وأما الاراضي نفسها فانها لاهل الجديدة وهم الذين باعوها »وال التيان والقباني « بيروت » الذين باعوا ٣٩,١٢٤ دونماً من أراضيهم في وادي الحوادث .

« وادي الحوادث » أرض واسعة مساحتها ٣٠.٨٢٦ دونماً . وفي قول انه ٣٩,٢٤ دونماً كان فيما مضى بيد عائلة عربية من لبنان وظل كذلك حتى عام ١٨٢٢ حيث شعر اصحابه بالفقر والحاجة فرهنوه . رهنوه عند رجل افرنسي . وعجز اصحابه عن فك الرهن في التاريخ المحدد . فتقاضى الفريقان . ولعبت الرشوة دورها ، فصدر الحكم لصالح المرتهن . فاشتراها اليهود . اشترتها جمعية رأس المال القومي اليهودي المعروفة « كون فايمت » . وقد تم البيع في ٢٧ ايار ١٩٢٩ . واخرج من الارض زهاء١٢٠٠عربي امروابإخلائها . وقد اخلوها قسراً .

وال الصباغ والتويني « بيروت » الذين باعوا أراضيهم الكائنة في السهل الساحلي بين عكا وحيفا « لا نعلم كم هي ؟ »وان كنا نعلم أن ال التويني باعوا قرى الهريج والدار البيضاء والانشراح ونهاريا وكذلك قل عن الجزائرلي « سوريا » وشمعة والقوتلي « سوريا » الذين باعوا اراضي المنشية وال مارديني « سوريون » الذين باعوا قدس من أراضي صفد .

وغيرهم كثيرون ممن باعوا اراضيهم الكائنة على الحدود الشمالية لفلسطين . وكان اليهود قد استولوا على ما يقرب من نصف مليون دونم من الاراضي في عهد الحكومة العثمانية وفي مدد طويلة .
قال الدكتور روبين من رجال الوكالة اليهودية في القدس -- في شهادة أداها أمام لجنة التحقيق ــ أن تسعة أعشار الاراضي التي اشتراها اليهود حتى عام ١٩٢٩ اشتريت من ملاكين غــير فلسطينيين يعيشون خارج فلسطين ..

وبهمنا أن نذكر ، والشيء بالشيء يذكر ، ان اليهود انشأوا فوق الاراضي التي اشتروهــا من ال سرسق وحدها ، وهي واقعة على طول السكة الحديدية بين حيفا وبيسان ستا وخمسين مستعمرة . أنشأوها على أطلال خمسة عشرة قرية عربية كانت هناك . واليك أسماءها من الغرب الى الشرق ــ

١ . الياجور ٢ . شيخ بريك ٣ جيدة ٤ . طبعون ٥ . تل الشمام ٦ . الورقاني (كفار باروخ) ٧ . معلول (نهلال) ٨ . خنيفس ٩ . جباتا (كفار داميد) ١٠ . جنجا (ترانسلفانيا) ١١ . تل العدس (بلفوريا) ١٢ . الفوله ١٣ . عفولة (مرحافيا) ١٤ . الجالود(عين حارود) ١٥ . تل الفر .

وبعض الظن اثم ـ أن الجيوش العربية وحدها تستطيع درء الشر عن بلادهم . ففترت همتهم . ولم يضح أغنياؤهم التضحية الكافية لانقاذ وطنهم . وكان بامكانهم ـ لو شاءوا أن يفتدوه باموالهم وبنيهم .

ولقد انشطر الرأي العام العربي في فلسطين إلى شطرين . شطر ندد بالهدنة معتبراً اياها ضارة بمصالح العرب ، ونادى بوجوب استئناف القتال . وكان من رأي هذا الشطر أن الدول العربية كما قلنا ما حاربت كما يجب أن تحارب ، ولا ضحت بما يجب أن تضحي . وأنها نزلت على ارادة دول الغرب اكثر من اللزوم. وانها لو استعدت وحاربت بجد، ووحدت قيادة جيوشها لما جرى ما جرى . وكان من سكان القدس انفسهم كثيرون يعتنقون هذا الرأي ويقولون القول نفسه .

ليس هذا فحسب فان القائد عبد الله التل ، الذي قاد الكتيبة السادسة في معارك القدس ، حدثني أحاديث جمة تؤيد الرأي المتقدم . وهو من القائلين انه كان باستطاعة الجيش العربي ، أن يحتل القدس كلها لو كان قائده عربياً . وكذلك قال الكثيرون من رجال هذا الجيش العرب ، واني لأشهد ان الجيش العربي نفسه لا عيب فيه . انه بجنوده وضباطه مثال التربية والنظام والدربة والشجاعة . والحق يقال أن رجاله ما كانوا ليقلوا غيرة ووطنية واخلاصاً عن أي رجل آخر من أبناء البلاد غير أن العيب جله ـ وان شئت فقل كله ـ في قادته وأكثرهم من أبناء التايمس . ولقد شرحنا سياستهم وسياسة حكومتهم في موضع آخر من هذا الكتاب .

انهم كانوا يسيرون الجيش كما يشاؤون ، لا كما تشاء مصلحة العرب . وبكلمة اخرى كانوا يعملون بوحي من مصلحة امهم الحنون : بريطانيا العظمى . ومصلحتها في هذا الجزء التعس من الشرق فوق كل شيء . . .

فلقد حدثني عدد كبير من ضباط هذا الجيش ، العرب الخلص ، ان الذخائر كانت توزع على الجنود بقدر معلوم ووفقاً لخطة مرسومة . ولكم سئل الضباط وعوقبوا وسيقوا إلى القضاء ، وادينوا من لدن رؤسائهم الانكليز ، لا لذنب اقترفوه . وانما لأنهم في احدى المعارك حاربوا أو حاولوا أن يحاربوا دون أمر من قائدهم ، أو لأنهم تقدموا

إلى ما وراء الحد المقرر لهم، أو لأنهم أطلقوا من قنابل مدافعهم عدداً أكبر من العدد المقرر لهم، وكثيراً ما أمروا بالوقوف عند حدهم. مع أنهم كانوا يتحرقون شوقاً إلى الهجوم، والزحف إلى الأمام... هذا فضلا عن أن الوضع الحربي نفسه كان يومئذ، ولا سيما في القدس، في صالح العرب. ولم يكن في صالح اليهود. ولقد أكد لي ضابط خبير في شؤون القتال [1] أن أسلحة العرب كانت احسن نوعاً وأشد مضاء من اسلحة اليهود. وانه كان لدى الجيش العربي مقادير كافية من الاعتدة والذخائر، ولكن هذه كانت تعطى للمحاربين على جرعات كما يعطى المريض العلاج، وكان مفتاحها بيد الانكليز الذين كانوا يسيرون القتال كما يشاؤون. أفضى القائد الاردني المعروف عبد الله التل [2] إلى الكاتب المعروف محمد البيلي بحديث [3] جاء فيه ما يلي:

«دخل الجيش العربي الاردني فلسطين، ولم يكن مزوداً بخطة عسكرية ذات هدف واضح. وكذلك قل عن الجيوش العربية الاخرى، فانها لم تكن مزودة بخطط عسكرية معينة تسير على هداها. وكان كل جيش يسير حسب خططه الخاصة به.

«وفي ٧ حزيران ١٩٤٨ اتصلت بي معلومات سرية وعثرت على وثائق هامة، كشفت لي الستار عن الخطة التي رسمها البريغادير غلوب باشا للجيش الاردني وكان هو قائده الاعلى وخطته تلك ترمي إلى غرضين:

أحدهما: الحيلولة دون احتلال الجيش الاردني أو أي جيش عربي آخر للقدس.
والثاني: الحيلولة دون الاشتباك مع اليهود في حرب حقيقية في فلسطين.

«ولقد حاولت ايضاح الحقيقة في تقرير رفعته إلى الجهات المختصة [4] مشيراً إلى ضرورة العناية بالقدس، وتعزيز الجيش، ووضع خطة عسكرية واضحة تضمن التعاون مع الجيوش الاخرى، ولا سيما الجيش المصري الذي كان يزحف صوب القدس، وكانت المصلحة تقضي بدعم جناحه الايمن.

---

١) عبد الله التل قائد الكتيبة السادسة من كتائب الجيش العربي التي كانت ترابط في بيت المقدس عندما اعلنت الهدنتان: الاولى والثانية.

٢) انظر الى ما كتبناه عن هذا القائد عندما دخلت كتيبته (السادسة) القدس في ١٩ ايار ١٩٤٨

٣) اقرأ العدد الصادر بتاريخ كانون الثاني ١٩٥٠ من مجلة (آخر ساعة) المصرية.

٤) يقصد الملك ووزرائه.

« ولو كان رجال الجيش الاردني صادقين في نياتهم لسقطت القدس كلها بايدينا ولانتقلت خطوطنا الامامية الى اللد والرملة ، وهما من المواقع الاستراتيجية الهامة . ولو تم ذلك ، لما حدثت مأساة اللد والرملة (وان شئت فقل عنها مؤامرة) ولااستطاع الجيشان الاردني والمصري ان يلتقيا عند ابواب تل ابيب قبل الهدنة الاولى ... »

هذا ما قاله عبد الله التل لولاة الامور . وهذا ما ذهب اليه الكثيرون من ابناء البلاد المخلصين . ولكنهم لم يأبهوا لقوله [1] . ولا لقول الآخرين .

حدثني القائد حابس المجالي : — انه « سمع رؤساءه يقولون أن لدى الجيش العربي من السلاح والعتاد ما يكفي لمنازلة اكبر جيش لمدة سنة واحدة . وهذا كان قبل ان يتحرك الجيش من قاعدته بالمفرق . ولما دخل هذا فلسطين ، وراحت السياسة تلعب دورها ، واحتج بقلة الذخائر في تبرير الخضوع للامر الواقع راح الرؤساء يقولون : ان العرب من رجال الجيش هم السبب في ذلك . لأنهم اسرفوا الاسراف كله في استعمال الذخائر من رصاص وقنابل . »

والحقيقة انه لم تكن هناك نية حسنة . بل كانت نية سوداء . وكانت نتائجها ما وصفناه لك في هذا الفصل من مآس لم يذكر التاريخ لها مثيلا من قبل .

ويظهر أن اليهود أدركوا حقيقة الحال في البلاد العربية . فاستغلوا الموقف لصالحهم وراحوا يذيعون من محطاتهم اللاسلكية انهم اشتروا من اوروبا وأميركا مقادير كبيرة من المصفحات والمدافع والطائرات . وانهم استأجروا عدداً كبيراً من الطيارين والمدفعيين والمهندسين الخبيرين في شؤون الاسلحة والقتال من ايطاليا وانكلترة وأميركا ومن تشيكوسلوفاكيا وروسيا . وكانوا في أقوالهم هذه مبالغين .

وقام رجال الطابور الخامس بتمثيل الدور الذي عهد اليهم به على أحسن وجه . فراحوا يبثون الذعر في صفوف الامة العربية ويوسعون شقة الخلاف ، بين افرادها ، وبين هؤلاء وزعمائهم . مؤكدين أن هؤلاء الزعماء قد خانوها . ومن لم يخنها منهم عن

---

(١) لم يكتف غلوب باشا بان ضرب بقول المثل هذا عرض الحائط ، بل اعتبر ذلك تدخلا في الشؤون السياسية . وكان السبب في نقله الى عمان . واستقال التل على اثر ذلك ، لا من الجيش فحسب ، بل من الاعمال الحكومية كلها . وها هو حر طليق ، يحدثنا بما جرى .

قصد فقد قصر في واجبه . والتقصير في هذه الامور جناية لا تغتفر . وذكروا ـ على سبيل المثال ـ المبالغ التي تبرعت بها المملكة العربية السعودية من اجل انقـاذ فلسطين وقدرها أربعة ملايين ريال سعودي ، وتلك التي تبرع بها العراق للغاية نفسها وقدرهـا مئة الف دينار عراقي ، والحكومة المصرية وقدرها ثلاثمئة وعشرون الف جنيه مصري ، وما تبرعت به سوريا ولبنان والبلاد العربية الاخرى . فراحوا يتساءلون عما فعل الزمان بهذه الأموال ؟ وأين صرفت ؟ وكيف صرفت ؟ وراح بعضهم يورد الأدلة على أن بعض رجالات العرب الذين انتدبوا لشراء الاسلحة من تشيكوسلوفاكيا وايطاليا قـد خانوا الأمانة وأساءوا التصرف في الأموال التي قبضوها [1] . فلم يشتروا إلا النذر اليسير وما اشتروه من هذه الاسلحة حسبوه على الامة بمبالغ اضخم من المبالغ الـتي دفعوها بالفعل .

ووصل آخرون ، في هذا المضمار ، إلى حد ابعد من ذلك فراحوا يذيعون أن الامة العربية لا تصلح ابداً للحياة وان تاريخها مليء بالمشاغبات الدالة على سوء الخلق وانعدام الأهلية للحكم وللحياة معاً . ومن هناك دلفوا إلى القول : أليس ، إذاً ، من الأفضل ان نرضى بالأمر الواقع ، فنسلم اليهود الجزء الذي افتتحوه من فلسطين ، سواء كان هذا الفتح بقوة السيف أو بضغط الدول المشايعة للصهيونية ، وان يلحق الجزء الباقي بيـد العرب بمصر ، او بسورية ، أو بالمملكة الاردنية الهاشمية . ولم تقم الصحف العربية ، سواء أكانت فلسطينية ام غير فلسطينية ، بواجبها في هذا المضمار بـل راحت تغش الشعب ، وتخفي عنه الحقائق ، وتنشر في كل يوم أخباراً ما انزل الله لها من سلطان . . .

ومن الانصاف ان نقول : كان هناك فريق من الناس يعتقدون ان الهدنة الثانيـة جاءت في وقتها ، وانها في صالح العرب اكثر مما هي في صالح اليهود . ولا سيا اولئك الذين يعيشون في مناطق متاخمة لخط القتال عند باب الواد .

فقد حدثني وكيل القائد عزت حسن ، من رجال المدفعية في الجيش العربي ، وكان مرابطاً في الهدنه الأولى والثانية مع كتيبته عند باب الواد ، وحضر اكثر المعارك الـتي قامت هناك . حدثني فقال : «أما الهدنة الاولى فاني لا أعتبرها خطأ فحسب ، بل وجناية

---

١) اقرأ ما كتبناه عن شراء الاسلحة في الفصل الذي خصصناه للجيش المصري .

لا تغتفر ، وما كان على العرب ان يقبلوها أبداً . لأنهم كانوا يومئذ الغالبين . وكانت القدس على وشك السقوط في أيديهم ، وأما الهدنة الثانية فالقول فيها غير القول في الاولى . اذ ان الوضع يومئذ كان قد تبدل . وكانت قوتنا عند باب الواد لا تزيد عن الف ومئتي مقاتل . وأما اليهود فقد كانوا اكثر منا عدداً وعدة ولقد تقدموا من خلفنا فاحتلوا البرج وبئر ام معين ووصلوا الى نقطة تقرب من بيت سيرا [1] وجاءت فرقة من ناحية المستعمرة المعروفة ب (معلي خاشه) ونزلوا الى الطريق . وكادوا يلتقون بالأولين . ولو التقوا لتمكنوا من قطع خط الرجوع علينا ووقعنا في اسرهم . لولا ان الهدنة الثانية حلت ، فانقذتنا ... هذا بالاضافة الى انه لم يكن للجيوش العربية هدف واحد ولا كانت تسير على خطط مبينة او في قيادة واحدة . ولهذا كان اليهود في أكثر المعارك يملكون زمام المبادرة وينزلون ضربتهم متى شاءوا وانى شاءوا . » ومن القائلين بهذا القول حابس المجالي قائد الكتيبة الرابعة التي رابطت الوقت كله عند باب الواد .

ويظهر أن شعور الناس ، لم يكن يومئذ في مستوى واحد. وان هذا التباين في الرأي نشأ عن مبلغ القوة والضعف في كل جبهة من الجبهات . فالجبهة التي كان العرب فيها أقوياء كانت توحي لسكانها السخط والاستياء على الهدنة وعلى من قال بها .. والجبهة التي كانوا فيها ضعفاء كانت تحدث في نفوس سكانها الرضا والارتياح . ولا سيما اولئك الذين الم بهم الذعر أثر سقوط اللد والرملة . فقطعوا كل امل ورجاء في النصر الذي كانوا يبتغون .

« يا أيها الذين آمنوا ما لكم إذا قيل لكم انفروا في سبيل الله اثاقلتم الى الارض . أرضيتم بالحياة الدنيا من الآخرة ، فما متاع الحياة الدنيا في الآخرة الا قليل . إلا تنفروا يعذبكم عذابا اليما ، ويستبدل قوماً غيركم ، ولا تضروه شيئاً ، والله على كل شيء قدير . [2] »

---

١) كسرت في هذه المعركة سرية المشاة الاردنية التي كان يقودها الميجور لوكت و كانت سريته مؤلفة من ١٨٠ رجلا يسندها سرية مدرعات عددها اثنتا عشرة في كل مدرعة منها مدفع من عيار رطلين ورشاش من طراز براونغ واربعة مدافع ثقيلة من عيار ستة ارطال . ويسندها ايضاً اربعة مدافع ثقيلة من عيار ٢٥ رطل • كانت تقذف اليهود من جبال بيت لقيا . وجرح قائد المدرعات الملازم حمدان الباوي •

٢) سورة التوبة : ٣٨ ، ٣٩ .

اختلاف الزعماء

وراح الناس ، في اليوم التالي لوقف القتال (١٩ تموز) ينقدون ، اكثر من أي وقت مضى ، الزعماء . فانه مهما كانت الأسباب التي أدت الى نكبتنا وضياع الفردوس المفقود بين ايدينا ، فان لاختلاف الزعماء المقام الاكبر بين هذه الاسباب . بلى وربك! ان اختلاف الزعماء كان من اهم الأسباب التي أدت إلى هذه النكبة :

« .. ولا تنازعوا ، فتفشلوا ، وتذهب ريحكم ... » [١]

لم يكن بين الدول العربية السبع التي يتألف منها مجلس الجامعة وهي مصر والمملكة العربية السعودية وسورية ولبنان والاردن واليمن والعراق دولتان على قلب واحد وخطة واحدة وهدف واحد . لا بل كانت كل دولة منها تخشى الاخرى ، وتحسب حساباً لمطامعها . وما كانت الواحدة منهن لتعرف عن الاخرى شيئاً ؛ لا ، ولا عن جيشها ، واسلحتها ، وخططها .

وقد انقسمت الدول العربية إلى كتلتين متعاديتين : كتلة يتزعمها الهواشم ، وهي مؤلفة من الاردن والعراق ، وكتلة يتزعمها الملك فاروق ، وهي مؤلفة من مصر وسورية والمملكة العربية السعودية . ووقفت كل واحدة تناوىء الاخرى .

فالملك عبد الله الذي يتزعم الهواشم كان يرنو ببصره إلى بر الشام ليحقق حلماً طالما راوده من اجل انشاء (سورية الكبرى) ولم ينقطع ، حتى في اثناء القتال ، عن ترنيم هذه الانشودة ولو لحظة واحدة . حتى انه بعث إلى شكري القوتلي رئيس الجمهورية السورية ، رسولا من قبله هو محمد باشا الشريفي وزير خارجيته . طالباً اليه ان ينضم الى لوائه . فرفض هذا قائلا (ما معناه) : « إذا كان لا بد من الانضمام ، فلينضم الاردن ، وهو فرع إلى سورية ، وهي الأم . ولنسير معاً على نظام الحكم الجمهوري المستقل ، لا الملكية المرتكزة على حراب الانكليز ... »

وخشي السوريون أن يزحف الملك عبد الله بجيشه نحو سوريا ، وكان هذا (اي الجيش الاردني) يومئذ قادراً على الزحف . فلجأ رئيسهم القوتلي الى ابن السعود . وكان ابن السعود يخشى ان يفكر عبد الله في استرداد الحجاز منه ، إذا ما نجح في تحقيق

---

١) سورة الانفال : الاية ٦٦ .

فكرته (سورية الكبرى) واتسع سلطانه . فشجع السوريون على مقاومته ووعدهم بالتأييد إذا ما حدثت عبد الله نفسه أن يهاجم بلادهم . ومما قاله لمحسن البرازي وزير خارجيتهم : « إذا هاجمكم عبد الله حاربوه ولو لعشرة ايام ، واصمدوا ، حتى آتيكم بخيلي ورجلي . »

وراح ابن السعود في الوقت نفسه يجس نبض الانكليز والاميركيين ، طالباً اليهم وقف عبد الله عند حده .

وكذلك قل عن الفاروق ملك مصر . فانه كان يكره الملك عبد الله ، ولا يؤمن به. وسعى للتكتل ضده مع ابن السعود والقوتلي . وكان هؤلاء جميعاً عند حد الاعتقاد الجازم ان عبد الله دخل الحرب وهو عازم ان يقف عند حدود التقسيم ؛ وانه يميل الى عقد الصلح ، ولو منفرداً مع اليهود ؛ وانه ينوي ان يضم الجزء العربي من القدس ومن فلسطين الى مملكته ؛ وان الانكليز حلفاءه يؤيدونه في هذه الخطة .

وسارت الحكومة العراقية (نقول الحكومة العراقية ولا نقول الشعب العراقي) في ركب الاردن وعاهله الى أبعد الحدود . وكانت بين ملكيهما صلة قربى ، كما كانت بينهما معاهدة تقضي أن يسيرا معاً في الخير والشر ، الامر الـــذي زاد في شكوك مصر وسوريا والمملكة العربية السعودية .

وراح كلا الفريقين يكيد للآخر ، ويدس له من الدسائس ، ما شاء الدس انيكون هذا بدلا من ان يتناسوا أحقادهم ولو في فترة القتال .

وكان من الطبيعي ان لا يتفقوا في مسألة القيادة .

ان رجال الحكم في هذه الدول وان عهدوا بالقيادة العامة إلى احدهم ، وهو الملك عبد الله ملك الاردن ، إلا أنهذه القيادة كانت صورية بحتة . فلا هم وثقوا به ، ولاهو وثق بهم . انهم كانوا مرتابين من صدق نواياه . واكثر ارتيابهم كانموجهاً لقائدجيشه ورئيس أركان حربه غلوب باشا وكان هذا يدافع عن مصلحة بلاده انكلترا اكثر مما يدافع عن فلسطين ، ويطلب نفع قومه الانكليز اكثر مما يطلب نفع البلاد التي تجنس بجنسيتها وراح يزعم انه من رعاياها . وكثيراً ما كان الملك يتردد في فعاله . فبينما تراه في بعض الاحايين على استعداد لتلبية نداء قومه ، لا تلبث ان تسمع فجأة انه انقلب

على عقبيه ، متبعاً ، نصائح اصدقائه الانكليز . وما كان له أن يفعل غير ذلك . لأن بقاءه في كرسي الحكم وبقاء جيشه في الميدان متوقفان على رضائهم وعلى المال الذي كانوا ينفقونه . وكذلك قل عن ابن اخيه الامير عبد الاله الوصي على عرش العراق ، وعن نوري باشا السعيد رئيس وزراء ذلك القطر الشقيق ، وعن كثيرين من رجال العرب البارزين . ومنهم ابن السعود فقد كانوا ضالعين الى أبعد الحدود مع الانكليز . وثبت في النهاية أن هؤلاء (اي الانكليز) كانوا مصدر الشر .

هذا عن رجال الحكم في بلاد العرب بوجه عام . وقد ذكرنا شيئاً منه في الفصل المتقدم [1] . وأما عن الرجال الذين انيط بهم أمر القتال بفلسطين ، فنقول : —

كان هناك ، كما قلنا في غير هذا المكان ، هيئتان مسؤولتان عن ادارة دفة القتال ؛ هما :

(آ) . اللجنة العسكرية ، ومقرها في دمشق .

(ب) . الهيئة العربية العليا ، وكان مقرها بادىء ذىء في القدس . ثم نقلته الى القاهرة ، وكان لها فروع في القدس وبيروت ودمشق .

ولم يكن بين هاتين الهيئتين اتصال متين ، ولا كان بينهما توافق وانسجام تام . لا ، بل كان بينهما — ويا للاسف — شيء كثير من التنافر والتباعد .

وبلغ هذا التنافر حداً جعل اللجنة العسكرية تعارض في تسليم الهيئة العربية السلاح .

جاء في بيان نشرته جريدة (الحياة) البيروتية (العدد ٢١٠٠ بتاريخ ١٣ آذار ١٩٥٣) لمحمد منيف الحسيني ، على لسان المفتي الحاج أمين ، أن الحكومة المصرية قررت ، أثر صدور قرار التقسيم ، تزويد المجاهدين الفلسطينيين بالفي بندقية ومئتي مسدس وأن اللجنة العسكرية ارسلت اثر صدور هذا القرار ، مندوبها الى مصر طالبة عدم تسليم أي مقدار من السلاح إلى الفلسطينيين . وذهب مندوب آخر (هو محسن البرازي) إلى الحجاز ونجد ليطلب من الملك عبد العزيز آل سعود الطلب نفسه . وكانت مصر قد سلمت الهيئة العربية ١١٠٧ بنادق . فارسلت الباقي وقدره ٨٩٣ بندقية و ٢٠٠ مسدس الى دمشق . ارسلتها بالطائرات .

---

١) اقرأ ما كتبناه عنهم أيضاً في حوادث اليوم الثالث والعشرون من شهر تشرين الاول ١٩٤٨

ويقول البيان ان الهيئة العربية أرسلت البنادق التى تسلمتها من مصر (١١٠٧) مع ١٩٦ بندقية كانت ابتاعتها من جهات اخرى الى المجاهدين الفلسطينيين . ارسلتها بالقطار إلى العريش . ومنها شحنت الى فلسطين باشراف محافظ سينا في ذلك الحين الميرالاي ذكي عبد الحميد وقد تم ذلك بتاريخ كانون الثاني ١٩٤٨ .

كان رجال اللجنة العسكرية يعتقدون ان المفتي يجب ان يظل بعيداً عن شؤون القتال . وكان بعض رجال الجامعة ايضاً يميلون للاخذ بهذا الرأي . وقد ازداد الخلاف بين المفتي والنقراشي عندما التقيا في قصر عابدين وجرى البحث في مشكلة فلسطين والطريقة التي يجب ان تتبع من اجل انقاذها .

ثم عادا فاختلفا عندما تكونت في غزة (حكومة عموم فلسطين [1]) . إذ كان رأي النقراشي ان لا يشترك المفتي في اعمال تلك الحكومة . ولكن المفتي رفض الانصياع لرأيه فذهب الى غزة . وترأس جميع الأعمال التي أدت إلى قيام تلك الحكومة . الامر الذي حدا بالنقراشي لاستدعائه . فعاد الى مصر مخفوراً في طائرة عسكرية .

ولم تكن علاقة المفتي بالقاوقجي ايضاً حسنة ، فقدساءت هذه عندما التقى الرجلان في المانيا (١٩٤٥) وازدادت سوءاً عندما اعلن التقسيم ، ورشح القاوقجي للقيادة . فقد كان المفتي عند حد الاعتقاد ان هذا لا يصلح للقيادة . وكان هذا يعتقد انه كفء لها . ولقد أدى هذا الكره والتشاد الى ذلك الجمود الذي شهده الناس ، بين القاوقجي وعبد القادر الحسيني زميله في القتال ، عندما كانت رحى المعارك تدور في فلسطين . وكان كلاهما يدير قطاعاً مجاوراً لقطاع الآخر . هذا بالرغم من الحقيقة التي يدركها كل ذي علم بفنون القتال وهي انمصيراي من هذين القطاعين له تأثيره على مصير القطاع الآخر .

وسرى هذا الخلاف بين القادة الى رجال المنظمتين : جيش الانقاذ والجهادالمقدس . فان رجال الانقاذ كانوا يعتقدون ان الفلسطينيين لا يصلحون للدفاع عن بلادهم ، وانهم منقسمون الى شيع واحزاب ، وان معظمهم انحطوا خلقياًإلى درجة انهم اصبحوا جبناء، وسماسرة ، واما رجال الجهاد المقدس فكانوا يقولون انهم اولى بالدفاع عن وطنهم واقدر على ذلك شريطة ان يزودوا بالسلاح والعتاد والمال .

---

١) اقرأ ما كتبناه عن هذه الحكومة في ١ تشرين الاول ١٩٤٨ .

وفي الميادين الاخرى كان المناضلون فرقاً لا يجمعها جامع . وكانت كل فرقة من هذه الفرق تعمل وحدها ، وتسير منفردة حسب مصلحتها . وقليلا ما كانت الواحدة منها تعرف عن اختها المجاورة لها شيئاً . غير ان اختلاف هذه الفرق الصغيرة لم يكن عن كره او تنابذ — كما جاء في السطور المتقدمة — وانما عن جهل بفنون القتال ، وفقدان القيادة العامة .

وقصارى القول انقسم الفلسطينيون على انفسهم تارة بسبب وطوراً من غير سبب . وازدادوا انقساماً عندما راحوا يبحثون : من منهم يتولى زمام الامور . فريق منهم لا يريد أن تتولاه الهيئة العربية العليا . لأن رئيسها ومعظم اعضائها من الحسينيين . وفريق ينادي بتناسي الاحقاد ، والعمل على جمع الشمل . لأن الخصم واقف على الباب . وهو قوي يدعمه الغرب ، وتدعمه قوى الشر والطغيان . وعبثاً حاول هذا الفريق ان يجد حلا وسطاً . اذ راحت الشكاوى تنهال من الفريق الاول على دار الامانة العامة لجامعة الدول العربية قائلة ان الهيئة العربية حزبية وليست ذات صبغة شعبية ، وانها حسينية بحتة ، وان المفتي رئيسها — اذا ما توفر له المال والسلاح — استعملها لقهر منافسيه من ابناء العائلات والاحزاب الاخرى كما فعل في الثورة الفلسطينية الاخيرة (١٩٣٦ — ١٩٣٨) . وراحوا يعيدون إلى الأذهان اسماء الأشخاص الذين اغتيلوا في تلك الثورة . واستغل رجال الطابور الخامس هذه الفرصة ، وهي كما ترى فرصة ذهبية لمن لا يريد الخير للعرب ، فراحوا يزيدون النار ضراماً . الأمر الذي خلق جواً من الشك وعدم الاطمئنان وفقدان الثقة ، مما كان له تأثيره على سير القتال .

والهيئة العربية نفسها ، وهي المتهمة بالحزبية والعائلية ، لم تخلص من شر الخلاف والانقسام . فقد كان بين رئيسها المفتي وابن عمه جمال شيء من التشاد . وكان هذا من ابرز اعضاء الهيئة . فقد لمع نجمه في الأوساط الشعبية . وكان من رأيه قبول التقسيم . وما كان المفتي ليقره في ذلك الرأي . لا بل وجد المفتي حوله من يقول له : انك إذا ما سلمت الامر لجمال ، عاد الامر عليك بالوبال . وقال محسن البرازي وزير خارجية سوريا في مذكراته التي نشرت بعد وفاته ان جمال الحسيني وافق على ما قاله البرازي من السلاح والمال الى اللجنة الفنية ، وليس للمفتي [1] .

---

١) اقرا العدد ٢٠٦٨ من جريدة (الحياة) البيروتية بتاريخ ٣ شباط ١٩٥٣ .

ولنترك جمالا الذي انسحب بعد قليل من الميدان ، لنبحث كيف كانت صلات عبد القادر الحسيني بابن عمه المفتي وبصحبه الذين كانوا من حوله كاسحق درويش ومنيف الحسيني والشيخ ابي السعود وغيرهم . فقد حدثني من أثق بصدق حديثه ان عبد القادر عندما ذهب إلى دمشق ، قبل استشهاده في معركة القسطل ، ليحصل على المال والسلاح اللازم للقتال ، راجع ، قبل أي انسان آخر ، اعضاء الهيئة . ولكن هؤلاء لم يلبوا طلبه . فما اعطوه مالا ، ولا سلاحاً . فمن قائل انه ما كان لديهم مال ولا سلاح . ومن قائل أن ثقتهم به كانت ضعيفة ، وكانوا يخشون شره وقيل انهم كانوا يؤثرون عليه الشيخ حسن سلامه ، ويفضلون أن يكون الشيخ هو القائد .

هذا ما رواه لي رجل رافق الحاج أمين في حله وترحاله عدداً من السنين . وقد أكد لي محدثي أن عبد القادر كان يكره رجال الحاج امين وصحبه الذين كانوا يحيطون به احاطة السوار بالمعصم . وانه كان يعتقد اعتقاداً جازماً انهم هم سبب الفوضى التي كثيراً ما كان يذر قرنها في اعماله . حتى انه في المرة الأخيرة التي لاقاهم فيها بدمشق لعنهم ونوى الشر لهم ... هذا قلٌ من كثر من الخلاف الذي كان قائماً بين الرجال المسؤولين عن ادارة حركة القتال بفلسطين ... فهل من عجب بعد هذا ان نرى ان قتالنا مع اليهود قد انتهى الى فشل ؟ « ان الله لا يغير ما بقوم ، حتى يغيروا ما بانفسهم وإذا أراد الله بقوم سوءاً فلا مرد له ، وما لهم من دونه من وال . » (١)

هذا وقد ذكرنا في مواضع اخرى من هذا الكتاب كيف ان الحكومة الاردنية راحت ، بعد اعلان الهدنة الثانية وقبل التوقيع على اتفاقية رودس ، تطارد قوات (الجهاد المقدس) تلك القوات المؤلفة من أبناء فلسطين والتي كانت تجاهد عن عقيدة واخلاص . وكيف انها حاصرت (في ١٨ كانون الثاني ١٩٤٩) مقر أعمالها ، فاعتقلت عدداً من رجالها ، وصادرت اسلحتها .

كما ذكرنا كيف أن حكومة النقراشي في مصر حلت (جماعة الاخوان المسلمين) وراحت تطارد رجالها ، وتصادر اسلحتها .

وعلينا ألا ننسى ، ونحن نعالج مسائل الاختلاف الذي كان قائماً بين مختلف الهيئات الوطنية في البلاد ، ما فعله رجال الطابور الخامس من يهود وأجانب من اجل اثارة النعرات الحزبية والعائلية والطائفية . الأمر الذي جعل النار تزيد ضراماً .

---

١) سورة الرعد : الاية ١٢

الوسيط الدولي يبحث الوضع في فلسطين

مع عزام باشا ومع الحكومة اللبنانية

في ٢٤ تموز زار الوسيط الدولي بيروت . واجتمع مع عزام باشا ، وتحدث اليه عن المشاكل القائمة في فلسطين والحلول التي يقترحها العرب لحل تلك المشاكل . وكان عزام قد رفع احتجاج العرب الى مجلس الامن للطريقة التي اتبعها في معالجة المشكلة الفلسطينية ، قائلا انهم (اي العرب) لن يقبلوا هدنة غير محددة ، وانهم يصرون على وقف الهجرة بجميع انواعها اثناء الهدنة القائمة .

ودار الحديث بين الوسيط الدولي والامين العام للجامعة حول تجريد القدس من السلاح . وكانت اللجنة السياسية لجامعة الدول العربية قد بحثت هذه المسألة في اجتماعها الذي عقدته في بيروت ، وخولت عزاماً كي يبحثها مع الوسيط . وكان عزام يومئذ ، على ما قال الوسيط في مذكراته ، متعباً ، ترتسم على وجهه علائم اليأس والانفعال . وكان منظره يدل على أن مستقبلا مظلماً ينتظره ، وينتظر أعضاء الجامعة الآخرين .

وبذل الوسيط في ذلك الاجتماع جهده ليقنع عزاماً انه لا فائدة ترجى من استئناف القتال . لأن ذلك يثير غضب هيئة الأمم ، ويسوقها الى استعمال العقوبات التي نص عليها ميثاقها ضد العرب . لا بل ان استئناف القتال سيؤدي حتماإلى هزيمة العرب في الميدانين الحربي والسياسي ، كما سيؤدي الى وقوع ثورات داخلية في البلاد العربية ، وسقوط الجامعة نفسها .

ودوام الهدنة أيضاً فيه ضرر للعرب . لأن اليهود سيستغلونها كما استغلوها من قبل وسيقوون صفوفهم بالرجال والسلاح . إذاً لا مناص من الاعتراف باسرائيل الامر الذي سيضطر العرب اليه بحكم الواقع ، ان عاجلا أو آجلا . ومن العبث ان يعتقد المرء ان هيئة الامم ستعدل في يوم من الأيام عن القرار الذي اصدرته في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ .

هذا ما قاله الوسيط . وقد اعترف عزام بخطورة الموقف . ومما قاله ان العرب ،اذا ما خيروا بين هذا الامر ، أوذاك ، فانهم لاشك يؤثرون القتال على الاستسلام.ومع ذلك فقد قبلوا الهدنةعملا بقرار مجلس الأمن خشية أن يتعرضوا للعقوبات التي نص عليهاميثاق هيئة الامم . انهم قبلوا بها مكرهين . وقد اشترطوا لقبولها شروطاً منها تحديد الهجرة اليهودية ، وعودة اللاجئين العرب الى منازلهم ، على ان يتم ذلك خلال فترة الهدنة .

ووصف عزام للوسيط الحالة في بلاد العرب بانهــا ليست في صالح انكلترة واميركا . وان المظاهرات قائمة على قدم وساق ضد هاتين الدولتين . وانه يخشى مــن اتساع رقعة الخلاف الى درجة تسهل انتشار الشيوعية في البلاد العربية .

وبحث عزام مع الوسيط مسألة القدس فقال له ان الجامعة العربية اذنته ان يقول له انها توافق على الاقتراح القائل بتجريد القدس من السلاح « ومع ذلك فانها ترغب في ابداء بعض الشروط ليكون الاقتراح قابل التنفيذ . وقد الفت لجنــة فرعية لتبحث مع الوسيط في تلك الشروط » .

وتباحث الوسيط بعدئذ ، مع رئيس الجمهورية اللبنانية ومع رئيس الوزراء رياض الصلح ، ووزير الخارجية ، فبدا له من حديثهم [1] « ان البلاد العربية امست مقتنعة من انه لا مناص مــن الاعتراف بوجود دولة يهودية مستقلة في فلسطين » وان رجالات لبنان لا يشاطرون عزاما رأيه . حتى أن الرجال الثلاثة المتقدم ذكرهم قالوا له انــه يحسن صنعاً لو يتخذ قراراً عاجلا في هذا الموضوع . واضافوا إلى ذلك قولهم انهم يعترفون بان قراراً كهذا سيؤدي حتما الى نتائج وخيمة ، وان العرب في جميع اقطارهم سيقاطعون اسرائيل من الناحيتين ، السياسية والاقتصادية ، وان فلسطين لن تنعم ابداً بسلم دائم . وان الحروب النارية ستعقبها (حرب باردة) لا ولــن تكون في مصلحة ، اليهود ولا العرب .

الملك عبد الله يدعو الوسيط الدولي لمقابلته

ولكن الوسيط يؤثر مقابلة اليهود اولا

وفي ٢٥ تموز تلقى الوسيط من الملك عبد الله برقية يدعوه فيها لزيارته في عمان ، على ان يقوم بعدئذ بزيارات مماثلة للعواصم العربية الاخرى فاعتذر الوسيط عــن تلبية هذه الدعوة قائلا انه مضطر لتأجيلها ريثما تحين له فرصة مناسبة لزيارة القاهرة . ورأى أن يزور من فوره تل ابيب ليتصل بالحكومة اليهودية المؤقتة وليرقب الحالة هناك عن

---

١) مذكرات برنادوت . ص ١٨٦

كثب . ذلك لأن اليهود كانوا على حـد تعبيره[1] قد انتفخت أوداجهم بسبب الانتصارات التي نالوها خلال الأيام العشرة التي اعقبت الهدنة الاولى . ومـا كانوا لينالوها لولا انسحاب القطعات التي كانت تحتل اللد والرملة باسم الجيش العربي، ولولا انهم تمكنوا خلال تلك الهدنة من تهريب مقادير وافرة من الاسلحة والذخائر .

وقال الوسيط ان اليهود تمكنوا ، عن هذه الطريق التي لجأوا اليها والتي تعد خرقاً فاضحاً لشروط الهدنـة ، من ربح المعركة . وراحوا بعد ذلك يقومون باعمـال ويتفوهون بتصريحات من شأنها ان تزيد النار ضراماً . وهذا ما حدا بالوسيط للاسراع في زيارة تل ابيب .

الوسيط الدولي يقابل شرتوك

وفي ٢٦ تموز قابل الوسيط شرتوك . قابله في تل ابيب . فرفض هـذا وساطته مصراً على التفاوض مع العرب حول مائدة مستديرة ، شريطة أن يقبل هؤلاء اسرائيل دولة مستقلة تقوم إلى جانبهم على قدم المساواة .

وامتنع شرتوك عن ابداء رأيه في المشروع القائل بنزع السلاح عن القدس . كـما رفض اجابة الوسيط إلى طلبه من حيث عودة اللاجئين العرب الى ديارهم . واستنتج الوسيط من كلام شرتوك أن اليهود ليسوا بقانعين بالجزء الذي منحتهم اياه هيئة الامم في قرارهـا الصادر في ٢٩ تشرين ثاني ١٩٤٧ ، وانهم يعتقدون بأن القدس يجب أن تكون ، بأي حال من الاحوال ، جزءاً من الدولة اليهودية .

وأقام اليهود على القدس حاكماً عسكرياً يـدير شؤونها . وكانوا يومئذ مسيطرين على الشطر الاكبر من المدينة الجديدة . ولم يكن بيد العرب سوى المدينة القديمة والجانب المحاذي للسور من المدينة الجديدة ، وهذا يتكون من حي باب الساهرة وباب الأسباط ووادي الجوز والشيخ جراح وجزء من سعد وسعيد والمصرارة .

وأراد اليهود أن يثبتوا انهم قادرون على تنفيذ آهدافهم ، فهاجموا في ٢٩ تموز خطوط القتال العربية من باب الخليل إلى دار الحكومة الواقعة على جبل المكـبر . فاراد المناضلون المرابطون في ذلك القطاع أن يقابلوهم بالمثل ولكن القيادة الاردنيـة

---

١) مذكرات برنادوت . ص ١٨٨

منعتهم [١] وقتل في هذا الحادث اربعة احدهم ارمني والثاني اردني والثالث يمني والرابع فلسطيني ، وسقطت في اليوم التالي (٣٠ تموز) قنبلة من قنابل المورتر اليهودية بالقرب من باب الاسباط ، فاصابت رجلاً من الخليل واحد عشر شخصاً من افراد اسرته ؛ فقتل منهم تسعة في الحال .

اميركا تحجم عن تزويد الوسيط بالمراقبين من ابنائها

وعبثاً حاول الوسيط أن يقنع الولايات المتحدة كي تزوده بعدد من الضباط الاميركيين، ليعملوا معه كمراقبين ، مهمتهم أن يتأكدوا من أن الفريقين : العرب واليهود، ينفذون شروط الهدنة باخلاص . فقال قائل ان اميركا تفعل ذلك عن قصد ، ليتمكن اصدقاؤها اليهود من خرق الهدنة ، دون أن يكون ثمة من يحاسبهم من اجلها ، وفي ذلك ما فيه من مصلحة لهم . ومن قائل انها (اي اميركا) كانت تقصد الا تتدخل في اعمال المراقبة لتتجنب الاصطدام مع موسكو ، وما كان بين المراقبين أحد من الروس . كما انها كانت تخشى ان يقتل احد من رجالها وهو يقوم بمهمته في فلسطين ، فينتج عن قتله استياء في الولايات المتحدة ، الامر الذي يؤثر ولا شك على الانتخابات التي ستجري في نوفمبر من اجل الرياسة .

الوسيط الدولي يطلب تزويده بستة آلاف مسلح ليتمكن من نزع السلاح عن القدس

وكم كان استغرابه شديداً ، عندما تلقى، في ٣٠ تموز ١٩٤٨ ، برقية من وزير الدولة في واشنطن يقول له فيها [٢] انه على يقين بانه ليس من الصعب ان يتم نزع السلاح عن القدس بوساطة قوة من البوليس مؤلفة من العرب واليهود معاً .

فضحك الوسيط لهذا النوع من التفكير الذي اعتبره سخيفاً ، وابرق من فوره الى الجنرال مارشال يقول ان في القدس عدداً كبيراً من المناضلين العرب ، وان عدد رجال الارغون فيها قد ارتفع إلى اربعة آلاف ، وانه في حاجة لقوة لا تقل عن ستة آلاف رجل مسلح تسليحاً تاماً ، ليتمكن من تنفيذ الفكرة . ونزع السلاح عن القدس . وإلا فلتعدل هيئة الأمم عن هذه الفكرة . لأن الفشل في تنفيذها معناه فشل لها ، وسقوط لاعتبارها في فلسطين بوجه عام ، وفي القدس بوجه خاص .

---

١) هذا ما حدثني به طارق الافريقي قائد المناضلين التابعين للحاج امين في ذلك الحين .

٢) مذكرات برنادوت . ص ١٩٤

الوسيط الدولي يقابل الملك عبد الله

وفي ١ آب زار الوسيط عمان « وكان قد سمع بالمظاهرات التي قامت فيها ، اثر وقوف القتال ، ضد الملك عبد الله وضد الانكليز وضد الاجانب معاً ، ولما هبطها سره ما رآه فيها من كرم وحفاوة في الاوساط الشعبية والحكومية . ولما تحدث الى رئيس الوزراء ، توفيق باشاأبي الهدى وإلى وزير الخارجية في نفس المواضيع التي أشار اليها في حديثه مع عزام ومع رجال الحكومة اللبنانية (أي الاعتراف بالامر الواقع ، وباسرائيل حكومة مستقلة في فلسطين) ؛ وجد انهما يشاطرانه الرأى وانهما يعتقدان انه لا مناص من الاعتراف بالحقيقة الواقعة وهي أن الدولة اليهوديةوجدت ، وانها ستبقى قائمة في حيز الوجود . » .

هذا ما قاله الكونت برنادوت في الصفحة ١٩٦ من مذكراته . وأضاف الى ذلك قوله ان اهتمام الوزيرين قد انصب يومئذ على معرفة ما سينتهي اليه مصير الجزء الباقي من فلسطين بيد العرب ، طالبين الاسراع في حل مشكلة فلسطين ، مؤكدين ان الاردن على استعداد تام للموافقة على اي قرار تصدره هيئة الامم في هذا الصدد .

والشيء الوحيد الذي قالا انهما لا يقبلان به هو الجلوس مع ممثلي اسرائيل في مجلس واحد . فكبرت ، عندئذ ، آمال الوسيط ؛ وأيقن ان الحرب في فلسطين صائرة لا محالة الى الختام .

وقابل الوسيط ، في اليوم نفسه ، الملك عبد الله ، فلاحظ من حديثه انه اطلع على ما جرى بينه وبين الوزيرين ، وانه هو ايضاً (أي الملك) يشاطر الوسيط رأيه .

اليهود يتحدون العرب ، ورجال الدين المسيحي يطلبون تجريد القدس من السلاح

في ٢ آب زار الوسيط الدولي القدس . ورأى بام عينه ان الوضع فيها دقيق للغاية وفيه شيء من الخطورة ؛ فقابل في الجزءالعربي من المدينة غلوب باشاوعبدالله التل، وظهر له من حديثهما [1] ان اليهود اخذوا في الأيام الاخيرة ، يتحدون العرب . وانهم في كل

---

١) مذكرات برنادوت • ص ١٩٧

يوم يقومون بافعال يرمون من ورائها إلى أن يثيروا حفيظة العرب ، ليستأنف القتال . ويكونوا – المرة هذه – هم البادئون .

واتاه المراقبون يخبرونه عن شائعات سمعوها بان رجال الارغون يحفرون تحت الارض نفقاً يصل المدينة الجديدة بالمدينة القديمة ، وقد وضعوا فيه لغماً القصد منه نسف المدينة ومنازلها على من فيها متى جد الجد واستؤنف القتال مرة اخرى . انهم صنعوا لغماً كبيراً زنته ثلاثة أطنان ونصف الطن ، ووضعوه في حا كورة المسكوب على بعد مئتي من السور إلى الشمال بين باب العمود وعمارة النوتردام . وكانوا يهدفون إلى هدم السور واحداث الذعر والبلبلة في صفوف العرب ؛ هذا إذا تقووا ، وفكروا في الاغارة على المدينة القديمة ، والا فانهم يفجرونه ، إذا ما تقوى العرب وهاجموهم .

واتاه في ذلك اليوم ، وفد مؤلف من عيون الطوائف المسيحية المختلفة قائلين ان العالم المسيحي باكمله يرغب اليه ان يبذل قصارى جهده من اجل نزع السلاح عن المدينة .

التفاهم مع اليهود امر عسير

في ٣ آب انتقل الوسيط الدولي من الجزء العربي في المدينة إلى الجزء اليهودي . وقابل في دار الوكالة اليهودية حاكم القدس العسكري الدكتور جوزيف . فبدا له ان هذا كان رجلا عنوداً للغاية ، وانه لم يكن على استعداد للتفاهم معه ، ولا مع غيره من الناس ، وقد رفض كل اقتراح وجه اليه ، مثله في ذلك مثل زميله شرتوك ، وزير الخارجية ، الذي اجتمع به بعد ذلك ببضعة ايام . فايقن الوسيط عندئذ ان مرؤوسيه المراقبين الدوليين كانوا على حق عندما اخبروه بان التفاهم مع اليهود امر عسير .

فاجتمع الوسيط ، على اثر ذلك ، باعضاء لجنة الهدنة القنصلية ، وقرروا زيادة عدد المراقبين الدوليين في مدينة القدس .

مستقبل الجزء العربي من فلسطين

في ٣ آب سافر الوسيط الدولي الى مصر . واجتمع برئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا . وجرى بين الاثنين حديث طويل لم يخرج عن نطاق الحديث الذي جرى له مع عزام ورجال لبنان في ٢٤ تموز ، ومع رجال عمان في ١ آب . فاعترف

النقراشي [1] بان امل العرب في الحيلولة دون قيام دولة يهودية مستقلة قد خاب . ولكنه قال انه ليس ثمة دولة عربية واحدة تستطيع أن تقبل دولة كهذه . وان العرب ينوون ان يتجاهلوا وجودها تجاهلا تاماً , بحيث انهم لن يتعاملوا معها بحال من الأحوال .

وقال النقراشي للوسيط أن الخطة المثلى هي الاحتفاظ بالجزء الباقي مـن فلسطين عربياً ، على أن تنشأ فيه دولة مستقلة ، تعضدها الجامعة العربية ، قائلا ان ضم هـذا الجزء من فلسطين إلى المملكة الاردنية ، من شأنه أن يفسد التوازن القائم بـين الاقطار العربية . لا ، ولا يجوز ـ في عرف النقراشي ـ اقتسام هذا الجزء من فلسطين بين الدول العربية المجاورة . لأن حلا كهذا يفسح المجال لأعداء العرب ، كي يشنوها غارة شعواء ، على الدول العربية : بانها ما خاضت الحرب الفلسطينية الا لتجر الغنم اليها .

وختم النقراشي حديثه بقوله ان العرب سينظرون إلى فلسطين دائماً وابداً بانها ملك للعرب ، وان اليهود ليسوا الا عصاة يجب تأديبهم .

وقال الوسيط . عند اشارته إلى هذا الحديث ، ان عرب فلسطين ما كانوا يومئذ في وضع يمكنهم من ابداء رأيهم بصراحة في الوضع الذى يرادلهم والمستقبل الذي ينتظرهم .

الملك عبد الله وموقفه من الوضع القائم في البلاد

في ٤ آب ١٩٤٨

ورأى الملك عبد الله ، بعد هذه المقابلات التي تمت بـين الوسيط وبـين مختلف رجالات الأمة العربية ، ان يتحدث الى رياض الصلح رئيس وزراء لبنان ، وكان يومئذ من اكبر الشخصيات التي لها شأنها في السياسة العربية . فطلب اليه ان يقابله في عمان . وقد لبى رياض الطلب . فسافر الى عمان في ٤ آب . وقابـل الملك . ودار البحث بينهما حول الوضع الحاضر . وبعث رياض بعد عودته من عمان (في ١٤ آب) إلى مزاحم الباجچي رئيس وزراء العراق مذكرة سرية [2] قال فيها : ـ

---

١) مذكرات برنادوت . ص ٢٠١

٢) نشرت جريدة الحياة البيروتية لصاحبها كامل مروه هذه المذكرة في عددها ١٨٩٨ الصادر بتاريخ ١٦ تموز ١٩٥٢ نشرتها بمناسبة الذكرى السنوية الاولى لاستشهاد رياض . وقد ذكرنا نبأ اغتياله في عمان في موضع آخر من هذا الكتاب .

أخي الكريم :

طلب إلي جلالة الملك عبد الله ان اقابله في عمان وكرر الطلب وأراد ان يكون هذا الاجتماع قبل العيد ، فرأيت من واجبي ان البي رغبته وذهبت الى عمان يوم الاربعاء في ٤ آب (١٩٤٨) . واجتمعت اليه اجتماعاً طويلا لم يحضره غير دولة توفيق ابو الهدى رئيس وزراء شرق الاردن ، الذي كان خلال الاجتماع حكيما كعادته موفور الكياسة واللياقة ، كعهده دائماً . فدار الحديث اولا حول تقصير الجامعة العربية نحو مملكة شرق الاردن ، وعدم برهـا بوعودهـا لجلالته بدفع ما كانت قررت دفعه لتجنيد جنود يقاتلون إلى جانب الجيش الاردني ولابتياع الاسلحة . وطلب الي بهذه المناسبة ان اسهل له ايصال اسلحة تعاقد مع بعضهم على ابتياعها . وشكا جلالته شكاية مرة من استيلاء مصر على الذخيرة التي كانت واردة اليه على احدي البواخر اثناء مرورها بالمياه المصرية.

وقد اجبت جلالته قائلا : انني احد الموقعين على القرار المعهود بدفع المبلغ الذي عين له وان تنفيذ ذلك القرار علق على شرطين رئيسيين هما :

اولا ــ عدم دفع البريطانيين للاعانة المعلومة .

ثانياً ــ متابعة القتال .

وقلت : ومع ذلك فانا على استعداد لمعاونة جلالته لدى الجامعة ، اذا ما تحققت انه ينوي استئناف القتال . واضفت الى ذلك قائلا : ان الصراحة قد اصبحت ضرورية جداً ، فان سمعة الملك عبد الله تأثرت كثيراً عند وقف القتال .

وذكرت له ان ممثلي شرق الاردن بلغونا قبل قرار مجلس الامن وعند الاجتماع في عاليه ، ان شرق الاردن لا يمكنه ان يرفض قرار هذا المجلس حتى ولو رفضته جميع الدول العربية .

ثم قلت له انه افضل لجلالته ان كان لا يمكنه استئناف القتـال واخراج الضباط الانكليز من جيشه ان يصارح البلاد العربية بذلك تمام المصارحة . ومصارحتها بذلك اكرم له وافضل بكثير واحفظ للمصلحة ، من ان تبقى الحالة الحاضرة كما هي من الابهام والغموض . وان الدول العربية عند ذلك تقيم حسابها على اساس آخر ، فتخرج منه شرق الاردن وان شاءت ان تستأنف القتـال استأنفتـه على هـذا الأساس .

أما إذا بقيت هذة الحالة وبقي هذا الابهام وعدنا الى عدم المصارحة فان مسؤولية جلالته تكون اخطر كثيراً . وقد عدت فالححت كثيراً على جلالته ان جوابه لي قاطعاً فاصلا ، وان لا يتركيكون في ما يقوله لي احتمالا لأي شك او تأويل .

وقد اجابني جلالته بأن شرق الاردن لا يمكنـــه استئناف القتال الا اذا اخرجت الامة العربية جميع قواها والقت ثقلها كله في الميدان ، وانه لا يمكنه اخراج القــواد الانكليز من جيشه .

وحجته في عدم استئناف القتال ان ذلك يحتاج الى اسلحة وذخيرة واستعداد كاف . واما في عدم اخراج اولئك فقد اورد لي عدة حجج .

اولها انه لم يلحظ عليهم اية خيانة ، والثانية انه لا يمكنه تغيير سرج فرسه اثنـاء المعركة . والثالثة انه ليس بين ضباط جيشه العرب من له الكفاءة ليحل محل اولئك الضباط الانكليز .

وهناك حجة رابعة لها مغزاها اوردها جلالته ، وهي انه حريص على ان يظل الروح العسكري سائداً في جيشه . فان تبديل الضباط الانكليز بضغط التذمر الذي ابدي ضدهم ، والنقد الذي وجه اليهم يفسد ذلك الروح ، وهو لا يريد ان يجعل جيش شرق الاردن كجيش العراق يتدخل في الشؤون السياسية ، وإذا انتفض اليوم على ضباطه الانكليز فانه غداً ينتقض على الملك عبد الله نفسه . وقد ضرب جلالته المثل على هذا بكر صدقي في العراق . والمع بعد ذلك إلى ظروف شرق الاردن السياسية وارتباطاتها الخارجية المعلومة .

وبعد هذا سألت جلالته : ألا يمكن تسليم جيشه برمتـــه الى الجيش العراقي فيتولى كل شؤونه كأنه جزء من جيش العراق ؟

فاجاب جلالته بان سمو الوصي كان قد عرض عليه مثل هذا العرض ، ولكنه لم ير تحقيق ذلك الاقتراح ممكناً لاسباب عديدة . ولقد بلغني بعد ان غادرت شرق الاردن انه يفكر في هذا الموضوع . ولكنني ارى ان التطبيق العملي لهذا المشروع صعب المنال .

وبعد فلقد خرجت من تلك المقابلة وبعدما سمعت من أحاديث جلالته وانا مقتنع تمام الاقتناع ان شرق الاردن لا يمكن ان يستأنف القتال ، او يشترك مـع بقية الدول

العربية إذا هي قدمت على مثل هذا . وإني انصافاً للحقيقة اقول اني لم اشعر ان جلالة الملك عبد الله يقدم على هذه الخطة وهو راغب فيها ؛ ولكنه يتصرف تصرف الرجل المضطر الذي ليس في يده حيلة اكثر مما فيها ، فاني لا اعتقد انه من الطبيعي والمعقول ان الرجل الذي بلغ في خلال اسابيع من السمعة الطيبة في جميع البلاد العربية ما بلغه جلالته ، يهون عليه ان يخسر ذلك ويضيعه عن رضى .

أما وهذا هو حال شرق الاردن ، فعلى الحكومات العربية ان تضع سياسة جديدة على ضوء هذه الحقيقة ، وان تعيد النظر في حساب قواتها وفي تنظيم خططها .

ان في موقف شرق الاردن هذا بقطع النظر عن اسبابه ما يؤلم الأمة العربية أشد الألم . ولكن في جلاء هذه الحقيقة بعض العزاء في نظري ، لانه يفسح المجال لمعرفة قوانا الحقيقية التي يمكننا الاعتماد عليها كل الاعتماد ويخرجنا من حالة الشك الخطرة التي مررنا فيها من قبل .

وفي اعتقادي ان البلاد العربية عائدة حتما الى استئناف القتال ، بل قد يكون ذلك اقرب مما نتوقع لاسباب عديدة . وإذا لم تكن هذه العودة بارادتنا ، فقد تقع بارادة اليهود انفسهم ، وهم الذين تشجعهم اوضاعنا المختلفة وتأييدات الدول ، وتدفعهم مطامعهم وغرورهم الى عدم الوقوف عند حد .

ان مرابطة الجيوش العربية في مواقعها بفلسطين ، بل موالاة العراق وارسال المدد والنجدات لقواته حكم لا يقبل الشك بأن القتال واقع حتما . وما دام الأمر سيقع فالأفضل ان يكون باسرع ما يمكن . تلك هي ارادة الشعوب العربية وذلك هو حكم المصلحة العربية فان التأخر يفيد اليهود ، كما ان الهدنة اصلا تفيدهم اكثر مما تفيد العرب.

ثم ان اخشى ما اخشاه ان تستولي على الأمة العربية إذا خذلها حكامها بعدم استئناف القتال ما استولى على اهل فلسطين انفسهم من روح التخاذل والانهزام وعدم الثقة في النفس ، وهو شر ما يصيب الشعوب من ضروب الضعف والوهن .

ومن المؤسف حقاً ان يكون الوضع الحربي عند وقف القتال قد اظهر الامور على غير حقيقتها ، فان بعض الحوادث التي وقعت بسوء التدبير او لأسباب اخرى قد اظهرت العرب بحالة من الضعف ليست صحيحة ، كما اظهرت اليهود بحالة قوة ليست

حقيقية أيضاً . ولقد كان وما يزال الخطأ المبالغة بقوة اليهود . واليوم هم اضعف مما يظن الكثيرون منا ، ليس من الناحية العسكرية فحسب ، بل من الناحية الاقتصادية ، ومن عدة نواح اخرى أيضاً . واني اقول هذا بناء على المعلومات التي تردنا عن احوال اليهود الداخلية من مختلف المصادر .

هذا فضلا عن أن القوى العربية لم تلتحم الا التحاماً محدوداً في القتال ضد قوى اليهود ، كما انه لوحظ ايضاً أن شكوانا اجمالا من قلة العتاد كانت لا تخلو من مبالغة . على أن الحرب لا يجب أن تعني الهجوم الخاطف ومحو العدو والاستيلاء على معقله حالا . ولكن الحرب تؤدي الى تحقيق اغراض العرب لمجرد وقوعها واستمرارها ، وان طالت شيئاً من الزمن ، دون ان تعرضها لمخاطر كبيرة ، ودون ان تكلفها خسائر ضخمة في النفوس أو العتاد ، خصوصاً وان الجيش العراقي في مواقعه الحاضرة أصبح في حصن يصونه من المفاجئات والأخطار .

وأما الحجة لاستئناف القتال فلن نعدمها ، وهؤلاء هم اليهود يقدمون لنا كل يوم بخرقهم الهدنة حجة جديدة وسبباً مبرراً لاستئنافه ، واني لا استبعد ان نفاجأ في يوم قريب بحدث يعرض القدس للخطر والضياع الفت اليه نظركم منذ الآن .

كما اني أرى ان وضعنا السياسي اليوم قد أصبح أفضل مما كان عليه قبل الهدنة . وقد أفادتنا قضية اللاجئين من هذه الناحية ، فانكم تعلمون أن قضايا اللاجئين المشابهة في اوروبا قد اوجدت استعداداً في العالم للتحسس بمثل هذه الامور . وقد بنى اليهود حتى يومنا جانباً من قضيتهم على مسألة المشردين ، واستدروا عطف العالم على قضيتهم عن هذا السبيل . وبوسعنا استغلال هذه الحالة استغلالا كبيراً إذا احسنا العمل فيها واحكمنا عرضها على انظار العالم . وقد بدأنا نحن نشعر بشيء من العطف في بعض الأوساط الدولية يمكن ان يعتبر مشجعاً .

انه من البديهي ان اول ما علينا القيام به استعداداً لاستئناف القتال سريعاً هو سد الثغرة التي تحدث بانسحاب شرقي الاردن من الميدان تحت الضغط السياسي الواقع عليه.

ان وقف القتال هذه المرة لم يكن كما تعلمون في الحقيقة خوفاً من مجلس الامن وعقوباته ، ولم يكن كذلك خوفاً من تسلح اليهود ، فهم يتسلحون سراً وعلناً ؛ قبل

الهدنة وبعدها ، وفي حالة الحظر او رفعه ؛ ولكن وقف القتال كان لان حكومة شرق الاردن أعلنت قبيل قرار مجلس الأمن انه لا يمكنها متابعة القتال لعدم وجود عتاد لديها ، ولا اعتقد ان اعادة جميع العتاد الذي استولت عليه مصر الى شرق الاردن يمكن أن تعيد شرق الاردن إلى القتال . ولقد اعلنت القيادة العراقية عندئذ ان الجيش العراقي في حالة انسحاب الجيش الاردني ينسحب هو ايضاً من الميدان دون ريب . ولما بلغ هذا الحكومة المصرية اثار قلقها الشديد ، فبادرت إلى ايفاد معالي عزام باشا لعمان لعله يتدارك الامر .

وقد اجتمعنا هناك وناقشنا الموضوع من جميع نواحيه ، واجتمعنا بحضرة صاحب السمو الملكي الوصي قبل مغادرتنا عمان ، ثم بذلنا الجهد لاقناع القيادة العراقية بان تبذل ما في وسعها لاستعادة اللد والرملة . وقد ساعدنا سمو الوصي كثيراً في هذاالموضوع حتى انه وعد حفظه الله بالذهاب بنفسه إلى الجبهة لعله يتوصل إلى تحقيق هذا الغرض الخطير .

وأظن انه نقل اليكم اصرار القائدين نور الدين محمود باشا وصالح صائب باشا على عدم الاستمرار في القتال ، وكان ذلك بحضور سمو الوصي كما نقل اليكم اصرار القائد صائب باشا في حضرة جلالة الملك عبد الله ، على عدم القتال ونصيحته بقبول الهدنة بسبب الحالة التي نشأت عن موقف شرق الاردن . وعلى هذا لم يتم شيء لاسترداد الرملة وإللد كما تعلمون .

المهم ان ايقاف القتال في المرة الأخيرة تقرر امره اذا في تلك الاجتماعات في عمان ولم يكن قرارنا في عاليه الا النتيجة الطبيعية لما استقر الامر في عمان .

ولقد بلغني ان حكومة مصر كانت متأثرة بهذا الوضع عندما اعلنت قبولها لمجلس الامن ، وان جلالة ملك مصر تلقى بتأثر شديد نبأ موقف الاردن ، والمحضر الذيوضع في عمان حول هذا الموضوع ، ولم يكن يكفي يومئذ ان نقول عن ممثلي العراق وسوريا ولبنان اننا نرفض وقف القتال لنستمر فيه جميعاً ، بينما كان يكفي ان يعلن مندوب شرق الاردن انه لن يرفض قرار مجلس الامن لكي نضطر للتوقف جميعاً ، ذلك ان وقف القتال يكون معلقاً على قرار دولة من الدول .

وكنت اتمنى لو لم يعلن بعد هذا عندكم أن العراق رفض قرار مجلس الأمن ، وان كان ميالا في اثناء المناقشات ميلا صريحاً الى عدم القبول كما كان ميلي وميل جميل بك (مردم) وعزام باشا . ولم يخف عليكم ما كان لهذا الاعلان من اثر غير مستحب في مصر ، اذ اظهرها ذلك بمظهر المنفردة في ارادة الكف عن القتال وصورها بصورة المتوانية المتخاذلة دون سواها من شقيقاتها اعضاء الجامعة . والحقيقة انها لم تكن هي السبب في قبول قرار وقف القتال . وهذا فضلا عن العبرة في القرارات نفسها لا بالمناقشات التي تسبقها .

واما الاثر الذي تركته هذه الأمور في مصر فشديد عميق على ما عرفت ، وانتم ادرى بما بذلت مصر سلماً وحرباً في سبيل فلسطين ، وانتم اعلم باخلاصها وتجردها في ما بذلت . كما انكم تعلمون اهمية نصيبها في هذا الجهاد في الماضي والمستقبل وخطورة منزلتها في كل ما تباشره الجامعة من الشؤون العربية القومية المشتركة الشاملة وما لجلالة مليكها من مكانة عظيمة وضعها في خدمة هذه الشؤون .

ولقد كان بامكاني ان اتبع اثر العراق لاني لم اقبل وقف القتال الا بعد غيري .

ولكني اردت ان لا تبقى مصر منفردة في هذا المظهر الذي يخالف حقيقة الواقع المستورة .

والآن بعد ما ذكرت من موقف شرق الاردن والوضع العسكري بفلسطين وحالة الامة العربية اعود فاقول مرة ثانية انه لا مناص من القتال ، ان لم يكن لاسترداد ما استولى عليه اليهود في مرحلة القتال الثانية والا لمجابهة الموقف المقبل ونحن اكثر تضامناً واكثر قوة في الواقع وبعد ان ابدى العراق عرشاً وحكومة وشعباً من الحماسة البالغة ومن التصميم على استمرار الجهاد في سبيل فلسطين ما يثلج صدر كل عربي ، لا بد من ان يكون للعراق خطة محكمة وتدابير تهيأ لها ، ولاجل تحقيق هذا يهمنا ان نقف عليها ليدرك كل منا قسطه ونصيبه في المرحلة المقبلة القريبة .

كما وانه لا بد من توحيد القيادة . وقد زال السبب الذي كان يحول دون تحقيقها توحيداً صحيحاً كاملا ، بحيث توضع جميع الجيوش والاسلحة والاعتدة فضلا عن الخطط تحت امرة قائد واحد ، يتصرف فيها حسبما ترتأي القيادة ، وحسب ما تقتضي غاية تأمين الظفر للعرب .

واسمحوا لي ان اقول لكم ان مفتاح القضية اصبح الآن في يد العراق ، بعد ان كان في بدء القتال في يد شرق الاردن ، وبعد ان انتقل منها الى يد مصر عند قبولها الهدنة الاولى في اجتماع اللجنة السياسية في عمان . واني ارى ان الخطوة الاولى هي ما ذكرته من تبادل الرأي والمعلومات بيننا وبين العراق ، وبعدئذ نخابر مصر ، ثم نجتمع ونبحث واما قبل ذلك ، فلا ارى من داع يستحق دعوة اللجنة السياسية للاجتماع .

واما الثغرة التي يتركها شرق الاردن بانسحابه فاولى من يسدها العراق لاسباب عديدة :

فاولا بالنظر الى الصلات الخاصة التي بين المملكتين ، يكون ايسر عليهما كليهما أن يأخذ الواحد منهما عن الآخر ما كان على عاتقه وان يحل محله .

وثانيا - ان الوضع العسكري قد جعل طريق العراق الى فلسطين ،شرق الاردن ، وهو مركز تموينه ومواصلاته مع ميادين القتال . على انه من الضروري على كل حال أن تبقى جيوش شرق الاردن مرابطة في مراكزها للدفاع مع خروجها من الميدان كقوة مهاجمة ، وتلك هي نية الملك عبد الله فانه عندما كان يطلب ان يحصل على السلاح والعتاد، واعترضت بانه لا حاجة به الى ذلك لأنه لم يستأنف القتال ، اجاب بانه لا بد له من الدفاع فان اليهود لا يبعد أن يتقدموا من احدى الثغرات يفتحونها الى اقتحام شرق الاردن ، وكان دائماً هدفاً لهم يريدون الاستيلاء عليه .

وثالثاً - ان من حق العراق ان يكون مطمئناً ليستأنف القتال ، وهكذا بتوليه سد الثغرة بنفسه وبقوات تتألف تحت اشرافه واشراف الجامعة من مناضلين فلسطينيين واردنيين خصوصاً كما سبق له ان فعل في جنين ، يكون العراق قد حصل ايضاً على الاطمئنان التام ، فضلا عن ان جيشه اقدر الجيوش على هذا العمل . على انه يخيل الي ان هذا الامر يحتاج الى الاحتياجات الدقيقة حتى يتم باحكام ، كما انه يجب ان يتم بروح من الالفة والمودة المطلقة لأن وجود جنود غير مقاتلين الى جانب جنود مقاتلين يحتاج الى كثير من الدقة وحكمتهم كفيلة بمثل هذا الامر .

هذا ما رأيت ان اكتبه اليكم بعد مقابلتي لجلالة الملك عبد الله في الموضوع الذي يتوقف عليه مصير فلسطين فحسب بل مصير العرب جميعاً والذي هو بلا ريب شغلكم

الشاغل ، رأيت أن أضمنه رأيي الشخصي فيه وأخاطبكم فيه بتمام الكتمان . وقد كتبت اليكم ما كتبف ، وأنا سعيد بأن يكون على رأس الحكم في العراق رجل يقدر هذه الشؤون حق قدرها ويوفيها حقها من الاهتمام ، كما اني سعيد بأنكم تسترشدون بالروح الوطنية العالية والحكمة الكاملة وصفات الاقدام والعزم التي تحلى بها سمو الوصي المعظم والتي تجلت بأجلى مظاهرها . واني أنتظر ردكم السريع لتبادر كل حكومة الى اتخاذ التدابير والخطوات المناسبة . وفقكم الله والهمنا جميعاً لما فيه خير الأمة العربية وفلاحها والسلام عليكم .

بيروت في ١٤ آب ١٩٤٨ رياض الصلح

وخرج الناس ، عند تلاوتهم هذا الكتاب ، بالقناعة التالية : « ان الملك عبد الله ليس براغب في القتال ، وأنه لا يريد ان يتخلى عن الانكليز ، وأن رياضا راغب في استئناف القتال ، وإذا كان لابد من هذافلنكن نحن العرب البادئين . وليس حقاً مايقال عن قوة اليهود . فالوضع الحاضر في صالح العرب . وعليهم ان يستغلوا قضية اللاجئين . والشكوى من قلة السلاح مبالغ فيها ، إذا فلنستعد لاستئناف القتال . ولنسد الثغرة التي تحدث بانسحاب شرق الأردن . وليس ثمة من هو أفضل لهذا السد من العراق . فان مفتاح القضية الآن بيده ، بعد ان كان عند بدء القتال بيد الأردن . وعلينا قبل كل شيء أن نوحد القيادة العامة .

القتال من اجل الماء في القدس

في ٥ آب ١٩٤٨ رفض العرب الطلب الذي قدمه اليهم الوسيط الدولي ، الكونت فولك برنادوت ، كي يأذنوا بوصول مياه رأس العين الى الأحياء اليهودية بالقدس . وكان مئة الف يهودي يومئذ على وشك الهلاك من العطش . واستند العرب في رفضهم هذا على ثلاثة اسباب ــ اولها أن اليهود نكثوا العهد وكسروا الهدنة ، والثاني انهم رفضوا رجوع اللاجئين إلى ديارهم . والثالث انهم رفضوا نزع السلاح في المدينة المقدسة . وقديماً قيل : الشر بالشر ، والبادىء اظلم ...

ويظهر ان المراقبين الدوليين اعتزموا أن يسمحوا لليهود بتعمير الأنابيب التي نسفها العرب . وازداد اليهود حماساً لايصال مياه رأس العين الى القدس بعد ان انسحب العراقيون من رأس العين والأردنيون من اللد والرملة . وفي اليوم الذي قرر هؤلاء

المراقبون أن يسافروا فيه لاجل الكشف على خط المياه وكانوا قد اصطحبوا عدداً من المهندسين اليهود . نسف العرب (١٢ آب) محطة المياه في اللطرون .

فاحتج اليهود على هذا العمل ، وعدوه خرقاً للهدنة . وتضعضعت أمالهم في تزويد بني قومهم العطاش بالماء. فراحوا يفكرون في الوصول الى ابار الحرم القدسي ليستعيضوا بمائها عن ماء رأس العين . وهذا لايكون إلا باحتلال المدينة القديمة .

ولهذا قاموا في مساء اليوم نفسه (أي ١٢ آب) باعنف هجوم شنوه منذ اعلنت الهدنة الأخيرة ، على قطاع النبي داود وحي الثوري . ولكن العرب ردوهم على أعقابهم بعد أن كبدوهم مئة وخمسين قتيلا . وأما خسارة العرب فلم تتعد في ذلك اليوم قتيلا واحداً . وخسروا في اليوم الذي تلاه شهيدين . وفي ١٤ آب خسروا شهيدين آخرين .

ولما يئس اليهود من الوصول الى آبار الحرم . راحوا يفكرون في الوصول الى عين فاره . فشنوا في ١٥ آب ١٩٤٨ ،هجوما مركزاً على حي الشيخ جراح ورأس المشارف وراحوا يزحفون في اتجاه الخطوط العربية ، وكانت الساعة قد دقت الثالثة ؛ وكان الفجر على وشك البزوغ . ولم يرتب أحد في انهم يبغون ، من وراء هجومهم هذا ، الوصول الى (عين فاره) حيث المياه الغزيرة ، وأنهم جنحوا الى هذه الخطة بعد الفشل الذي اصابهم في (أ) تعمير انابيب راس العين وفي (٢) الوصول الى أبار الحرم وكثيراً ما حاول اليهود تدمير حوض الماء الكائن على رأس التل الافرنسي ذلك الحوض الذي تتجمع فيه مياه عين فاره ومنه تسيل الى المدينة ـ وامطروه بوابل من قنابل المورتر كانوا يقذفونها من سنهدريا ، ومن الهداسا . الا أنهم لم يصيبوه بضرر كبير . وظل الماء يجري إلى الأجزاء العربية من المدينة . ولكن الجيش العربي الذي كان يرابط في تلك البقعة من الارض صدهم عما يبتغون ، وكان يسند جناحه الأيمن ثمانون مقاتلا من متطوعي قرية شعفاط . فارتد اليهود الى مواضعهم ، بعد أن تكبدوا خسائر فادحة ، وخسر العرب في هذه المعركة شهيدين .

ولقد اعاد اليهود الكرة ، بعد ذلك بيومين ، فقاموا بهجوم شديد على المدينة . وجاءني في ساعة مبكرة من صباح ذلك اليوم مسيو قروازيه ، مندوب الصليب الاحمر قائلا ـ انه لا يشك قط في ان القدس باتت في خطر ، وأنها لامحالة ساقطة في يد اليهود شئنا ام أبينا ؟ ومتي سقطت القدس ، تبعتها رام الله . وأنه يرى من المصلحة حصر

النساء والأطفال في ساحة مدرسة الفرندز وضمن الجدران ، وهذه في امان اذ يرفرف عليها علم الصليب الأحمر . واضاف الى ذلك قوله انه ينصح بخزن مقادير كبيرة من الدقيق والتمر والسكر والارزفي عنابر المدرسةلاطعام النساء والاطفال في حالة الحصار.

لاانكر انني شعرت يومئذ بشيء كثير من القلق على مصير القدس . وفي الوقتالذي رجوته فيه الا يذكر شيئاً من هذا للناس رأيت من المصلحة ان اخذ برأيه وان اتبع نصحه ، وبعد ان اجتمعت الى فئة من اهل الرأي وتشاورنا في الأمر ، قررنا ان نخزن في عنابر المدرسة ، وعلى سبيل الحيطة ، مقادير كبيرة من الدقيق والتمر . ورحنا الى القرى القريبة من القدس ورام الله نحث ابناءها المناضلين على امتشاق السلاح استعداداً للطوارىء فلبوا النداء . وزحفوا باتجاه القدس . وهناك انضموا الى حماة المدينة . ولما رأى اليهود انه لا قبل لهم بهذا الجمع المتكاثر ، رجعوا على اعقابهم . وهكذا فشل اليهود في الحصول على ينابيع الماء وباتوا يقاسون العطش الشديد .

ولقد بلغ الأمر باليهود ، قبل الهدنة الأولى ، الى حد انهم شربوا المياه العطنة التي كانت في المستنقعات كبركة ماملا وبركة السلطان . ونزح معظم سكان المدينة الى القرى المجاورة كلفتا وعين كارم حيث الينابيع . ولم تكن حالتهم من حيث الطعام باحسن من حالتهم من حيث الماء . الأمر الذي حدا بهم للقيام بمظاهرات طالبين التسليم للجيش العربي .

ولكن زعماءهم لم ييأسوا فرسموا خطة لانشاء خط فرعي ينفصل عن الخط الأصلي على مقربة من اللد والرملة ويستفيدوا من مياه خلدا وعاقر . الا ان هذا المشروع لم يأت بالثمرة المطلوبة . وبقوا طيلة عام ١٩٤٩ يقاسون الامرين من العطش . فلا يستطيعون الحصول على الماء اكثر من مرة في كل اسبوعين .

وأما العرب فقد سدوا حاجتهم من الماء من الآبار الكائنة في الحرم وفي منازلالمدينة القديمة ومن عين فاره . وعجزوا في وقت ما عن اسالة ماء هذه العين بسبب قلة المال وفقدان الزيت والعطب الذي الم ببعض الالات . حتى ان صفيحة الماء وصل ثمنها في بعض الأحيان الى أربعة قروش . ولكن هذا العجز لم يدم اكثر من ثلاثة شهور (أيلول وتشرين الأول وتشرين الثاني ١٩٤٨) اذ تمكن العرب بعد قليل من اصلاح العطب وايجاد المال وشراء الزيت اللازم . واصبح في مقدور السلطات البلدبة ان توزع الماء ، ليس على الأهلين فحسب ، وانما على الجيش ايضاً بجميع وحداته المرابطة في المدينة او

في خارجها ، وكذلك قل عن دوائر الحكومة وعن المدارس ومكاتب هيئة الأمم الواقعة على جبل المكبر ومخيمات اللاجئين . واستطاعت تلك السلطات ان تمـد مدينتي رام الله والبيرة ايضاً بالماء .

وظل يهود القدس في عطش شديد الى أن تمكنوا في عام ١٩٥٠ مـن انشاء خط فرعي لأنابيب رأس العين ، قطرها ٢٤ سانتيمتراً . وسار الخط الجديد بمحاذاة السكة الحديدية . وكلفهم المشروع زهاء نصف جنيه . ووصلت مياة رأس العين الى احيائهم في حزيران ١٩٥٠ بعد ان ظلت منقطعة عامين كاملين .

اليهود يديرون ظهورهم للوسيط

في ٥ آب زار الوسيط الدولي تـل أبيب ، وتحدث الى وزير الخارجية شرتوك . وجرى بين الأثنين حديث حول عدة نقاط منها : مسألة تزويد القدس بالمـؤن فقال شرتوك للوسيط : « ما شأنك وتموين القدس ، ولا سيما بعد ان تحسن وضـع اليهود العسكري فيها ، بعد الهدنة الأولى . فالقدس اليوم حرة ، تستطيع ان تمـون نفسها كما تشاء . ولا يجوز بعد اليوم اعتبارها مدينة محصورة . »

ليس هذا فحسب ، فان مـن حق اليهود ـ على رأي شرتوك ـ ان يأتوا للقدس بالمقادير التي يريدونها من الأسلحة ومعدات القتال . فان التنقل ضمن منطقة واقعة تحت النفوذ اليهودي مسالة داخلية بحتة ، لا شان لهيئة الامم بها .

فاعترض الوسيط على هذا الرأي قائلا ان العرب أيضاً ، في هذه الحالة ، يستطيعون الادعاء بان الهدنة لا تربطهم . ولهذا فانهم غير مسؤولين عن تزويد القدس بالمـاء . وإذا حال العرب دون وصول الماء للقدس مات اليهود عطشا . ولا يجوز عندئذ اتهامهم بانهم خرقوا الهدنة .

وبحث الاثنان ، برنادوت وشرتوك ، مسالة نزع السلاح عـن القدس . فحاول شرتوك في بادىء الأمر التملص من هذا البحث. ولكنه بعد لأي وافق على الرأي التالي : يجب أن لاتزج القدس في أية أعمال عسكرية، إذا ما نشبت الحرب من جديد في فلسطين .

وأما اللاجئون العرب فلم يستطع الوسيط ان يزحزح شرتوك عـن موقفه تجاههم أنه لا يوافق على عودتهم إلى ديارهم . واكتفى بالقول أن اليهود على استعداد للدخول في مفاوضات للصلح مع العرب ، على أن يبحث الفـريقان معاً جميع المشاكل المرتبطة بمستقبل فلسطين .

المشروع العربي لتجريد القدس من السلاح

اجتمع الوسيط الدولي ، في ٦ آب ، بقائد الجيش العربي غلوب باشا ، وبحث الأثنان الخطوات الواجب اتخاذها لانهاء الوضع القائم في القدس ، وهو وضع لا يسر أبداً . وقال القائد للوسيط ان الجيش العربي لا يعارض في نزع السلاح غن القدس . وكان هذا (اي الجيش) قد أعد مشروعاً اعتبره الوسيط عمليا للغاية من أجل الوصول الى الهدف المنشود .

والمشروع العربي يتلخص فيما يلي : —

١) أن التسوية المقصودة من نزع السلاح تسوية مؤقتة ، لا تؤثر على التسوية النهائية لمستقبل القدس . ومصير القدس يتوقف على التسوية النهائية لمشكلة فلسطين بوجه عام.

٢) إن حدود المنطقة المنزوع سلاحها في القدس ، لأسباب تتعلق بالامن ولصيانة الاماكن المقدسة ، يجب أن تشمل من الأراضي ، مساحة اكبر من المساحة التي تتألف منها منطقة البلدية أو منطقة تنظيم المدينة ، كأن يدخل في هذه المنطقة شعفاط من الشمال والعيسوية والعيزرية من الشرق ؛ وبيت لحم وبيت جالا من الجنوب ، ولفتا من الغرب

٣) يسمح بتزويد اليهود بالضرورات والمواد اللاعسكرية ، شريطة ان يتم ذلك تحت اشراف لجنة مختلطة من رجال هيئة الأمم ، ومن العرب واليهود .

٤) يدير العرب مناطقهم ، وكذلك يفعل اليهود ، يتولى رجال هيئة الأمم إدارة المصالح العامة كتزويد المدينة بالكهرباء ، والماء ، والمجاري ، والتلفون .

٥) يتولى رجال البوليس من عرب ويهود حفظ الأمن كل في منطقته باعداد متساوية . ويزود كل منهما بقدر متساو من الاسلحة البوليسية المعتادة . ويتولى الحراس الدوليون حراسة التخوم الكائنة بين المنطقتين .

٦) يجب أن يفهم ان (التجريد من السلاح) معناه العودة بقدر الامكان الى الحياة العادية . أي أنه يجب أن يسمح للعرب واليهود ان يستعيدوا منازلهم .

٧) بالرغم مما تقدم يجب تخطيط الحدود بين الفريقين بشكل يتناسب والوضع الذي هي عليه ممتلكات الفريقين .

٨) على أصحاب المباني ؛ الذين ليسوا بعرب ولا يهود ، ان يختاروا المنطقة التي يرغبون في الانتماء اليها .

٩) تبقى المباني الحكومية مؤقتاً في حوزة المراقبين الدوليين .

١٠) تعاد الأموال المنقولة المغتصبة إلى اصحابها ، أو يدفع لهم تعويض لقاءها ، ولا سيما في المناطق التي احتلت من غير قتال خلاقا للهدنة التي كانت في ١٤ـ١٥ أيار.

١١) يسمح بزيارة الأماكن المقدسة اليهودية فيأوقات وأعداد معينة ، وفي حراسة حراس من هيئة الأمم .

١٢) يجب احصاء الأملاك العربية التي بيد اليهود في أقرب وقت ممكن لئلا يعمل اليهود على تخريبها .

هذا هو المشروع الذي اقترحه قائد الجيش العربي لنزع السلاح عن مدينة القدس . نشرت الصحف يومئذ ملخصه . وقد اطلعت على نصه الكامل في الصفحة ٢٠٦ من مذكرات الوسيط .

وفي الذيل تفسير للمعنى المقصودمن (تجريد السلاح) وهو (١) إزالة جميع المؤسسات ذات الصبغة العسكرية ، وأعمال الدفاع من أي نوع كان ، سواء اكانت هذه مؤقتة ام دائمة . (٢) سحب الأسلحة جميعها من المنطقة المجردة . (٣) اخراج جميع أفراد القوات المقاتلة من المنطقة ، سواء فيذلك النظاميون وغير النظاميين . (٤) عدم السماح للمقدسين المسرحين ، الذين يريدون الرجوع الى اشغالهم المدنية ، بدخول المنطقة قبل الوصول الى حل نهائي أو يعقد اتفاق بين الفريقين .

ولما عرض الوسيط ، في اليوم التالي ، هذا المشروع على الدكتور جوزيف ، الحاكم العسكري اليهودي لمدينة القدس ، رفضه . ولم يشأ ان يتقدم بأي مشروع اخر من شأنه تجنيب القدس ويلات الحرب فيما إذا اسؤنفت .

وكذلك فعل شرتوك وزير خارجية اسرائيل ، الذي قال للوسيط ، عندما بحثا مشروع نزع السلاح عن القدس ، ما يلي : ــ

« طالما ان موقف اليهود الحربي في القدس قد تحسن ؛ فليس ثمة ما يدعو الى اعتبار المدينة منطقة محاصرة . وبالتالي فليس ثمة ما يدعو الى تقييد المواد الغذائية (التي ترسل اليها . وإني أرى انه يجب رفع كل حظر على تصدير الأسلحة الى القدس . وأما مسألة المواصلات مع القدس ، فانها مسألة يهودية محلية ، لاشأن لأحد بها . وللقدس ان تتلقى

بعد اليوم ما تشاء من غذاء وأسلحة دون تقييد .»

فقال له الوسيط : « اذن فمن حق العرب ان يمنعوا عن القدس اليهودية الماء . »

وهكذا فشلت المفاوضات التي تولاها الوسيط الدولي من اجل تجريد القدس من السلاح ، بسبب رفض اليهود لها .

ويقول الكونت برنادوت في مذكراته ان إسرائيل لا تنطوي على حسن النيه ، وان طلبات اليهود عبارة عن سلسلة لا أول لها ولا آخر ، وأنه صارح شرتوك في معتقده هذا

واعترف الكونت في مذكراته هذه ان العرب قدموا كل مساعدة ممكنة ، لا سيما بعد الهدنة الثانية .

حوادث خرق الهدنة

وفي ٩ آب دام تبادل النار بين العرب واليهود بباب الخليل وحي النبي داود تسع ساعات . ولكن لم يقتل من جرائه سوى جندي من جنود الجيش العربي . وكذلك قل عن الحال في اليومين التاليين ، إذ قتل في ١٠ آب عربي من سلوان وقتل في ١١ آب شخص آخر من القرية نفسها .

العرب ينسفون مضخة المياه في محطة اللطرون :ــ

نُسفت مضخة المياه في محطة اللطرون . نسفها مناضلون ينتمون الى فرقة الجهاد المقدس [1] من العرب وكان ذلك في اليوم الحادي عشر من شهر آب ويقول الوسيط الدولي أن هذا العمل ما كان ليقع لو كانت هيئة الأمم لبت نداءه وزودته بالعدد الذي طلبه (٤٠) من البوليس الدولي المسلح . هذا كان جواب العرب على المساعي التي كان يبذلها الوسيط الدولي من اجل تعمير خط المياه بين رأس العين والقدس ، وتزويد اليهود بالماء ، وكانت محطة اللطرون قد وضعت تحت اشراف هيئة الأمم . وكان الوسيط قد زارها قبل ذلك ببضعة أيام ، وتفقد الأعمال التي كانت قائمة فيها ، وكان يرافقه في تلك الزيارة الجنرال لاندرستروم Lundström السويدي كبير المراقبين الدوليين في قطاع القدس .

---

(١) حدثني من اثق بصدق حديثه من رجال الجهاد المقدس أنه اشترك في عملية النسف هذه زهاء مئة وخمسين مناضلا من المناضلين الذين ينتمون الى فرق الجهاد المقدس ، وأنه استشار الملك عبد الله قبل الاقدام على هذا العمل ، فابدى ارتياحه لذلك .

اما المحطة فانهــا داخله في المنطقة الحرام ، واما الماكنات والادوات التي كانت في داخلها فما كان ينقصها الاقليل من العناية لتصبح في وضع يمكن تشغيلها . وكان على المهندسين اليهود الذين استخدمهم المراقبون الدوليون ان يبدأوا العمل هناك بعد ظهر ذلك اليوم .

وكان رئيس الجزء اليهودى من بلدية القدس قــد افهم الوسيط ان اليهود في خطر متزايد من جراء قلة الماء ، وان المصلحة تقضي بالاسراع في تعمير الخط ، اذا ما اريد انقاذ السكان من العطش .

وتعاقب بعد ذلك تبادل النيران بين الفريقين على طول جبهات القتال فى القدس .

واما في الجبهات الفلسطينية الأخرى فـلم يحـدث شيء ، سوى أن اليهود راحوا يجدون في استقدام المهاجرين من ابناء جلدتهم ، ليكونوا على استعداد للقتال اذا ما جد الجد . وقد هبط فلسطين من هؤلاء ما لايقـل عن ثلاثة آلاف شاب في سن القتـال خلال المدة التي انقضت بين الهدنة الثانية و ١٢ آب .

تجدد القتال في باب النبي داود

وفي وقت متـأخر من مساء اليوم التاسع عشر من شهر آب زحف المنـاضلون الفلسطينيون من باب العمود الى باب المغاربــة . ومنه الى باب النبي داود . وهنـاك اشتركوا مع سرية من سرايا الجيش العربي في قتال اليهود . وكان يقود . المناضلين القائد منيب اللبان . واما جنود الجيش فكان يقودهم الوكيل ياسر يعيش . واستعمل الفريقان ، العرب واليهود ، في هــذه المعركة مدافع الهاون والمورتر . كمـا استعملوا رصاص البنادق وقنابل الملز والقنابل المحرقة . وراجمات الالغام . وكانت المسافة بـين خطوط الفريقين لاتزيـد على مئتي متر . وكان بين المقـاتلين اليهود عدد من النساء المقاتلات . ودامت المعركة حتى مطلع الفجر .

ولم يخسر العرب في ذلك اليوم سوى جنــدي من جنود الجيش العربي . وكذلك كان الحال في اليوم التالي (٣٠ آب) فقد خسر العرب شهيدا من مناضلي القدس .

اليهود يقصفون بمدافعهم الحرم القدسي

وفي ٢٢ آب ١٩٤٨ سقطت قنبلتان من عيـار ست بوصات على ارض الحرم ،

واحدة عند البراق على مقربة من حارة المغاربة ، والثانية على سطح المسجد الاقصى . ولكنها لم تحدثا ضررا . سوي أن مناضلا واحداً من حلحول قد لاقى حتفه .

ولقد اعاد اليهود الكرة في اليوم التالي (٢٣ آب) فضربوا البلدة القديمة بمدافع الهاون، فسقطت احدى القنابل على سطح الصخرة من الناحية الشرقية ، وانفجرت ولكنها لم تصب احدا . وسقطت ثانية على مقربة من اختها ، الى الشمال الشرقي من الصخرة ولكنها لم تنفجر بالمرة . وسقطت ثالثة على مقربة من سلوان فقتلت مناضلا من ابنائها .

تجدد القتال في قطاع النبي داود

وفي ٢٧ آب ١٩٤٨ قتل اليهود النائب امين السيد علي المصري الذى ارسله قائد السرية احمد الظاهر الديك من دير ابي سعيد لتفقد الحراس في الاستحكامات الامامية كما قتلوا الجندي عليان علي الذي ارسله هذا لسحب جثة اخيه . فتمكن الجند من سحب جثة الجندي القتيل ولكنهم لم يتمكنوا من سحب جثة النائب التي ظلت مطروحة امام دار القاصد الرسولي في القطاع المذكور الى ان قذفها اليهود بالقنابل المحرقة . وظلوا يقذفونها حتى اضحت رمادا . الأمر الذي حدا بالعرب الى الانتقام والاخذ بالثأر . فجاءت حظيرة من الحظائر المنخرطة في فرقة التدمير . جاءت حاملة الألغام ودمرت دار القاصد الرسولي على من فيها كما دمرت بعض المنازل العربية المجاورة لها . انها فعلت ذلك كارهة . وما كانت لتفعله لولا ان اليهود المقاتلين كانوا متحصنين فيها . بدليل انهم عثروا ـ تحت الردم ـ على خمسين جثة من جثث اليهود الذين كانوا هناك يقاتلون . وبلغ القتال في ١ أيلول ١٩٤٨ أشده . فانسحب اليهود من حي النبي داود وجاء العرب فاحتلوه كما احتلوا الكنيسة الالمانية المعروفة ب (الدور ميثيون) . وصعدوا الى برجها . وراحوا من هناك يسيطرون على الخطوط اليهودية في الجبهات الاخرى . وكافهم هذا النصر خمسة شهداء : واحد من الجيش العربي واربعة من المناضلين الفلسطينيين . وجرح ثلاثة .

إلا ان المراقبين الدوليين جاءوا في مساء اليوم نفسه فاخرجوهم منه . والغريب ان هؤلاء المراقبين لم يستطيعوا اخراج اليهود من ايـة بقعة احتلوها في غضون الهدنـة .

ولذلك ساد الاعتقاد بين السكان بان جل هؤلاء المراقبين يهود . ومن لم يكن منهم يهوديا بالاصل فانه باع ضميره لليهود تلقاء المبالغ الطائلة التي قبضها منهم . واليهود اقدر الناس طرا في هذا المضمار .

وقد لاقى حتفه في اليومين الاخيرين (٢٦ و ٢٧ آب) مناضل من حارة السعدية ، وآخر من وادي موسى ، وثالث من قبلان ، ورابع من العيزرية .

اليهود يعاودون قصف الحرم

وفي ٣٠ آب ١٩٤٨ سقطت قنبلة من عيار بوصتين على سطح الصخرة ، على مقربة من غرفة اللاسلكي ، ولكنها لم تحدث ضرراً . وأصابت قنبلة أخرى رجلا من عرب السواحرة فقتلته .

وأوقف اثنان من المسلحين ، بعد ظهر ذلك اليوم ، قنصل ايطاليا في العقبة الكائنة الى الشرق من باب الاسباط ؛ وسلبوه حقيبته . اذ ظنوه جاسوسا لليهود .

وفي ٢ ايلول قتل مناضل من سلوان .

وفي ٤ أيلول ١٩٤٧ عاد الفريقان ، فتبادلا اطلاق النار في حي النبي داود . وما كانت المسافة بينهما تزيد على خمسين مترا . حتى كان كلاهما يسمع كلام الآخر . وما كان كلاهما ليخرج عن دائرة السب والشتم . وظلا على تلك الحالة حتى مطلع الفجر .

معارك (تل المكخر) في قطاع بير السبع

في ٩ سبتمبر ١٩٤٨ عقد المصريون في مقر قيادتهم بالمجدل مؤتمراً عسكرياً كان من جملة قراراته ان تتسلم الكتيبة التاسعة الخط الممتد بين عراق المنشية وبيت جبرين .. الطريق الرئيسي الذي يفصل الشمال عن النقب . وتمتد من المجدل حتى الخليل . وكان يقوم على مقربة من هذا الخط عدد من المستعمرات اليهودية نذكر منها (غات) على مقربة من عراق المنشية و (نقبا) على مقربة من عراق سويدان و (رخاته) على مقربة من الحمامة و (غان يبنا) و (بيارتعيبا) على مقربة من أسدود .

فاتثلت الكتيبة الأمر الذي أعطى لها من القيادة . فاحتلت اهم المواضع الكائنة على هذا الخط . وبهذا تبعثرت بعثرة لم يكن ابداً في صالحها . لا ، ولا هو في صالح القرى الواقعة في نطاقها . وفيما كان رجال هذه الكتيبة يحفرون الخنادق ويستطلعون اخبار

العدو الرابض من حولهم ،تلقوا أمراً من رياسة اللواء الرابع بالزحف صوب (المكخر) الذي احتله اليهود ، وراحوا يتحصنون فيه .

فغادرت عراق المنشية قوةمصرية مؤلفة من فصلين من المشاة قوامهما سبعون جندياً معهم سيارتان مدرعتان وست حمالات وفئة من المدافع المعروفه بفيكرز . وهاجمت تلك القوة تل المكخر في تمام الساعة الرابعة من بعد الظهر (؟) المشاة من يسار التل والحمالات من اليمين . وانضم اليهم اثناء الهجوم عدد غير قليل من المناضلين الفلسطينيين . وما كادت الساعة تدق السادسة والربع حتى كان التل (تل المكخر) قد سقط بيد العرب . فدخلوها مهللين مكبرين . وغادرها المصريون . وبقي فيها المناضلون . وجاءها اليهود في اليوم التالي بقوات كبيرة ، فاحتلوها . عندئذ أصدرت رياسة اللواء امرها الى الكتيبة التاسعة نفسها باحتلالها . ولكنها عادت ، فالغت أمرها هذا . وأمرت الكتيبة الاولى التي كانت يومئذ مرابطة في الفالوجة باسترداد (المكخر) . فصدعت هذه للامر . وقاد الهجوم زكريا محي الدين . واستعان هذا بفصيلة الحمالات من الكتيبة السادسة . تلك الفصيلة التي قادها الجاويش عبد الفتاح في معركة المكخر قبل يومين . وتمكنت الكتيبة الاولى من احتلال المكخر ثانية . ولكنها ما كادت تمكث فيها ساعة أو بعض الساعة حتى ساق اليهود إليها قوات كبيرة ، فاخرجوا المصريين منها . أخرجوا الكتيبة الأولى قبل ان يكون قائدها زكريا محي الدين قد وصل اليها .

وبعد ثلاثة أيام صدرت الأوامر بهجوم جديد ، قاده قائد اللواء نفسه . وقد جمع حوله مجموعة هائلة من القوات ، فيها عدد من المدرعات . ولكن هذه القوات سُحبت قبل ان تقوم بمهمتها . سحبت الى ميادين اخرى كان القتال دائراً فيها .

موقف الجيوش العربية في ٢١ ايلول سنة ١٩٤٨

جاء في تقرير رفعه الفريق الركن صالح صائب رئيس اركان الجيش العراقي الى وزير الدفاع العراقي بتاريخ ٢١ / ٩ / ٤٨ عدد ١٢٥ / د أن موقف الجيوش العربية بفلسطين يمكن تلخيصه كما يلي :ـ

١ ـ الجيش اللبناني يرابط في الناقورة داخل حدوده . لم يتمكن من القيام بأي عمل بسبب قلة عدده وسلاحه وفقدان تدريبه والنقص في قيادته .

٢ ـ الجيش السوري يرابط في منطقة جسر بنات يعقوب . لم يقم بعمل يذكر الى الآن سوى احتلاله مستعمرة مشمار هايردن على الحدود . وليس في استطاعته التغلغل في الأراضي الفلسطينية .

٣ ـ الجيش العراقي يرابط في قطاع السامرة . وهو في حاجة الى بعض انـواع الاعتدة . والى قوة جوية واسعة .

٤ ـ الجيش الاردني يعمل في مدينة القدس وفي قطاع اللطرون وباب الواد . وحداته موزعة . ليس لديه الاحتياط المطلوب للتعرض الناجح . يفتقر الى بعض انواع الاعتدة

٥ ـ الجيش المصرى ، اكبر الجيوش العربية عدة وعددا . له قوة جويـة كافية ، الا انه لم يشترك منه سوى قطعات قليلة . يرابط في منطقة النقب . وقواته الامامية في بيت لحم والخليل وبيت جبرين واسدود . لا يفكر في استئناف القتال . لن يتعاون مع الجيوش العربية الاخرى في الحركات المقبلة .

٦ ـ في فلسطين ثلاثة انواع من المجاهدين :

الاول : جيش الانقاذ ، يقوده القاوقجي ، ويعمل في الجليل .

الثاني : الجهاد المقدس . يسير باشارة من الحاج امين : فريق من افراده يرابطون في دير نظام ويعملون مع العراقيين ، وفريق في قطاع القدس يعملون مع الاردنيين ، وآخرون في بيت لحم وحواليها يعملون مع المصريين .

٧ ـ ليس بين الدول العربية صراحة ولا انسجام .

٨ ـ الموقف بوجه عام في صالح العدو .

موقف الفريقين من الهدنة

كان العرب اكثر احتراما للهدنة وشروطها من اعدائهم اليهود . وقال قائـل ان احترام العرب لها عاد عليهم بالوبال . واما اليهود فقد نالوا بسبب خرقهم لها مايبتغون.

ونود ان نلقي في السطور التالية نظرة على ما جرى بين الفريقين بعـد أن أعلنت الهدنـة الثانية :

فقـد اعلن المستر فيشر ، الملحق الصحفي التابع لهيئة الوساطة الدولية في مؤتمر

صحفي عقده في القدس بتاريخ ١١ تشرين الأول ١٩٤٨ ، ان كبير المراقبين الدوليين كان رفع الى مجلس الامن تقريرا جاء فيه أنه « عقد اجتماعا في مدرسة المطران بتاريخ ٧ آب سنة ١٩٤٨ حضره الفريقان وعدد من المراقبين . وما ان خرج الضباط اليهود من مكان الاجتماع حتى اطلقت عليه وعلى من فيه من الضباط العرب ومن مراقبي الهدنة نيران المدافع الرشاشة من الخطوط اليهودية واسفر ذلك عن جرح ضابط عربي هو الملازم الأول عبد الله المجلي ، وجرح شخص مدني كان يعمل في القنصلية الأميركية بينما كان واقفا بجانب سيارة القنصل وكانت ترفع العلم الاميركي . وينطوي هذا الحادث على خرق صارخ للهدنة . » ولقد انهى كبير المراقبين تقريره بقوله « حدث في القدس اربعة حوادث تعمد اليهود فيها اطلاق النار على المراقبين . ووصفها بانها انتهاك فاضح للهدنة . »

ولقد اضطر العرب ، في بعض الحالات ، لمقابلة اعمال اليهود بمثلها . فكانت النتيجة ان جرت في القدس ، خلال المدة الواقعة بين اليوم الاول من شهر تشرين الاول ١٩٤٨ والرابع عشر منه ، مئة وسبع وثلاثون مخالفة . ولما اشار الكونت برنادوت الى مخالفات الهدنة في تقريره الذي رفعه الى مجلس الأمن ، قال : – « ان اليهود كانوا في الهدنة اكثر عدوانا من العرب . » وما كان اليهود ليجرأوا على خرق الهدنة لولا تهاون المراقبين الدوليين من ناحية ، وضعف هيئة الأمم من الناحية الاخرى . وكان ، في الوقت نفسه ، عدد الارهابيين اليهود في القدس قد ازداد فاصبح فيها اربعة الاف ارهابي معظمهم ينتمون الى عصابة الارغون . وما كان يجدي لردع مثل هذا العدد من الارهابيين وجود عدد ضئيل من البوليس الدولي المسلح بالمسدسات فقط . الامر الذي جعل الوسيط الدولي ؛ الكونت برنادوت ، يلجأ الى مجلس الأمن طالبا قوة عسكرية منظمة لا تقل عن ستة آلاف جندي نظامي . هذا اذا كان ذلك المجلس يريد حقاً الاحتفاظ بقرارات الهيئة ووقف حركة الأرهاب وخرق الهدنة .

ولكن المجلس لا يريد . وبعبارة اخرى اميركا لا تريد . فان في خرق الهدنة نفعا لليهود . وهذا هو السبب في الحوادث التي وقعت بعد اعلان الهدنة ، والتي تفاقم امرها في شهر تشرين الأول ، وفي الشهور التي تلته . واليك نتفاً من اخبارها :

ففي ٤ تشرين الأول قتل اثنان من المناضلين في دير ابي ثور .

وفي ٦ تشرين الأول شن اليهود هجوماً على المواضع العربية من النوتردام الى المصرارة ، ممهدين لهجومهم هذا بوابل من قنابلهم ومن راجمات الالغام . ثم راحوا يزحفون بمشاتهم ، الى ان وصلوا إلى مقهى النابلسي على مقربة من باب العمود . ولقد قاموا بعملهم هذا على مرأى من مراقبي الهدنة . ولم يكن في هذا القطاع يومئذ سوى نفر قليل من المناضلين . لا ، ولا من جنود الجيش العربي . إذ أنهم كانوا مقتنعين أن اليهود لن يقدموا على عمل كهذا بسبب الهدنة ، ووجود عدد كبير من المراقبين الذين انتدبتهم هيئة الأمم . ولما رأى العرب أن اليهود لم يبالوا بالمراقبين لا ، ولا قام المراقبون بردعهم . نزلوا إلى الميدان . وما هي الا جولة واحدة حتى كان اليهود قد دحروا إلى الوراء . ورجعوا إلى المواضع التي كانوا فيها من قبل . تاركين ورائهم عدداً من القتلى والجرحى . وفشل اليهود في الاستيلاء على عمارة الدكتور باز [١] . تلك العمارة التي كانت هدفهم في تلك الليلة .

وفي ٨ تشرين الأول اشتبك الفريقان في قتال استعملا فيه الرشاشات والقنابل الصاروخية . وكان ذلك في قطاع النبي داود ، واسفر القتال عن عدد من القتلى والجرحى من كلا الجانبين. وكان بين القتلى ثلاثة من جنود الجيش العربي : أحدهم يماني ، والثاني كركي ، ولا نعرف شيئا عن الثالث .

وفي ١٣ تشرين الاول اشتبه فوج من المناضلين الفلسطينيين المرابطين في عمارة مرقص [٢] بالقائد الجديد (محمد بك ماهر) [٣] . فراحوا يبحثون أمره . وعندما تعمقوا في البحث ايقنوا أنه جاسوس يهودي الجنس، الماني المولد فالقوا القبض عليه . وأرسلوه الى عمان مصفداً بالاغلال . وقتل في ذلك اليوم ثلاثة : ــ احدهم اردني والثاني خليلي والثالثة مقدسية .

وفي الفترة الواقعة بين ١٦ تشرين الأول و٢٧ كانون الأول قتل في قطاع القدس ستة وثلاثون عربياً : ثمانية منهم مقدسيون ، وثلاثة خليليون ، وثلاثة سلوانيون ،

---

(١) ــ على بعد مئة متر من السور الى الشمال ، بين النوتردام وباب العمود .

(٢) ــ كانت هذه العمارة القريبة من باب الخليل يومئذ مقراً لمنظمة الشباب العربي .

(٣) زعم هذا أنه انتدب لقيادة الحظيرة التي كان يقودها (ياسر يعيش) الذي ذكرنا نبأ استشهاده في قطاع النبي داود بتاريخ ٩ أيلول سنة ١٩٤٨ .

وواحد من كل من بيت لحم والطور وساطاف والسواحرة ، والباقون جنود من افراد الجيش العربي .

ولم يقتصر اليهود ، في خرقهم للهدنة ، على مدينة القدس . فقد خرقوها في غيرها من الجهات . من ذلك انهم انزلوا طائرة اردنية مدنية كانت متجهة صوب عمان عبر منطقة الحولة ... وعبروا نهر اليرموك ... وهاجموا مخفراً للجيش العربي في العدسية ، ومعسكراً للاجئين هناك ... وأغرقوا الطرادة المصرية (فاروق) في مياه المجدل ...

ولئن ضربنا صفحاً عن هذه المخالفات كلها ، فانا لانستطيع أن نضرب صفحاً عن مخالفتهم للهدنة في جنوب فلسطين، تلك المخالفة التي غيرت مجرى التاريخ في ذلك القطاع تغييراً تاماً . فقد أغاروا بجيوشهم وطائراتهم وسفنهم الحربية على المجدل والفالوجة وجورة عسقلان وعلى غزة وبئر السبع والعريش ، وتغلغلوا في الحدود المصرية زهاء مئة كيلو متراً . وفي الفصل الذي يلي هذه السطور ذكر لمعارك بئر السبع .

اقتراحات الوسيط الاخيرة

ارسل الوسيط الدولي في ١٦ أيلول ١٩٤٨ الى المستر تريجفي لي السكرتير العام لهيئة الأمم تقريره عن الأعمال التي قام بها منذ اليوم الذي انتدبته هيئة الأمم لأعمال الوساطة طالبا وضعه على بساط البحث في هيئة الأمم وقد وضع لتقريره مقدمة جاء فيها : ان الفريقين لم يصلا إلى أي اتفاق أو الى أية نقطة يمكن اتخاذها أساساً للاتفاق ، رغم الجهود التي بذلها ، ووسائل الاقناع التي لجأ اليها . ومع ذلك فانه ليس بيائس . وهو يرى ان على هيئة الامم ان تسرع في ايجاد الحل المناسب . ومتى وضعت حلا كهذا وعملت على تنفيذه لا بد وأن يقبله الفريقان دون مقاومة .

وذكر الوسيط بعد هذه المقدمة ، النقاط الأساسية السبع التي يري انه يجب الأخذ بها عند اقرار الحل الاخير . وهي :

آ ـ لا بد من عودة السلام إلى فلسطين . ولهذا يجب أن تتخذ جميع الوسائل الممكنة لئلا تستأنف الأعمال العدائية مرة اخرى ، ولتتوطد الصلات الودية في النهاية بين العرب واليهود .

ب ـ توجد في فلسطين دولة يهودية تدعى (اسرائيل) . وليس ثمة أي سبب جدي للافتراض بأن هذه الدولة لن تدوم .

ج ـ تعين حدود هذه الدولة باتفاق الفريقين ، وإذا لم يتفقا فتعين بمعرفة هيئة الأمم

د ـ ينظر بعين الاعتبار، عند تخطيط الحدود، الى المبدأ الجغرافي المعروف بالتجانس والجمع بين الاجزاء ، لكلا الطرفين : العرب واليهود ، ولا تعتبر الخطوط التي عينها قرار ٢٩ نوفمبر بالحرف الواحد .

هـ ـ يجب الاعتراف بحق الأشخاص الابرياء الذين اخرجوا من ديارهم بطرق الارهاب وهذيان القتال في العودة الى منازلهم ، وتأكيد ذلك بصورة فعلية . ودفع التعويضات العادلة لاولئك الذين لا يرغبون في العودة .

و ـ مدينة القدس يجب ان تمنح معاملة خاصة ومنفردة بسبب أهميتها الدينية والدولية وبسبب المصالح المتباينة فيها [1] .

ز ـ يجب ازالة المخاوف القائمة بين الفريقين ، ولا سيما من ناحيتي الحدود والحقوق الانسانية ، عن طريق الضمانات الدولية .

وبعد هذا ذكر الوسيط توصياته التي يراها مناسبة لتكون أساساً للحل الأخير :

آ ـ يجب أن تنقلب الهدنة القائمة (وهي هدنة غير محدودة) الى سلم دائم ، أو إلى مهادنة دائمة من شأنها انسحاب القوات المسلحة وتجريدها من السلاح ، او التفريق بينها بخلق مناطق واسعة ينزع سلاحها وتوضع تحت اشراف هيئة الأمم .

ب ـ إذا لم يتفق الفريقان على تعيين الحدود بينهما ، يتولى تعيين تلك الحدود لجنة تعينها هيئه الأمم ، على أن يعاد النظر في الحدود الواردة في قرار التقسيم الصادر في ٢٩ نوفمبر بالشكل الاتي . ـ

١ ـ يعطى النقب الى العرب .

٢ ـ تعطى اللد والرملة الى العرب .

٣ ـ تعطى الجليل الى اليهود .

---

١ ـ قارن بين قول الوسيط هذا وبين ماجاء في مقترحاته التي قدمها للفريقين بتاريخ ٢٧ حزيران

(ج) . يقرر مصير الجزء العربي من فلسطين (الـذي لا يدخل في نطاق الدولـة اليهودية) من لدن حكومات الدول العربية وباستشارة عرب فلسطين استشارة تامة . هذا مع العلم بان الروابط التاريخية والمصالح المشتركة القائمة بين الأردن وفلسطين تجعل من الضروري الحاق هذا الجزء من فلسطين بالمملكة الأردنية .

(د) . على هيئة الامم ان تضمن حـدود الفريقين ، العرب واليهود ، الا اذا اتفق الفريقان على ادخال تعديل عليها .

(هـ) . يجب اعلان ميناء حيفا ، بما في ذلك معامـل التكرير والخطوط النهائيـة لانابيب البترول ، منطقة حرة ، دون ان يمس ذلك بحقوق الدولة اليهوديـة او ادارة مدينة حيفا من حيث ادخالها في الحـكم اليهودي . ويجب ان يسمح للاقطار العربيـة بالدخول الى هذه المنطقة . كما يجب على هـذه الأقطار ان لاتحول دون اسالة البترول من منابعه حتى معامل التكرير . ومن هذه المعامـل يجري توزيـع البترول على نفس الاسس التي كانت متبعة من قبل .

(و) . مطار اللد يصبح مطاراً حرا . ويسمح بالدخول اليه والأستفادة من مؤسساته للقدس وللاقطار ذات المصالح .

(ز) . مدينة القدس بحدودها التي عينها قرار هيئة الأمم في ٢٩ تشرين ثاني تعامـل معاملة منفردة ، وتوضع تحت اشراف هيئة الامم الفعلي ، على ان تمنح الطائفتان العربية واليهودية ، اقصى مايمكن من الحكم الذاتي كل في منطقته ، وان تصان الأماكن المقدسة مع حرية الدخول اليها ؛ وضمان الحرية الدينيـة .

(ح) . يجب ان يمنح الجميع حق الدخول الى مدينة القدس سواء كان ذلك بالطرق البرية او الجوية .

(ط) . على هيئة الامم ان تؤكد للاجئين العرب حقهم في الرجوع الى ديارهم في المناطق اليهودية في اقصى سرعة ممكنة . وعلى لجنة التوفيق التي انتخبتها هيئة الامم ان تشرف على اعادة هؤلاء اللاجئين الى اوطانهم ، واعـادة اسكانهم ، ورجوعهم الى حياتهم الاعتيادية ، الأجتماعية منها والاقتصادية ، ودفع التعويض العـادل للاشخاص الذين يؤثرون عدم العودة الى منازلهم ، عن الممتلكات التي فقدوها .

(ى) . يجب ضمان واحترام جميع الحقوق السياسية والاقتصادية والاجتماعية والدينية التي للعرب في الجزء اليهودي من فلسطين ، وكذلك الحقوق التي لليهود في الجزء العربي منها . وعلى لجنة التوفيق التي ذكرت في الفقرة التالية ان تؤمن ذلك .

(ك) . على هيئة الامم ان تؤسس لجنة مهمتها التوفيق بين الفريقين . على ان تعمل هذه اللجنة تحت اشراف الهيئة .

شهداء : هنا وهناك

وفي الفترة الواقعة بين ٧ ايلول و١٧ قتل اثنان وعشرون شخصاً من سكان بيت المقدس ، ستة منهم ارمن ، وستة من المناضلين المقدسيين ، ومناضل من نابلس ، وآخر من سلوان وضابط من ضباط الجيش العربي ، وثمانية من جنوده .

شهداء : هنا وهناك

وفي ١٨ ايلول قام اليهود بهجوم واسع النطاق على المواضع العربية في القدس فقابلهم العرب بالمثل . وقتل مناضل من سكان حارة المغاربة بالقدس وفي ١٩ ايلول قتلت إمرأة من سلوان ، كما قتل ثلاثة من جنود الجيش العربي .

من حوادث خرق الهدنة

وفي ٢١ ايلول ١٩٤٨؛ تسلل اليهود الى عمارة البنك العربي والعمارات المجاورة لها [1] والكائنة في ساحة باب الخليل . فنسفوا بناء عربيا .

ولقد اعاد اليهود الكرة في اليوم التالي ، فنسفوا بناء آخر .

ولقد اطلعت على تقرير ارسله وكيل منظمة الشباب في القدس ، صبحي القطب ، الى آمر المنظمة المذكورة ، تاريخه ٢٣ أيلول ١٩٤٨ ، وقد جاء فيه : -

« ان اهمال جنود الجيش العربي المتمركزين على السور فوق باب الخليل قد جعل اليهود يتسللون الى عمارة البنك العربي الكائنة في ساحة باب الخليل والتي ترى بجلاء من استحكاماتهم . وسبب تسلل اليهود نسف بناء عربي وستارا كثيفا من الدخان ،

---

١ - هذه العمارات من اوقاف العنبوسي

لو تسلل اليهود تحته الى باب الخليل لدخلوه بسهولة . ولم يطلق رجال الجيش العربي هناك من اسلحتهم شيئاً . »

وفي ٢٢ أيلول قتل مناضل ، من دير الشيخ ؛ كما قتل جنديان من جنود الجيش العربي .

اليهود يغتالون الوسيط الدولي :

وفي ١٧ ايلول ١٩٤٨ اغتال اليهود الكونت فولك برنادوت (١) الوسيط الدولي ، كما اغتالوا رفيقه الكولونيل اندره بير سيرو (٢) الأفرنسي كبير المراقبين الدوليين في الخطوط العربية . اغتالوهما على يد اثنين من رجال العصابة الارهابية المعروفة ب (اشترن) (٣) وكان ذلك في الحي اليهودي بين رحافيا والطالبية . ذلك لانهم اطلعوا على التقارير التي رفعها الكونت الى مجلس الامن ، والى هيئة الامم ؛ فاعتبروها لاتتفق مع مطامعهم . وكانوا ، قبل ذلك ، يرتابون في سلوكه ويعتبرونه ميالا للعرب ولم يمض على ذلك يوم او بعض يوم حتى نشر التقرير الذي رفعه الوسط الى هيئة الأمم ، وكانت يومئذ مجتمعة في باريز (٢١ أيلول) .

ويجدر بنا ان ننقل في السطور التالية بعض ما فعله ، او قاله الكونت برنادوت في مذكراته التي نشرت بعد اغتياله ، فقد قال في احد المواضع ما يلي :

« ومن المؤسف حقاً ان هيئة الامم عجزت عجزا مفضوحاً في تنفيذ جميع قراراتها سواء ما كان منها ذا اهمية او كان قليل الاهمية . وكان تنفيذ اى قراراتها يتأثر اولا وآخرا بنفوذ الدول الكبري ، لا بنفوذ الهيئة ، وقراراتها . . . وبعبارة اخرى كانت هيئة الامم اداة مسخرة بيد الدول الكبري . »

Count Folke Bernadotte (1

Colonel André P : Sérot (2

٣) ذكرت مسز اثريدج Willie Snow Ethridge عقيلة المستر اثريدج العضو الاميركي في لجنة التوفيق الدولية ، في الصفحة ١١٧ من كتابها Going to Jerusalem ان رث عقيلة القائد اليهودي موشه دايان حدثتها عندما التقا في تل ابيب بالارهابي المعروف بتربرغسون Peter Bergron انه اي « بتربرغسون » ذو صلة بمقتل الكونت برنادوت ، وانه من حزب (حيروت) وأن اسمه الاصلي هيلل كوك Hillel Cook

وقال في موضع آخر : —

« ان اليهود رفضوا كل عرض عرضته عليهم . ذلك لأن الانتصارات القليلة القيمة التي نالوها في خلال الأيام العشرة التي مرت بين الهدنتين قد غررت بهم ، ونفخت اوداجهم وجعلتهم شامخين متعجرفين . . . . »

« وقال في موضع آخر . :

« كثيرا ما شكا الي » المراقبون الدوليون واعضاء هيئة الوساطة ، من اليهود ، ومن غطرستهم واستحالة التعاون معهم . . . . »

وقال في موضع آخر : —

« ان تقارير جميع المراقبين الدوليين تدل على ان اليهود لا العرب هم المعتدون دائماً. ويظهر ان هذه الاقوال قد تسربت الى آذان اليهود بشكل من الاشكال . فايقنوا انه لن يتيسر لهم الوصول الى ضالتهم المنشودة الا اذا تخلصوا منه . وقد تخلصوا . ولم تحرك هيئة الامم التي انتدبته لمهمة الوساطة ساكنا لقاء ما فعلوا . . .

ورفع الدكتور رالف بانش ، الذي قام باعمال الوساطة بعد مقتل الكونت برنادوت تقريره الى مجلس الامن وقد جاء فيه :

« ان اليهود هم المسؤولون عن مقتل الكونت برنادوت وان السلطات الهيودية اهملت واجبها ، ولم تتخذ التدابير اللازمة للمحافظة على سلامة الكونت ، رغم انها ابلغت سلفا عن الطرق التي سيسلكها ، وان ضابط الارتباط اليهودي هو الذي اختار سلوك الشوارع والطرق التي اغتيل فيها .

وقد اتهم الدكتور بانش حاكم القدس اليهودي ، برنارد جوزيف ، قائلا : انه يتزعم حملة ارهابية ضد هيئة الوساطة الدولية .

ومن شاء المزيد من المعلومات عن الوسيط الدولي ، فليرجع الى مذكراته التي لم تترك في هذا الباب زيادة لمستزيد [١] .

---

١) نشرت هذه المذكرات باللغة السويدية ، وقد ترجمها الى اللغة الانكليزية Joan Bulman بعنوان To jerusalem وطبعت في مطبعة Hodder And Stoughton بلندن عام ١٩٥١ ونشرت ترجمتها الى اللغة العربية تباعا في جريدة (الدفاع) المقدسية بقلم الكاتب المعروف يوسف حنا .

مؤتمر غزة وحكومة عموم فلسطين

في اليوم الأول من شهر تشرين الاول ١٩٤٨ انعقد في غزة مؤتمر حضره عدد من اهل الرأي بفلسطين ، دعت اليه الهيئة العربية العليا لتنفيذ قرارها الذي اصدرته في القاهرة بتاريخ ٥ كانون الثاني ١٩٤٨ ، وهذا نصه :

كانت الهيئة العربية العليا قد اعتمدت ايجاد نظام سياسي في البلاد يقوم على تحقيق الرغبة العامة في التمثيل الصحيح. فبدأت الخطوة الأولى من ذلك بتشكيل اللجان القومية وقررت الأن اتخاذ الخطوات الأخرى لاقامة هذا النظام . وذلك بتشكيل ادارة قومية عامة لفلسطين با كملها ، على آن تتألف هذه من :

١ ــ رئيس أعلى .

٢ ــ مجلس وطني عام

٣ ــ مجلس تنفيذي له رئيس مسؤول ينال ثقة المجلس الوطني العام .

وستعمل الهيئة العربية العليا على تنفيذ هــذا المشروع خلال الاشهر القادمة . . . »

وعندما اجتمع المؤتمرون في غزة (١) وكان عددهم خمسة وثمانين (٢) ، الفوا مجلساً اسموه

---

(١) . عقد المؤتمر في مدرسة الفلاح الاسلامية التابعة صلحة الوقف .

(٢) ثمانية منهم اعضاء في الهيئة العربية العليا وعشرة من رؤسا بلديات واربعــة عشر من رؤساء المجالس المحلية وواحد وعشرون من مندوبي اللجان القومية واثنا عشر من اعضاء الوفود التي انتدبت في الماضي للدفاع عن القضية الفلسطينية في اوروبا وستة من مشايخ العشائر واربعة ممثلون لنقابات المهندسين والاطباء والصيادلة والمحامين . ولقد نشرت مجلة (المصور) المصرية تي صدرت في اليوم التالي صورة فوتوغرافيــة لقرار المؤتمر ، استطعنا ان نتبين منها التواقيع التالية :

الحــاج امين الحسيني . احمد حلمي باشا . علي حسنا . ميشال ابكاريوس ، الشيخ حسن ابو السعود . رجائي الحسيني ، يوسف صهيون ، امين عقل ، الدكتور فوني فريج ، ميشال عازر ، اميــل الغوري ، حمدي الحسيني ، واصف كمال ، اديب الريماوي ، محمد علي الكيالي ، اكرم زعيتر ، محمد العفيفي ، فارس سرحان . خايل حليف ، فيصل نابلسي ، حسين ابو سته ، حسن جمعة الافرنجي ، حسن ابو جابر ، توفيق جبران ، خليل السكا كيني ، احمد عبد العزيز مهنا . محمد رجب ابو رمضان ، رشدي الامام الحسيني محمد علي الصالح ، عبد الله سمارة ، محمد صبري عابدين ، فائق بسيسو ، يوسف الصايغ ، السيد ابو شرخ ، احمد العكى ، علي رضا النحوي ، رفيق التميمي ، محمد رفيق اللبابيدي ، موسى عمران ، عوني عبد الهادي سعيد حمدان ، فهمي الاغا ، عبد الرحمن الفرا ، محمد عواد علي احمد العطار ، احمد محمد حجة ، عيسى نخله طلعت يعقوب الغصين ، رشاد يوسف السقا ، حسني خيال ، كامل القاضي ، عبد الرحيم ابولبن . عبد ربه ابوشقره ، حسن محمد الزبر ، محمد احمد ابو عادرة ، زكي محمد عبد الرحيم ، انور نسيبه .

(المجلس الوطني) وانتخب هـذا المجلس حكومة اسماها (حكومـة عموم فلسطين) . واصدر المجلس الوطني قرارا جاء فيه مايلي :

« بناء على الحق الطبيعي والتاريخي للشعب العربي الفلسطيني في الحرية والاستقلال . هذا الحق المقدس الذي بذل في سبيله زكي الدماء ، وقدم من اجلـه اكرم الشهداء ، وكافح دونه قوى الاستعمار والصهيونية التي تألبت عليه وحالت بينه وبين التمتع بـه ، فاننا نحن اعضاء المجلس الوطني الفلسطيني المنعقد في غزة هاشم نعلن هذا اليوم الواقع في الثامن والعشرين من ذي القعدة سنة ١٣٦٧ وفي اول تشرين الأول ١٩٤٨ ، استقلال فلسطين كلها التي يحدها شمالا سورية ولبنان وشرقا سورية وشرق الأردن وغربا البحر الأبيض المتوسط وجنوباً مصر ، استقلالا تاما ، واقامة دولة حرة ديموقراطيـة ذات سيادة يتمتع فيها المواطنون بحرياتهم وحقوقهم ، وتسير هي وشقيقاتها الـدول العربية متآخية في بناء المجد العربي وخدمة الحضارة الأنسانية ، مستلهمين في ذلك روح الأمـة وتاريخها المجيـد ، مصممين على صيانـة استقلالنا والذود عنه . والله تعـالى على مانقول شهيـد . »

وعهد برئاسة الحكومة الى احمد حلمي باشا عبد الباقي [1] . فتولى جمـال الحسيني

---

(١) « احمد حلمي باشا » ولد في صيدا سنة ١٣٠٠ هـ — ١٨٨٢ م وكان والده عبد الباقي ضابطاً في الجيش العثماني . تلقى دراسته الاولية في سوريا وفلسطين ودرس على يد اساتذة خصوصيين . ملم بالشؤون المالية . وكان في العهد التركي محاسبا في لواء الديوانية من اعمال العراق . وكان مديرا لاملاك الـدولة في لواء العمارة . وعندما نشبت الحرب الكونية الاولى « ١٩١٤ » انتدب قائداً لفرقة المتطوعين في جبهة العراق تلك الفرقة التي سقطت على يدها « كوت العما » سر القائد البريطاني « طوسند » .

وفي العهد الفيصلي بسوريا عين وزيراً ورئيسا للمالية «١٩١٨» . وعندما احتل الافرنسيون سوريا رحل الى شرقي الاردن فاسندت اليه وزارة المالية . كما اسند اليه الملك حسين نظارة الخط الحديدي . ثم هبط فلسطين فعين مراقباً عاماً للاوقاف « ١٩٢٥ » وقد اشترك مسس البنك العربي ١٩٣٠ وعين مديراً له . ثم اسس البنك الزراعي ، واستبدل اسمه بعدئذ فصار « بنك الامة العربية » وهو مديره العام . انه مؤسس الجمعية الخيرية الصلاحية في القدس ومن المؤسسات التابعة لهذه الجمع معهد ابناء الامـة بالبيرة وقد اسس صندوق الامة . نفاه الانكليز الى سيشل عام ١٩٢٧ مع من نفوهم من احرار البلاد . ثم اطلقوا سراحة في ١٩٣٩ . تراس الغرفة التجارية بالقدس كما تراس معظم المؤتمرات الاقتصادية التي انعقدت في فلسطين . كان عندما نشبت الحرب الفلسطينية عضوا في الهيئة العربية العليا ونائبا لرئيسها الحاج امين . كما كان عضوا في اللجنة الاقتصادية التابعة لمجلس الجامعة العربية . وله يرجع الفضل في الدفاع عن بيت المقدس في الفترة التي قامت بين رحيل الانكليز عن هذا البيت « ١٤ ايار ١٩٤٨ » ومجيء الجيش العربي اليه « ١٩ ايار سنة ١٩٤٨ »

وزارة الخارجية وميشال ابكاريوس وزارة المالية وعوني عبد الهادي [1] وزارة الشؤون الاجتماعية ورجائي الحسيني وزارة الدفاع والدكتور حسين فخري الخالدي وزارة الصحة وسليمان عبد الرزاق طوقان [2] وزارة المواصلات والدكتور فوتي فريج وزارة الاقتصاد وعلي حسنا وزارة العدل ويوسف صهيون وزارة الدعاية وامين عقل وزارة الزراعة . وانتدب انور نسيبة سكرتيراً لمجلس الوزراء .

واذاع رئيس الوزراء ، فور تأليف الحكومة ، بيانا جاء فيه ما يلي :

« في اليوم الخامس عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ زال عن بلادنا المقدسة الانتداب البريطاني الذي لم تعترف به الأمة في وقت من الأوقات . وزالت بذلك العقبة الكأداء التي كانت تقف في سبيل ممارسة الامة حقها الطبيعي الشرعي في الاستقلال . واصبح الفلسطينيون احرارا في ممارسة جميع الحقوق التي تمارسها الأمم المستقلة . وصار من حقوقها ومن واجبها ان يتولى ابناؤها بنفسهم شؤونهم السياسية والادارية والمدنية ، وان يعملوا جاهدين على انقاذ وطنهم وصيانة ابنائهم وذرياتهم . ولئن حالت ظروف قاهرة فور انتهاء الأنتداب دون ان يخطوا الخطوة الايجابية في هذا السبيل ، فقد ذللت هذه العقبات الان ، ولم يعد هناك اي مبرر للتأخير . ولذلك قررنا بعد الاتكال عليه تعالى واستنادا الى حقنا الطبيعي والى تاييد الحكومات ومؤازرة البلاد العربية حكومات وشعوبا والى قرارات الجامعة العربية تأليف حكومة لفلسطين بكامل حدودها المعروفة قبل ١٥ أيار سنه ١٩٤٨ لتضطلع بالمهام التي يطلبها الموقف واستكمال اسباب العمل باعتبارها حكومة ديموقراطية مسؤولة امام مجلس وطني تمثيلي الى ان يتيسر القيام بانتخاب جمعية تأسيسية تضع دستور البلاد ، وتقرر نظام الحكم فيها على ان تكون القدس عاصمة البلاد وان تستقر الحكومة موقتا في مدينة غزة احدى بلدان هذا القطر العربي الكريم .

« وفي هذا اليوم التاريخي الذي نعلن فيه تأليف هذه الحكومة الفتية ندعوك باسم الوطن المقدس الى توحيد الكلمة والعمل صفا واحداً لصد العدوان الاثم عن مقدساتك وتراث آبائك واجدادك ومهد ابنائك واحفادك وسجل مفاخرك وامجادك ، والى

---

١) قبل الوزارة ثم استقال .

٢) لم يقبل الوزارة .

التعاون الوثيق مع الجيوش العربية الباسلة التي تحارب في سبيل تحرير بلادك لتصل عالي الرأس الى اهدافك . امدك الله بعونه وشملك بعنايته وايدك بروح من عنده .

هذا واننا لنرى من الواجب ان نرفع ايات الشكر والامتنان مشفوعة بالتعظيم والتكريم لأصحاب الجلالة والفخامة والسمو ملوك العرب ورؤساء جمهورياتهم وامرائهم . ونزجي الشكر لجامعة الدول العربية ورجالات العرب والجيوش العربية وقوادها وللمناضلين الابرار وللامم الاسلامية والشرقية التي آزرت قضية فلسطين بما ابدوه من عطف سام وشعور نبيل على عرب فلسطين ، ولما بذلوه من مساعدات كريمة في سبيل انقاذ البلاد المقدسة .

واننا لنقف خاشعين لذكرى الشهداء الابرار الذين سقطوا في ميدان الشرف والجهاد دفاعا عن الدين والوطن والكرامة ، معاهدين الله تعالى والامة العربية في فلسطين والوطن العربي الكبير على ان نواصل العمل بكل ما في قلوبنا من ايمان ، وما اوتينا من قوة ، الى ان يتم النصر بعون الله وعنايته . سدد الله خطانا الى اقوم سبيل . »

استقبل معظم عرب فلسطين هذا النبأ بشيء كثير من الامل والرجاء . وكذلك فعل سكان بيت المقدس . وفي ١٥ / ١٠ / ٤٨ اعترفت ثلاث حكومات عربية هي لبنان وسوريا والمملكة العربية السعودية بحكومة فلسطين .

وامتعض قليلون . وقال هؤلاء انه لا يحق للذين حضروا المؤتمر — وهم قلائل بالنسبة الى مجموع الأمة — ان يزعموا انهم يمثلون الفلسطينيين جميعا . الا ان الوضع الراهن في البلاد كان قد ساء الى درجة جعلت الاكثرين يرضون بمثل هذه الخطوة ، لعلها تبدد شيئاً من مخاوفهم وتزيل عن نفوسهم بعض ما الم بها من جراء تخاذل الدول العربية . وقال كثيرون ان حكومة كهذه كان يجب ان تتألف عندما نشأ النضال الحالي في فلسطين . وفي كل حال كبرت الامال عندما علم الناس ان الدول العربية التي يتألف منها مجلس الجامعة تؤيد هذه الفكرة . واختفت روح الانهزام تلك الروح التي بدت في الاوساط القومية اثر سقوط اللد والرملة . وراح الشبان يتنادون الى جمع الصفوف ، والتأهب للقتال . وسرت انبأء الحركة الجديدة بين الصفوف بسرعة البرق . فما كنت لتسمع اينما حلت وحيثما سرت ، سوى نغمة واحدة هي :

هيا بنا الى ميادين القتال ، لنسترجع المدن والقرى التي اغتصبها اليهود منا ، ونسترد كرامتنـــا .

وتألفت قيـــادة لأدارة شؤون القتال من المنطقة الجنوبيـــة . وكان مقر هـــذه القيادة مؤلفاً من :

المقدم عبد الحق الفراوي قائداً للمنطقة

الرئيس الأول محمد تراجازي ضابطاً للركن

الرئيس الأول محمد حسن جراحي مساعداً للضابط الركن .

الرئيس محمود كمال طبيب المقر

الملازم الثاني جمال الصوراني ضابط الاستخبارات

هؤلاء تم تعيينهم بامر من المفتي بوصفه القائد الأعلى . وكان هناك في المقر عدد من الموظفين المدنيين ؛ نذكر منهم حفص بن عمر السقا رئيس الديوان وكاتب ومراسل وجنديان يعملان في اللاسلكي هما : ناصر شكري وخليل الجاعوني .

واطلعت على كتـــاب ارسله احمد حلمي باشا بوصفه رئيساً لمجلس الوزراء ووزيراً للخارجية الى وزير الخارجية للملكة المصرية قال فيه : « ان وحـــدات جيش الجهاد المقدس التي مازالت تعمل في منطقتي غزة وعراق سويدان والفالوجة تحت امرة المقدم عبد الحق الفراوي وباشراف القيادة المصرية والتابعة للهيئة العربية العليا قـــد اصبحت اعتباراً من اول ديسمبر تابعة لحكومة عموم فلسطين وقـــد ارسلنا التعليمات اللازمـــة الى آمر القوة المذكورة كي يستمر على العـــمل وفقاً للترتيبات التي مازالت متبعة حتى الآن ، اي ان يظل من الناحية العسكرية تابعاً للقيادة المصرية العامة على ان يكون من الناحية الأدارية تابعـــاً لوزارة الدفاع لحكومة عموم فلسطين . » وكان ذلك بتاريخ ١٨ / ١٢ / ٤٨ واما وزارة الدفاع لحكومة عموم فلسطين فكان مقرها في مصر الجديدة بالقاهرة ٢٢ شارع رمسيس .

ولكن سرعان ما انقلب رجاؤهم الى يأس . عندما علموا ان الحكومة الاردنية

الهاشمية [1] لم تعترف بهـا . . . . وكتب الملك عبد الله ، ملكها ؛ الى محمود فهمي النقراشي باشا ، رئيس الوزارة المصرية ، والى زملائه اعضاء الجامعة كتابا قال فيه [2]

« ان دولتكم على علم من ان دول الجامعة العربية ، تدخلت لانقاذ فلسطين منكرة للتقسيم والتجزئة ، عاملة على حفظ شرف العرب والاسلام التاريخي . وتعلمون ايضا ، اننا نخشى على سلامة بلادنا ومركزها من اي دولـة ضعيفة قـد تتكون في فلسطين ، تنتسب الى العرب ، فتضعف عن البقاء ، او يستحوذ عليها اليهود ؛ اوبمجرد تكيفها تعترف بها منظمة الامم التي اعترفت باليهود ، فيكون التقسيم امرا واقعاً . الأمر الذي حاربنا ضده . وفي وقوع هذا ايضاً قطع الطريق على اهل فلسطين ، وهم قـد شتتوا ايدي سبا في ان يختاروا لأنفسهم ما يريدون بعد انتهاء المعضلة .

« اننا تفاديا من تسبب هؤلاء بحركاتهم واعني بهم امين الحسيني ومن معـه من ان تشبثاتهم ستجر الى ما فيه اخلال عصمة الجامعة العربية واتحادها ، اقول انني ساحارب هؤلاء حيث ما كانوا كما احارب اليهود انفسهم . . . ولقد حاول فريق من رجالات مصر ، أن يوفدوا الى عمان وفدا لمقابلة الملك عبد الله ، واقناعه في العدول عن معارضتة وتألف الوفد بالفعل من بطل الريف الأمير عبد الكريم الخطابي والمرشد العام لجماعـة الاخوان المسلمين الشيخ حسن البـنا ورئيس جمعية مصر الفتاة الأستاذ احمـد حسين ورئيس جمعية الشبان المسلمين محمـد صالح حرب باشا . ولكن رئيس الوزراء محمود فهمي النقراشي باشا امر ادارة الجوازات بعـدم السماح للوفد بالسفر [3] . عندئـذ (٢١ / ٩ / ١٩٤٨) ارسل الامير عبد الكريم الى الملك عبد الله البرقية التالية :

حضرة صاحب الجلالة الهاشمية المعظم ـ عمان

علمت بما كان بين جلالتكم وبين احمد حلمي باشا رئيس حكومة فلسطين فراعني تفاقم الحال . في حين ان تأييدكم له فيه ضمان لناحيتكم وكل المصلحة بالنظر الى اخلاصه لجلالتكم . فارجو من ابن بنت الرسول وأبن المنقذ الأب الحسين ان تقروا توحيـد

«١» ولما تولى الوزارة العراقية نوري باشا السعيد انضم العراق ايضـاً الى الاردن . و راح لاثنان « الاردن والعراق » يعملان على احباط مشروع حكومة فلسطين .

«٢» اطلعني جلالة الملك عبد الله على كتابه هذا غداة اليوم الذي ارسله فيه .

«٣» « معتقل ها كستب » لمحمد علي الطاهر . ص ٦٢

الكلمة وسيكون بعد انقاذ فلسطين كل ما ترغبون ونحن جميعاً معكم وفي جانبكم . ولاتحوجوني للسفر لرحابكم لتأكيد نظريتي . وأنا منحرف الصحة . فزيارتكم واجبة وسأقوم بها في مناسبة سارة . ولكن المهم الآن هو الموافقة على ما اجمعت عليه حكومات جامعة الدول العربية التي قامت بنا كيدكم . فارجو انقاذ الموقف بحكمتكم وبعد نظركم . وان تقصدوا القوم ارضاء لجدكم . فهذه نصيحة من اخ لكم مخلص . والحاضر يرى مالا يراه الغائب . والسلام عليكم.

عبد الكريم الخطابي

ولكن الملك لم يرد

ورأت الحكومة المصرية ان وجود الحاج امين على رأس هذه الحكومة الفتية يزيد في مخاوف الملك عبد الله . فنصحته [1] ان يظل بعيداً عنها والا يذهب الى غزة . الا انه لم يبال بنصحها فاعادته الى مصر ولما تطل اقامته اكثر من عشرة ايام . الذي تولى نقل المفتي من غزة الى القاهرة هو اللواء حسين سري عامر . مدير سلاح الحدود في العريش . فقد نقله في سيارته ؛ واتي به الى القاهرة ليلاً ؛ وظهر بعد قليل ان الذين اوعزوا بسحب المفتي من غزة هم الأنكليز ، وكانوا قد لفقوا على لسانه رسالة قالوا انه ارسلها (؟) الى الروس مخبراً اياهم غن عزمة على اقامة حكومة عموم فلسطين على غرار الحكومات السوفياتية . . . ولم تكتشف هذه الحيلة الا بعد سنة من وقوع الحادث . . .

وتطور القتال في فلسطين بعدئذ بشكل لم يكن في صالح العرب . وكان لا بد من انتهاج خطة تضمن العمل المشترك بين الحكومات العربية . تلك الحكومات التي ضنت على الحكومة الفلسطينية الجديدة بما هي في حاجة اليه من تأييدوتعضيد؛ رغم انها كانت ـ كما قدمنا ـ راضية . ولهذا مالبثت الفكرة ان ماتت وهي في مهدها .

وانه لخليق بنا ان ندور ، من اجل الحقيقة والتاريخ ، وأن ماجري في غزة يومئذ

---

١) وعلى قول ان الذين اشتركوا في هذا الرأى والنصح هم محمود فهمي النقراشي باشا رئيس الوزارة المصرية ، وجميل مردم بك رئيس الوزارة السورية ، ورياض بك الصلح رئيس الوزارة اللبنانية والباجهجي رئيس وزراء العراق عندما عقد هؤلاء جلسة استشارية في الاسكندرية في صيف ١٩٤٨ .

كان نتيجة لقرار اصدره مجلس الجامعة في اجتماع عقده في القاهرة في اول شهر سبتمبر (ايلول) ١٩٤٨ . وكان ذلك بناء على رغبة ابداها ممثلو الحكومات العربيــة في هيئة الامم التي كانت مجتمعة في ليـــك سكس . والمعتقد ان هؤلاء الممثلين وجدوا اروقــة هيئة الامم من شجعهم على ذلك ، لا ، بل من دفعهم اليه دفعــاً ، من دول الغرب . وكانت النية معقودة على ان تمــد دول الجامعة الحكومة الجديدة بكـــل مايلزمها من وسائل في ميادين السياسة والمال والدفاع . وكانت مصر والمملكة العربية السعوديــة وسوريا في طليعة تلك الدول التي عملت على تاييــد الفكرة . ولكن قرار المجلس هــذا ظل ، على ما ظهر بعدئذ ، حبرا على ورق . اذ لم تمد الدول العربية حكومــة فلسطين بما تحتاج اليه من وسائل اولية كان لابد منها اذا ما اريد تكوين حكومة شعبية بسيطة ، بله التنظيم الذي يضمن النصر في حالة الحرب . وسرعان ماذر قرن الخـــلاف بينها في هذا الأمر ايضا كما ذر وتغلغل في الشؤون الأخرى . فكان ما كان فلم تُدعَ حكومة فلسطين لحضور الأجتماع الذي عقده مجلس الجامعة في تشرين اول سنة ١٩٤٩ [١] مـع انها دعيت لحضور الاجتماع الذي سبقه في تشرين الشــاني سنة ١٩٤٨ وبمسعى مصطفى النحاس باشا دعيت حكومة فلسطين لحضور الاجتماع الذي انعقد في آذار سنة ١٩٥٠ رغم احتجاج الأردن .

بلغت نفقات المجلس الوطني وحكومة عموم فلسطين منذ تشكيلها الى نهاية سنة ١٩٤٩ واحداً وعشرين الفاً واربعة وخمسين جنيهاً . وقد تولت الهيئة العربية العليا دفعها من المبالغ التي جمعتها باسم (قضية فلسطين) .

تابع حكومة عموم فلسطين

طلبت الحكومة الأردنية ، في عام ١٩٥٢ ، من الجامعة العربيــة سحب اعترافها بحكومة عموم فلسطين . ولكن الجامعة رفضت هذا الطلب وقررت :

---

١) عندما علم الملك فاروق ان حكومة فلسطين لم تدع لحضور الاجتماع الذي عقده مجلس الجامعة ، دعا المجتمعين لتناول طعام الغداء في قصره . ولما اخذ المدعوون اماكنهم على المائدة الملكية رأوا مكان فلسطين شاغرا . فقال لهم الملك . « ان هناك مكانا خاليا في هــــذه المائدة هو مكان فلسطين وسيبقي محفوظا بيننا » .

(١) الابقاعليها ، على ان تقتصر تشكيلاتها على رئيس الحكومة وهو احمد حلمي باشا ، وسكرتيرها العام جميل السراج ، واربعة موظفين هم : تحسين الحدث وقد عهد اليه بشؤون اللاجئين والاعانات التي تدفع اليهم . وعبد الفتاح الشريف الذي عهد اليه بشؤون الطلبة الفلسطينيين . واحسان سرور (جوازات السفر) . واديب الانصاري (كاتب) .

(ب) الغـاء الوزارات التسعة التي تألفت منها الحكومة عند تشكيلها . وكان الوزراء بطبيعة الحال ، وبعد تأليف الحكومة ، قد انفضوا . فراح كل واحد منهم يعمل في جهة : امين عقل (وزير الزراعة) موظفاً في الجامعة . والدكتور فوتي فريج (وزير الصحة) افتتح عيادة طبية في مصر الجديدة . وميشال ابكاريوس (وزير المالية) راح يحاضر في الجامعة الأميركية ببيروت . ورجائي الحسين (وزير الدفاع) مستشاراً لوزارة المواصلات في المملكة العربية السعودية . وجوزيف صهيون (وزير الدعاية) انشأ مستودعاً للادوية في القاهرة . وانور نسيبة (السكرتير العام) والتحق بالحكومة الأردنية فعين وزيراً للمعارف والدفاع . وعلي حسنا (وزير العدل) ايضاً التحق بالحكومة المذكوره فعين نائباً لوزارة الداخلية في الضفة الغربية (فلسطين) . وجمال الحسيني (وزير الخارجية) التحق بابن السعود فعينه مستشاراً لحكومته. وعوني عبدالهادي (وزير الشؤون الأجتماعية) سفيراً للاردن في مصر .

(ج) وخفضت ميزانية الحكومة الى اقل من الربع . فبعد ان كانت الجامعة تدفع لرئيس الوزارة احمد حلمي باشا الف ومئتي جنيه في السنة ولكل وزير من الوزراء ٧٢٠ جنيهاً راحت تدفع الرئيس فقط راتبه . وكذلك قل عن السكرتير العام الجديد جميل السراج . واما الموظفون الاربعة الأخرون فراحوا يأخذون رواتبهم من ايراد الجوازات . وكانوا يجبون مئة قرش عن كل جواز .

وقد اصدرت حكومة عموم فلسطين من بدء تكوينها الى هذا التاريخ (١٩٥٤) ١١,٤٠٠ جواز سفر . واعترفت بهذه الجوزات جميع الحكومات العربية (خلا الأردن) وحكومة الأفغان .

ورأيت بعيني موظفي هذه الحكومة (وان شئت فقل بقاياها) يعملون في غرفة متواضعة كانت فيما مضى مطبخاً لنادي (الاتحاد العربي) في ميدان مصطفى كامل بالقاهرة .

ولرب سائل يقول : — ماذا فعل المراقبون الدوليون حيال هـــذا الخرق الفاضح للهدنة . فالى هذا السائل اقول : — ان كل ماعمله الجنرال ويليام رايلي ، كبير المراقبين الدوليين ، اثر هـــذه الحوادث انه رفع تقريره الى مجلس الأمن ، وقد جاء فيه : — « ان القتـــال في الجنوب بدأ في ١٤ تشرين الأول ١٩٤٨ وان اليهود هم البـــادئون ، وانهم هم المسؤولون [١] » . ورفع الدكتور رالف بانش ، القائم باعمال الوساطة، ايضاً تقريره الى مجلس الأمن . وقد جاء فيه . — « ان اليهود خرقوا الهدنة اكثر من مرة ، وانهم هو المسؤولون عن مقتل الكونت برنادوت ، »

فبحث مجلس الأمن الموقف على ضوء هذين التقريرين . بحثه في جلسة عقدها في اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الأول . واتخـــذ قرارا دعا فيه الفريقين للكف عن اطلاق النار وطلب منهما ان يسحبا قواتهما الى حيث كانت في الساعة الثانية من بعـــد ظهر اليوم الرابع عشر . واناب الدكتور بانش في تنفيذ قراره . فضرب هذا الساعة الثانية من بعد ظهر الجمعة الموافق ٢٢ تشرين الأول موعدا لتنفيذ القرار ووقف القتال . ورغم ان الفريقين قالا في جوابهما انهما اصدرا الأوامر اللازمة لجيشيهما بوقف القتال ، الا انه لم يقف ، ولم يفعل مجلس الأمن شيئا من اجل تنفيذ قراره ، لاولا فعلت هيئة الأمم شيئاً من اجل ذلك ، بل جاءت الانباء مؤيدة اتساع نطاقه في الشمال والوسط والجنوب وفي كل مكان .

وقام اليهود غداة اليوم الذي صدر فيه القرار واعطي الأمر بوقف القتـــال بهجوم عنيف على بئر السبع . فاحتلوهـــا (٢٢ تشرين اول ١٩٤٨) كمـــا سنذكر ذلك في السطور التاليه .

---

١) . هذا ما قاله كبير المراقبين . ولكنه لم يذكر السبب الذي انتحله اليهود من اجل هجومهم ، ومن عادة اليهود ان ينتحلوا لاعذار ليبرروا عملهم . والذي اعرفه انا (المؤلف) انهم انتحلوا مسألة تزويـــد مستعمراتهم القائمة في جنوب فلسطين في القطاع الذي يسيطر عليه المصريون ، بالمؤن . فطلبوا الى المصريين بوساطة كبير المراقبين ، ان يسمحو لهم بامرار قوافلهم حامـــلة المؤن الى مستعمراتهم . فرفض المصريون وهذا ماحدا باليهود للقيام بحركاتهم . فشقوا طريقهم بالقوة .

وهناك في اعتقادي ، سبب آخر هو اهم من السبب المتقدم ذكره ، ألا وهو خوف اليهود من نجاح الخطط التي اقرها (مؤتمر غزة) . ذلك المؤتمر الذي عقد في غزة قبل قيام اليهود بزحفهم باسبوعين (في ١ تشرين الاول ١٩٤٨) والذي انبثق عنه قيام « حكومه عموم فلسطين » .

معارك النقب الاول

بدأت يوم الجمعة الموافق ١٤ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ . بدأها اليهود بغارة واسعة النطاق شنوها على الخطوط المصرية التى كانت يومئذ ممتدة من اسدود غربا حتى عراق المنشية والفالوجة وجبال الخليل شرقا ، ومن المجدل شمالا حتى غزة وبير السبع والعريش جنوباً .

والسبب الذي انتحلوه لهجومهم هذا ، برغم سريان الهدنة بين الفريقين ، وهو رغبتهم في تزويد مستعمراتهم الكائنة في القطاع الجنوبي من فلسطين بالمؤن . ذلك القطاع الذي كانت تسيطر عليه القوات المصرية . وعبثا حاول المراقبون الدوليون اقناع الفريقين بالتفاهم مع الآخر . الا ان جهودهم هذه ذهبت ادراج الرياح . اذ ان اليهود كانوا مصممين على المضي في القتال قبل ان يتقوى المصريون . وكانت قد اتتهم (اي اليهود) نجدة من الغرب هي عبارة عن فرقة اجنبية مؤلفة من عدد كبير من الضباط والجنود الذين اشتركوا في الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ ـ ١٩٤٢) جاءوا من اميركا والمانيا وفرنسا ورومانيا وبولونيا وتشيكو سلوفاكيا ومن جهات اخرى بعضهم يهود ، والبعض الآخر مسيحيون استخدمهم اليهود بمرتبات ضخمة وشروط مغرية . فقد دفعوا لكل طيار خمسة الاف جنيه لقاء التحاقه بالجيش ، وخمسين جنيه عن كل غارة يقوم بها واما المهندسون المدنيون فكان الواحد منهم يتقاضى من خمسة الى ثمانية جنيهات في اليوم . هذا بالاضافة الى طعام المتطوعين ومساكنهم ووسائط التسلية التي تقدم اليهم . اضف الى ذلك ان اليهود سحبوا معظم قواتهم التي كانت ترابط في جهات فلسطين الاخرى ذلك لان الهدوء كان يسود تلك الجهات وقد المعنا الى ذلك في مواضع اخرى من الكتاب .

بدأ اليهود تجمعهم في معسكر كان للبريطانيين على مقربة من جولس الى الشمال من مستعمرتهم (نقبا) وفي مستعمرتهم (غات) وكان ذلك بين اليوم السادس والثاني عشر من شهر اكتوبر . ولما اكتمل الجمع في ١٤ اكتوبر ، راحوا يتقدمون ممهدين لتقدمهم هذا بضرب المواضع المصرية من الفالوجة الى غزة من البحر والبر والجو واستطاعوا فتح ثغرة على بعد ٥ كيلومترات من المجدل الى الشرق وتسللوا ليلا عبر الحقول والطريق التي تربط عراق سويدان بكوكبا وحليقات والطريق المعبدة التي تربط

يافا بغزة. فاحتلوا الجزء الواقع بين عراق المنشية وعراق سويــدان من طريق غزة ــ الخليل. وبهذا قطعوا كل اتصال بين هذين القطاعين وظلوا يتقدمون الى ان وصلوا الى مستعمرتهم (نير حايم) على مقربة من سمسم. وجاء فريق آخر من ناحيــة وخاما (الجمامة) فاحتل تل المكخز وتل النجيلة وتل الحسى وما بين هــذه التلال من سهول ومرتفعات (١٥/١٠/٤٨)

وحاول المصريون استرداد (تــل المكخز) الواقع بين الفالوجة وبيت جرين فارسل اليه المواوي قوة يقودها اليوزباشي صلاح [١] وكانت هذه عبارة عن سريتين من المشاة وسرية من المدرعات مؤلفة من اثنتي عشرة مدرعة من نوع ؟ (همبر) وفي كل مدرعة مدفع من عيار رطلين ورشاش وفي كل منها جهاز لاسلكي وكانت هــذه المدرعات بقيادة اليوزباشي نجيب [٢].

ولكن اليهود صمــدوا لهم. فردوهم على اعقابهم وبقي التــل بيد اليهود. وخسر المصريون ثماني مدرعات وفئة ممتازة من جنودهم وضباطهم.
واتصــل اليهود الــذين احتلوا المكعز باخوانهم المرابطين في دوروت ومحارسمسم فاحتلوا (حليقات [٣] احتلوها بثمانمئة جندي من مقاتليهم، وقتلوا جميع رجال حاميتها وكانوا من السعوديين وعددهم ثمانون. وبهذا قطع اليهود كل اتصال كان بين قطاعي بئر السبع وجبل الخليل.
وجاء فريق آخر من الشمال: ــ من ناحية (غان يبنا) وبيرطوفيا فاحتلوا اسدود. وكان المصريون قد اخلوها، واخلوا بيت داراس فور تحرش اليهود بعراق سويدان.

وواصل اليهود زحفهم، فاموا بيت حانون، مقتحمين في طريقهم بربرة ودير اسنيد، ونسفوا الجسر الكبير الكائن بين هــذه وغزة (السبت ١٥ اكتوبر ١٩٤٨) وبهــذا قطعوا كل اتصال كان بين غزة والشمال وامست المجــدل في خطر، فاخلاها المصريون.

---

١) الصاغ صلاح سالم وزير الارشاد القومي في مصر «١٩٥٤» واشترك معه في معارك تل المكخز هذه اثنان من اعضاء مجلس الثورة المصرية هما جمال عبد الناصر وزكريا محي الدين

٢) ابن شيخ الازهر السابق.

٣) وفي قول انهم لم يحتلوها يومئذ وانما احتلوا السهول الكائنة حولها واما «حليقات» نفسها فقد احتلوها في ١٩ ــ ٢٠ ــ ١٠ ــ ١٩٤٨.

وفي ليلة الأحد ١٥ و١٦ اكتوبر تقدم حوالي ٥٠٠ من مقاتليهم من ناحية غات يتقدمهم ١٢ دبابة [٢] فاخترقوا التحصينات الأمامية لعراق المنشية الا ان المصريين قاموا بهجوم مضاد واشتبك الفريقان بالسلاح الأبيض فاندحر اليهود .

وفي ١٦ اكتوبر اغارت الطائرات اليهودية على المجدل وجورة عسقلان والفالوجة وعراق المنشية وغزة وبير السبع والعريش بقصد الأرهاب ، وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم فاسقطوا ست طائرات .

وقام اليهود في الساعة التاسعة من مساء ذلك اليوم بهجوم شديد على مفترق الطرق (طرق المجدل ـ الخليل) و (طريق غزة ـ يافا) ، عند عراق سويدان . واشترك في هذا الهجوم عدد كبير من مقاتليهم . وما كاد الليل ينتصف حتى كان هذا الموضع الاستراتيجي الهام قد سقط في ايديهم وخسر المصريون عددا كبيرا من القتلى والجرحى كما خسروا عددا غير قليل من الأسرى ومن الاسلحة والذخائر منها اربعة مدافع .

وفي ساعة مبكرة من صباح ١٧ اكتوبر قام اليهود بغارة جوية شديدة على المجدل . فهدموا حوالي ١٥ ٪ من مباني المدينة . ومن المباني التي هدموها يومئذ مدرسة الذكور ومدرسة الاناث والمستشفى العسكري ومعظم الخراب كان في القسم الجنوبي من المدينة .

وفي مساء اليوم نفسه (١٧ / ١٠ / ٤٨) اعادت الطائرات اليهودية الكرة على المجدل فقتلت عدداً كبيراً من الاهلين ومن اللاجئين المحتمين في شمال المدينة . واشتد القتال على طول الجهة (ثمانية كيلومترات من عراق المنشية والفالوجة الى عراق سويدان) وحاول المصريون والمناضلون الفلسطينيون المرابطون في عراق سويدان (١٧ / ١٠) فتح طريق الى قرية كوكبة فقاموا باربع حملات كان يقودها الملازم محمد الغرا والملازم حكيم رشدي ، الا انهم لم يفلحوا . وقد وجدوا (كوكبة) محتلة من قبل الاعداء . وجرح الملازم حكيم .

واعاد اليهود الكرة في ١٨ / ١٠ / فاغارت اربع من طائراتهم الكبيرة ذوات

---

١) وزن الدبابة ١٧ طن وهي من صنع تشيكوسلوفاكيا .

الأربعة محركات على القسم الغربي من مدينة المجدل فدمرته . هذا كان في الساعة السادسة والدقيقة الخامسة عشرة صباحاً واما في المساء (س ٩) فقد اغارت الطائرات نفسها على القسم الشرقي منها وهدمت جانبا منه .

وفي ٩ / ١٠ راحت السفن اليهودية الراسية في البحر امام جورة عسقلان تقصف المجدل ظهراً . واغارت طائراتهم على محطة غزة .

وفي مساء اليوم نفسه (١٩ / ٢٠ / ١٠) وقعت بين اليهود والسعوديين في حليقات معركة قادها الأمير الاي الرحماني ، قتل فيها من السعودين خلق كثير قدرهم بعضهم بسبعين .

بعدئذ راح اليهود يزحفون صوب بير السبع قاصدين احتلالها . زحفوا عبر الطريق التي تربط مستعمرتهم غات ببير السبع والتي تمر من (ام دبكل) و (زبالة) . واستمروا في زحفهم الى ان تمكنوا من احتلال مدينة بير السبع [١] .

وفيما كان اليهود يزحفون صوب بير السبع كانت فئات منهم تشاغل المصريين المرابطين في قطاع غزة . شاغلتهم من البحر والبر والجو . فقد سجلت ملفات الحكومة اربع عشرة غارة قام بها اليهود على غزة من الجو في ١٨ تشرين الأول (اكتوبر) ١٩٤٨ واربعا من البر . وقتل من الفريقين يومئذ تسعة وجرح واحد وعشرون .

واغار اليهود عليها في اليوم التالي (١٩ / ١٠ /) ست غشرة مرة من الجو وثلاثا من البر ،كان عدد القتلى يومئذ ثمانية والجرحى خمسة عشر .

وفي ٢٠ / ١٠ كان عدد الغارات سبعاً كلها من الجو وكان عدد القتلى ستة .

وفي ٢١ / ١٠ تسع غارات . سبع من الجو واثنتان من البر والقتلى ٦ والجرحى ٣ .

وفي ٢٢ / ١٠ غارة واحدة لم تحدث ضرراً وسقطت في ذلك اليوم مدينة بئرالسبع .

ولم يوقف اليهود تحرشهم بغزة حتي بعد سقوط بير السبع بايديهم خشية أن يأتي المصريون فيستردونها فاغاروا عليها (اي على غزة) :

في ٢٤ / ١٠ ست عشرة مرة فقتلوا اربعة من سكانها وجرحوا تسعة .

---

١) اقرأ ما كتبناه غن معازك بير السبع واحتلالها في موصع اخر من الكتاب .

وفي ۲٥ / ١٠ ست غـارات من الجو

وفي ۲٦ / ١٠ ثماني غارات

وفي ۲۹ / ١٠ قصفوها من البحر تسع مرات ولكنهم في الغارات الثلاثـة الاخيرة لم يصيبوها باذى .

وفي ليلة ٢٥ اكتوبر شن اليهود اربـــع هجمات على مركز عراق سويدان تساندهم فيها مدافع الهاون وراجمات الألغام وتمكنوا من الوصول الى جدران المركز وتدمير الاسلاك ولكنهم صدوا فارتدوا على اعقـابهم ، تاركين وراءهم عـــددا من القتلى والجرحى ومقادير غير قليلة من الاسلحة والذخائر وتمكن النقيب زكي ابو الدول من احضار اربعة مدافع مورتر واحد منها من عيار ست بوصات . واغتاظ اليهود لعدم تمكنهم من الاستيلاء على هذا المركز نظرا لما له من الاهمية ، من الناحية الاستراتيجية ؛ فراحوا يقدحون زناد تفكيرهم من اجل الاستيلاء عليه باي ثمن كان .

انه مركز استراتيجي هام واقع على رأس اكمة مشرفة على سهل واسع من الارض عنـــد تقاطع الطرق التي تربط قطاع غزة بقطاعي يافا والخليل . يبعد عن الفالوجـــة سبعة كيلومترات وهو منها الى الغرب ، وعن المجــدل ثمانية كيلومترات وهو منها الى الشرق .

كان للانكليز فيه حامية قوية يقودها ضباطاً بريطانيون وفي اواخر عهد الانتداب ارسل الأميرالاي اركان حرب محمد نجيب قائد القوات المصرية التي كانت ترابط على الحدود عنـد العريش قـوة مصرية مـــن المتطوعين التـــابعين لاحمـد عبد العزيز وكانت هذه عبارة عن مئتين وعشرة مسلحين يقودهم اليوزباشي مرور رستم . معظمهم ليبيون وبعضهم مصريون فاحتـــل هؤلاء قرية عراق سويـــدان (٥ ايار) ثم احتلوا مركز البوليس هناك (١٢ ايار)

وحاول اليهود ان يحتلوا هذا المركز وان يأخذوه من يد العرب المتطوعين قبل ان يدخل الجيش النظامي المصري البلاد . فقاموا بهجوم شديد على المركز الا ان المتطوعين من مصريين وليبيين وفلسطينيين صدوهم . وقد اغتنموا منهم مصفحتين وعـــددا من البنادق وقتلوا منهم مئة يهودي ، بينهم القائد .

وفي ٢٤ ايار جاء عدد من الجنود المصريين يقودهم اليوزباشي غالي مسيحة فاحتلوا هذا المركز وكان ذلك بامر من السيد طه قائد القوات النظامية في قطاع الفالوجة .

وفي ليلة٢٦ اكتوبر قام الصهيونيون بهجوم شديد على المواقع الجنوبية من تـلال الفالوجة وكان يقود القوة المصرية هناك اليوزباشي سعد الجمال وضرب اليهود نطاقـاً حول المنطقة الممتدة بين عراق المنشية وعراق سويدان .

ولم تنقطع غارات اليهود على المجدل من الجو في تلك الفترة واشتدت غاراتهم في الاسبوع الاخير من شهر اكتوبر فدب الذعر في قلوب الاهلين وراحوا يرحلون (٢٦ اكتوبر) وازداد رحيل الاهلين ، عندما رأوا الجيش المصري يرحل من هناك .

وفي ٥ نوفمبر ١٩٤٨ سقطت المجدل في يد الاعـداء [١] واستغرب الاهلون كيف سقطت بهذه السرعة اذ كان فيها وفيما جاورها من بقاع ثلاثون الف جندي مصري كما كان فيها خمس عشرة بطارية من المدافع المضادة للطائرات ومحطة قويـة للرادار . وكان القائد العام اللواء احمد المواوي قد اتخذها مقراً لقيادته وحصنها تحصيناً لا بأس به[٢] .

وفي ٩ نوفمبر هاجم اليهود بيت عفا وعراق سويدان والفالوجة وكان نصيب الفالوجة من القنابل المحرقة في تلك الليله ٢٨٨ وكانوا يرمون تدمير المطاحن وخزانات المياه .

وفي ١٠ نوفمبر سقط مركز البوليس في عراق سويـدان وسقطت من بعده القرية نفسهـا .

ولقرية عراق سويدان هذه وكيفية احتلالها من قبل اليهود حكاية رواها لي الاستاذ عبد الله الخطيب مدير مدرسـة بير السبع ، وهذا نقلها عن ضابط مصري كان من رجال الحامية وقد التقيا في الاسر اسمه (عادل صادق) ورتبته يوزباشي وكان قبلا من رجال الحرس الملكي فقال :ـ

عندما بدأ اليهود زحفهم من (نقبا) رأيناهم وكان باستطاعتنا ان نصدهم اذ كنا متمركزين فوق تل مشرف على المستعمرة يدعى (تل الخيش) وهو اعلى منها . وكان

---

١) اقرأ الفصل الذي خصصناه للمجدل واعمال النضال فيها ، ورحيل الجيش عنها وسقوطها بيد الاعداء في موضع اخر من الكتاب .

٢) قيل ان المواوى سيق الى القاهرة مخفورا وانه اتهم بالتقصير في الدفاع عن هذا القطاع .

مغي في عراق سويدان حامية قوامها مئة مقاتل ؛ فخابرنا المواوي ، فنهانا عن اطلاق النار ولما افهمناه ان اليهود صعدوا التل واقتربوا من عراق سويدان امرنا بالانسحاب الى العراق . فانسحبنا دون ان نطلق رصاصة واحدة .

وجاء اليهود فاحتلوا التل . وباحتلالهم هذا سيطروا على ملتقى الطرق المؤدية الى (آ) المجدل فغزة (ب) بربر (ج) كراتيا والفالوجة . ولما فتحت امامهم طريق بربر، راحوا يزحفون نحو الجنوب ، تاركين وراءهم عراق سويدان . فاخلاها المصريون دون قتال . ولكن كيف النجاة وقد اصبحوا مطوقين باليهود من جميع الجهات ؟ ومع ذلك فقد قاوموا ؛ وردوا ثلاث هجمات قــام بها اليهود ، وظلوا يقاتلون الى ان قتل معظمهم . ومن لم يقتل منهم جرح ، واسر . وعدد الذين أسروا خمسين . اربعة منهم ضباط . آمر الحامية اليوزباشي عادل صادق ، واليوزباشي عبد العال ، واركان حرب الكتيبة ، وهو ايضا يوزباشي لم يحضرني اسمه ، وضابط آخر بنجمة واحــدة . جرح هؤلاء جروحا بالغة . وما كان في مقدورهم ان يتصلوا بالفالوجة . لان الطريق بينهم وبينها كانت واقعة تحت سيطرة اليهود . لا ، ولا كان باستطاعة الفالوجة ان تنجدهم ولو بنيران مدافعها ، لانها كانت في حاجة الى العتاد »

هذا ماقاله آمر الحامية نفسه . ويحدثك الخبراء المطلعون على حقائق الامور فيقولون ان الذي حدا بالنقراشي لمسالمة اليهود من بداية حرب النقب معرفته بقوة اليهود . اذ كان سفير مصر بفرنسا قد اخبره ان قوات يهودية كبيرة ، قدرها بعضهم باربعين الف مقاتلا ، اقلعت قبل بدء معارك النقب من شواطىء فرنسا في طريقها الى فلسطين ، قاصدة الاستيلاء على النقب . وكانت تلك القوة مؤلفة من فرق المقاومة اليهودية السرية التي كانت اثناء الحرب الكونية الثانية (١٩٣٩ ــ ١٩٤٣) تعمل خلف الخطوط الالمانية .

اذا لاصحة للقول القائل ان معركة النقب الاولى كانت مفاجئة للمصريين . وان كان القول بان معظم ضباطهم كانوا غائبين في اجازتهم بمصر ، مطابق للواقع .

والغريب في الامر ان طيارا مصريا ضرب ، ومعركة النقب قائمة في جنوب فلسطين احدى محطات السيارات اليهودية في شمال البلاد ، فقتل ٦٥ يهوديا . ولما نقلت شركات الانباء العالمية انباء تلك الغارة اصدر النقراشي ، بوصفه رئيس الوزراء ، امره الى سلاح الجو طالبا ألا تضرب الطائرات المصرية المدن اليهوديــة ، وان نكتفي بضرب القلاع

والحصون وما الى ذلك من الاهداف العسكرية ، لئلا يقال (؟) ان المصريين قوم متوحشون (؟) وهكذا كان . . .

لم ينج من حامية عراق سويدان ، وكان عدد رجالها مئة وخمسين ، سوى اربعة . واما الباقون فنهم من قتل ، ومنهم من اسر . ومن الاسرى ، عدا الذين ذكرناهم في السطور المتقدمة ، اليوزباشي صلاح قائد المركز . وهو الذي رفع العلم الابيض . فدخلها اليهود بقوات كبيرة ، تؤيدها سبع دبابات ثقيلة من طراز شيرمان . في كل دبابة مدفع من عيار ستة ارطال .

وفي اليوم نفسه (١٠ نوفمبر) سقطت بيت عفا .

وانسحب من استطاع ان ينسحب من سكان هاتين القريتين والقرى المجاورة لهما الى الفالوجة ، التي تمكن اليهود بعدئذ من تطويقها من جميع الجهات . وعرض اليهود على قائد القوات المصرية المحصورة في الفالوجة ، بعد ذلك ، ان يستسلم او يقبل هدنة بين الفريقين . ولكنه رفض كلا الامرين .

والغلطة الكبرى التي ارتكبها الجيش المصري في معارك النقب هـذه هي انه وزع قواته على مساحات واسعة بشكل مكن اليهود من خرق صفوفه . فتغلغلوا الى الجنوب الى ان وصلوا الى (رفح) . وجزأوا الجيش المصري ، فتركوا قسما من وحداته مطوقا في الفالوجة وبيت جبرين .

نكتفي بهذا القدر من المعلومات عن معارك النقب الاولى لنحدثك في فصول مستقلة عن ذيولها . ومـن اهم تلك الذيول سقوط (المجدل) و (بير السبع) وبقاء الفالوجة تحت الحصار ... يوما .

معارك بئر السبع

عندما اعلن الانكليز عن عزمهم على الانسحاب من فلسطين ، تكونت في بير السبع حامية للدفاع عنها . وكانت هذه مؤلفة من : آ) افراد البوليس الوطني والهجانة من ابناء هذا القطاع ... قطاع بئر السبع ... وكانوا عبارة عن ستين رجلا من بدو وحضر . عرفنـا منهم : عودة ابو رفيق (هجان) فرحـان ابو محفوظ (لاسلكي) . سعيد

ابو عويلي (هجان) . مصطفي الكردي (شرطي) . سالم الطلاع (لاسلكي) . صلاح الحضري (مشاة) . رزق الطلاع(هجان). جميل الوحيدي (شرطي): عبد الرحمن الفرنجي (لاسلكي) . الجاويش لطفي العكاوي (مشاة) . الجاويش عبد السلام العطاونـــة ، وسلمان العطاونة، و محمد العوضات ، وهلال عيد ، وخاله فوزي، الجاويش داود العضيلي

ب) مناضلين تنادوا للنضال من ابناء المدينة ، وكانوا عبارة عن مئة [١] . يقودهم رأفت سالم التركماني ، ومحمود الحاج حمد الخطيب ، ويوسف الشرفا ، واسحق بسيسو . ولقد درب هؤلاء على القتال مدة شهرين في مدرسة العريش العسكرية وعلى يد ضباط مصريين ، وكانت اسلحتهم عبارة عن بنادق انكليزية هي التي ابقـاها الانكليز بيـد البوليس والهجانة ، وبضع بنادق اعتيادية اشترتها اللجنة القومية من مختلف الأنواع . وبضع بنادق اخرى اشتراها الناس باموالهم ولم تكن هـــذه الاسلحة من الكم والكيف بحيث تدفع عادية كبيرة على البلاد .

وكانت هناك جبهة اسموها (جبهة الشباب) الفها قائمقام بيز السبع محمد عبد الهادي. وقـــد انضم اليها عدد من الشباب من سكان المدينـــة ، وآخرون من ابنـــاء البدو . عرفنا منهم : فريج ابو محفوظ (ترابين) جمعه بن جهامة (ترابين) . عودة ابو غادرة (ترابين) حمد الخطيب (المضاهرية) . شريف الحلبي (بير السبع) . عواد ابو عادرة (ترابين) . يوسف الوحيدي (ترابين) . محمد الطلاع (تياها) . ابن محمد ابو خليـــل (احوات) . مصطفى فريـــج ابو مدين (حناجرة) . ابراهيم ابو ستة (ترابـــين) . وكان هذا سكرتيرهم . واما قائد حركة النضال في بير السبع كلها فكان عبـــد الله ابو ستة [٢] (ترابين) . فقد تم ذلك بقرار من الهيئة العربية العليا في مصر . واتبع باللواء

---

١) كان المناضل يتناول راتباً شهرياً قدره اربعة جنيهات . واذا استشهد تناولت عائلته جنيهين في الشهر واما اذا اسر فتتناول اسرته جنيهين في الشهر

٢) ثرباني الاصل . ولد عام ١٩١٤ وتعلم في مدرسة البشرة بالمعين (ترابين) . ثم سافر الى القـــدس فدخل مدرسة (الروضة) . واتم فيها تعليمه الثانوي (ثاني ثانوي) واشترك في الثورة الفلسطينية عام١٩٣٦ وطاردته الحكومة بعد وقت الثورة ، ففر الى مصر . وعين بعض الوقت (١٩٣٧) في مصلحة المساحة . ثم استقال . والتحق بالثورة مرة اخرى عام ١٩٣٨ . ولما وقفت غادر البلاد الى مصر ، حيث قضى ثلاث سنوات . ولمانشبت القتال في فلسطين اثر قرار التقسيم (١٩٤٧) انضم الى المقاتلين ، وراح يعمل مـــع عبد القادر الحسيني في قوات الجهاد المقدس . فعينته الهيئة العربية العليا قائداً للمناضلين في قطاع بير السبع .

سليمان عبد الواحد سبل المصري الذي عينته الجامعة العربية قائداً عاماً للجبهة الجنوبية (بئر السبع وغزة [1] والخليل) ولكنه لم يلبث الاقليلا .

وراحت هذه تعمل خارج المدينة وتشن على المستعمرات اليهودية غارات متقطة من النوع المعروف بالغوريلا .

وتألفت في المدينة (لجنة قومية) راحت تشرف على شؤون النضال ، وبصورة خاصة شؤون الدفاع عن المدينة ، وكانت هذه مؤلفة من شفيق مشتها رئيس البلدية ومن اعضاء البلدية وعدد اخر من رجال المدينة نذكرمنهم : السادة حسين علي الشرفا ؛ بترو ترزي الحاج توفيق الشوا ، تاج الدين شعث ، علي شعث ، رشاد السقا عبد الله ابو ستة الحاج حسن الفرنجي سعيد بسيو . سعيد السراج . يوسف القيس .

وعملت اللجنة كل ما في وسعها لانجاح حركة النضال في المدينة وفي سائر انحاء القضاء. وانضم اليها عدد من الشباب المثقفين، نذكر منهم: جوادشحيبر [2] (مفتش المؤن) عبد الله الخطيب (مدير المدرسة) . علي العطاونة ، عبد الله ابو ستة . ابراهيم العصبي ، حمدي حرز الله ، هاشم الحاج توفيق الشوا ، محمد الشوا « محمد بالي . يونس شعث . محمد الرمادي ــ اسحاق نسيبو ــ كامل مشتها . وغيرهم كثيرين . وجاء بعد قليل خمسة من الالمان الخبيرين في صنع الاسلحة فانضموا الى المناضلين . وتكنى هولاء باسماء عربية .

وكان لدى المناضلين اربعة اجهزة لاسلكية واربعة عشر تلفوناً من تلفونات الميدان

بدرت اول بادرة للخلاف بين الكهول والشبان عندما تلقت اللجنة القومية في ١٥ آذار ١٩٤٨ كتاباً من مدير البوليس البريطاني وقد قال فيه ان اليهود يعرضون على العرب هدنة مدتها خمسة واربعون يوماً . وان هذا التكليف جاء في كتاب وقع عليه

---

١) اقرأ ما كتبناه عن هذا القائد في الفصل الذي خصصناه لمدينة (غزة) .

٢) يذكر السكان بالثناء والتقدير الخدمات الجلى التي اداها هذا الموظف لحركة النضال في بير السبع . اذ انه صرف من ماله الخاص مالا يقل عن اربعة آلاف جنيه وتمكن بوساطه عدد من الانكليز الذين عرفهم وعرفوه في ذلك القطاع من الحصول على مقدار لابأس به من السلاح والعتاد ، وكانت هناك سرية من المدرعات الانكليزية عهد اليها بأمين سير القوافل على طريق غزة ــ بير السبع :

مختار مستعمرة (بيت ايشل) ومختار مستعمرة (ريفافيم) في قطاعة مقبولة . مشترطين ان يسمح للعرب ولليهود بحصد مزروعاتهم . الا مزروعات العرب القريبة من المستعمرات فيحصدها اليهود ويسلمونها للبريطانيين ، فيسلمها هؤلاء لا صحابها العرب . فوافق عبد الرزاق قلسو وشفيق مشتها على هذه الشروط . ورفضها باقي اعضاء اللجنة .

ورغم الاختلاف الذي بدا بين الكهول والشباب من القائمين على شؤون الكفاح في بير السبع [1] فقد قامت اللجنة بجمع الاعانات من الاهلين ، كل حسب طاقته [2] فراحت تشتري بها السلاح [3] . ولما لم تجد منه في البلاد ما يكفيها – اذ كانت البلاد كلها في حاجة للسلاح – اوفدت سكرتيرها رشاد السقا مع السيد محمد الرمادي الى مصر وشرى هذا بمعرفته وبوساطة الهيئة العربية العليا عددا من البنادق ، ثبت بعد ، قليل ان معظمها غير صالح ، وانه ايطالي الصنع ، ليس له عتاد من نوعه . فاستنجد القوم عندئذ بالجيش العربي وارسلوا الى عمان وفداً قوامه ستة من اعضاء اللجنة القومية ، فارسل اليهم كلوب باشا الرئيس نزار المفلح مكلفا بتعيين خمسين شابا في الجيش العربي لقاء راتب معين على ان يكون مركزهم في المدينة . وارسل اليهم ايضاً بعد قليل جنديا درزيا برتبة نائب اسمه محمد علي [4] وكان هذا متعلماً ، فمرن الشبان الذين لم يتمرنوا على القتال في العريش ، وقد زود بخمسين بندقية من بنادق الجيش العربي .

ارتاب ابناء بير السبع من حركة الاردنيين فارسلوا من قبلهم رشاد السقا . فاستشار هذا المفتي الحاج امين . وبعد مخابرات مع المصرين ارسل هؤلاء الى بير السبع عدداً من الاخوان المسلمين بقيادة احمد عبد العزيز وقد ذكرنا هم في غير هذا المكان . وكان الاردنيون قد رحلوا قبل وصولهم .

---

١) كايقود الشباب ويحرضهم على الكهول محمد عبد الهادي قائمقام القضاء ، واما رئيسه عبد الرزاق قليبوا وكان يومئذ مساعداً لحاكم اللواء فكان يؤيد الكهول

٢) قيل انها جمعت مبلغا يقرب من عشرة الاف جنيه وان هذا المبلغ حصلته اللجنة من الاهلين كضريبة فرضتها على المؤن ووسائل النقل . وتبرعت البلدية باربعة الاف جنيه صرفت في سبيل تحصين المدينة .

٣) بلغ ثمن البندقية الانكليزية مئة جنيه والبرن مئتين وخمسين وفي بعض الحالات ٣٥٠ جنيها ، ومشط الفشك بخمسة وثلاثين قرشاً وفي بعض الحالات نصف جنيه :

٤) انسحب هذا من بير السبع عند دخول الجيش المصري ، وقتل في معارك باب الواد :

وبهـذا تقوت معنويات الاهلين والمناضلين الـذين ما كانوا يملكون من السلاح ولا كانوا يعرفون عن طرق النضال الا النذر اليسير واليك ملخص الحوادث التي حدثت بين المناضلين واليهود في قطاع بير السبع قبل انسحاب البريطانيين في ذلك القطاع :

١) ادعى العرب من رجال البوليس الفلسطني المقيمين في العوجا ـ حضر ان اسلحتهم سرقت من لـدن مجهولين ، فسلموها الى رفاقهم من المناضلين ؛ وعددها ١٢ بندقية انكلبزية وخمسة صناديق من العتاد فسلمتهم الحكومة اسلحة مثلها . كان هذا من شهر كانون الأول (ديسمبر) ١٩٤٧ .

٢) . هاجم المناضلون قافلة يهودية تتقدمها مصفحة بقصد الحراسة . هاجموهـا عند بير السبع وهي في طريقها الى بيت ايشل (السر) من الجمامة . ولما لم يتمكنوا من منعها ، حاصروا المستعمرة نفسها . ودام حصارهم لهـا عشرين يومـاً . الى ان نقلوا بالطائرة . ونهب المناضلون بعد بضعة ايام مصفحة يهودية كانت آتيـة من عصلوج . وكان ذلك في شهر ديسمبر ايضاً .

٣) وفي الشهر نفسه تصدى جماعة من العرضات وادى عشية لاحـد عشر يهوديـاً كانوا قادمين من الجمامة الى المويلح . تصدوا لهم عند خربة ابن عيشة ؛ فقتلوهم عن بكرة ابيهم ، ونهبوا اسلحتهم وكانت هذه عبارة عن سبع بنادق واربعة ستنات .

٤) . واشتبك المناضلون مع اليهود المقيمين في مستعمرة (سدى عقيفاً) المعروفة بـ wireless الواقعة على طريق بير السبع ـ غزة ، في قتال بقصد فتح الطريق المذكورة ، الا انهم لم يفلحوا . وظلت الطريق صعبة الاجتياز . والذين اشتركوا في هذه المعركة من المناضلين العرب هم عبـد الله ابو ستة وابراهيم ابو ستـة وعمر وابو ستة وفرح عودة الغبيد وخمسة آخرون معهم الالمان الخمسة الخبيرون الذين جاءوا من مصر لتـدريب المناصلين في صنع الالغام وكان منهم ايضاً الدكتور طاهر الخطيب واليوز باشي المصري عبـد المنعم النجار . وكان هذا قد أرسل من لدن الجيش المصري للاستطـلاع . واصيب عبد الله ابو ستة في هذه المعركة بجرح في عظم الترقوة الايمـن . كمـا جرح ابراهيم ابو ستة . واحد الالمان الخمسة .

٥) جرت محاولات كثيرة تمكن المناضلون خلالها من تدمير انا بيب الماء التي تصل بين بيت حانون والمستعمرات اليهودية القائمـة في قطاع بير السبع . كان ذلك في شهر

ديسمبر ١٩٤٧ . ولما حاول اليهود تفجير هذه الأنابيب في ٢ ينـــاير ١٩٤٨ قاومهم المناضلون . وجرت بين الفريقين معركة حامية ، قلعت فيها عين المنياوي . فعـاد الى مصر .

٦) اشتبك خمسة من المناضلين من ابناء البدو (عبد الله ابو ستة . شطى الصوفي . عمروابوستة حماد الصوفي . كريم ابوستة) مع قافلة من السيارات اليهودية شرقي العمارة في قتال في اواخر شهر شباط (فبراير) ١٩٤٨ ، وكان الوقت ظهراً ، وكان مـع المناضلين برن واحد واربع بنادق . ودام القتال الى أن جاء الجنود البريطانيون وفصلوا بين الفريقين . واذاع راديو القدس في المساء ان عدد القتلى من اليهود سبعة وعشرون ، وقتل من العرب يومئذ الشيخ حسن ابو عمرة شيخ عشيرة ابن عمرة (ترابين) ومنصور ابو شباب .

٧) في اوائل شهر نيسان ١٩٤٨ نقلت الحكومة جميع سجلات الاراضي والاملاك من بير السبع الى غزة .

٨) في اوائل شهر نيسان ١٩٤٨ عبر ثمانية من اليهود المسلحين اراضي الترابين ، ولما وصلوا الى (الدمات) موضع ميلين عن مركز بوليس العمارة اربعـة كيلو مترات وهو منه الى الشمال ـ فقتلوا بدوياً يدعي (عودة ابو شباب)فلحق بهم جماعة من الترابين تقصد الأنتقام . والتقوا بهم عند وادي الشريعة فقتلـوا خمسة منهم . وتمكن الثلاثـة البـاقون من الهرب . ولكن هؤلاء الهاربين ماكادوا يصلون الى الموضع المعروف بـ (تل المقري) حتى لاقوا حتفهم على يد شطى ابن جدوع الصوفي وعدد من المحـاربين من عشيرة الوحيدات وحسنات ابي معيلق .

٩) وفي اواخر الشهر نفسه (نيسان ١٩٤٨) ذبح عرب الشعوث(ترابين) ستة من اليهود المسلحين ، خمسة شباب وفتاة ، قتلوهم في موضع يقال له (الرابية) .

١٠) في ٨ ايار ١٩٤٨ هاجم اليهود مضارب عشيرة ابن ستة (ترابين) في المعين واعادوا الكرة في ١٠ و١٢ ولكن المنـاضلين ردوهم على اعقابهم . وفي ١٤ ايار قام اليهود بهجوم كبير اشترك فيه اثنان وعشرون من مصفحاتهم . فنسفوا منـازل الشيخ حسين ابوستة ، وبيارته ، وماكنـة الطحين . ومع ذلك فقـد تمكن رجال العشيرة

بمساعدة الأخوان المسلمين والمناضلين من خان يونس من صدهم ـ ولم يغادر العربان منازلهم في المعين الا في ٢٢/ ١٢/ ٤٨ .

وهكذا كان الوضع في المدينة في آخر يوم من عهد الأنتداب .

ويؤكد المطلعون انه كان بيد للمناضلين من حماة المدينة ، عندما غادرها البريطانيون في اليوم الرابع عشر من شهر ايار سنة ١٩٤٨ ، حوالي مئتي قطعة سلاح (بنادق اعتيادية) ومدفعين صغيرين من مدافع الهاون وخمس رشاشات من طراز برن ثمانية مدافع من المقاومة للدبابات واربعة مدافع قوسية (مورتر) اثنان من عيار بوصتين وآخران من عيار ثلاث بوصات . وبطارية الغام حديثة . وزهاء مليون من الطلقات (الانكليزية والألمانية والايطالية) اخذ منها الجيش المصري عند مجيئه بير السبع اربعمائة الف طلقة .

وقد غادرها الجيش البريطاني في ١٤ ايار سنة ١٩٤٨ . وفي ذلك اليوم تم ـ في حفل مهيب ـ انزال العلم البريطاني ورفع مكانه العلم العربي . وحضر الحفلة عرب وبريطانيون والذي رفع العلم على سارية الحكومة هو شفيق مشتها ـ رئيس البلدية .

وبينما كان البريطانيون ينسحبون من قطاع بئر السبع كان اليهود يبسطون سيطرتهم في البقاع الممتده بينها (اي بير السبع) وبين المدن المجاورة لها من الغرب (خان يونس) والشمال الغربي (غزة) والجنوب (العوجا) وكانوا قد استولوا على الطرق التي تربطها بالمدن المتقدم ذكرها . اما طريق بير السبع ـ غزة فقد استولوا عليها فور انسحاب الجيش البريطاني من ذلك القطاع . واحتل اليهود (العمارة) في ١٠ ايار وتصدوا لسيارة عربية كبيرة كانت آتية من خان يونس ، في ١٥ أيار ، تحمل خضارا فقتلوا تسعة من ركابها : ثلاثة من عرب الشعوث واربعة من الجراوين واثنان من خان يونس .

وكذلك قل عن الطريق الواقعة بين بير السبع وعصلوج ، فقد سيطروا عليها فور انسحاب الانكليز من هناك . . . حتى انهم كمنوا لسيارة شحن عربية آتية من العوجا فحرقوها ، وقتلوا ٢٥؟ عربيا من ركابها . سبعة منهم من سكان المدينة (بير السبع) وثلاثة من الخليل وامرأتان والباقون من البدو . وفي اليوم التالي (١٩ أيار) قتل اليهود ثمانية اشخاص اخرين كلهم من البدو . قتلوهم بين الخلصة وبير السبع .

وكان قد هبط المدينة ، قبل ذلك بيومين (١٧ أيار) ، حوالي ثمانين مقاتـلا من الاخوان المسلمين المصريين . وفي قول أن هؤلاء المتطوعين كانوا زهاء مئتين وخمسين ، وكانوا خليطا من المصريين والليبيين منهم عدد من الجامعيين . اثنا عشر منهم ضباط جاء هؤلاء اليها من ناحية خان يونس ، ، ودخلوها ليلا . وضربوا ، وهم في طريقهم اليها ، المستعمرة اليهودية التي كانت في قطاع (العمارة) . ولما دخلوا المدينة ، في ١٧أيار نزلوا في مدرسة بير السبع و كان يقودهم يومئذ احمد عبد العزيز . وفي ١٨ / ٥ تمركزت المدافع المصرية على الطريق العام التي تربط بئرالسبع بالخليل، على مقربة من (الكرانتينا). وكان هناك عند مركز الجمرك على طريق عصلوج (بيك أب) مسلح بمدفع من عيار ٢ رطـل بقيادة ملازم ثان مصري . وكان فيه القائمقام محمد عبد الهادي . والمسافـة بين القوتين لاتزيـد عن ٥ كيلومترات ورابط المشاة من الاخوان المسلمين المصريين ومن معهم من ابناء المدينة المناضلين في خط يقع على حافة (وادي السبع) عند الطريق التي كان يمر منهـا الخط الحديدي التركي القديم . وفي يوم الجمعة الموافـق ٢٣ أيارصدر الأمر من احمد عبد العزيز بالتقدم صوب مستعمرة بيت ايشل . وراحت المدافع المصرية وعددها اثنـان ، تضرب المستعمرة ، حتى لقد اصابت برجها وبعض مبانيهـا التي احترقت . واستمر الضرب زهاء ساعة توقف بعدها . وعلم ان احمد عبد العزيز ما كان ينوي الزحف نحو المستعمرة ، وأن اراد ان يضربها مهدداً . هـذا رغم ان المناضلين وصلوا في زحفهم الى السلك الشائك الذي يحيط بالمستعمرة .

وفيما كان المصريون يقصفون المستعمرة بنيران مدافعهم اصيب اليوزباشي المصري (انور محمد الصبحي) برصاصة يهوديـة انطلقت من تلك المستعمرة ، (بيت ايشل) اصيب وهو يطلق نار مدافعه على المستعمرة . اصابتـه في جبهته فاخترقت الجمجمة . وخر صريعا . عندئذ انسحب الأخوان المسلمون من الخط الواقـع على حافـة وادي السبع الى المدرسة . وهنا قال احمد عبد العزيز انه انتهى من مهمته في بئر السبع وانـه مسافر مع قواته الى الخليل فالقدس .

ولكنة عاد فنزل عند رجاء الأهلين ، وابقى في بئر السبع حامية صغيرة من الاخوان بقيادة الملازم احمد عبده وترك معه مدفعاً واحداً من عيار رطلين . وكانت هذه الحامية

ضعيفة للغاية . ولم تكن مجهزة بكل ما يحتاج اليه القتال من ادوات . حتى ان السيد جواد شحير وضع تحت تصرف قائدها احمد عبده سيارته وآلته اللاسلكية .

اقام المصريون فى بئر السبع ، عندما هبطوها ، ادارتين : احدهما مدنية ، والاخرى عسكرية . ودامت هاتان الادارتان زهاء خمسة شهور . وراح القطاع يدار من الناحية المدنية ، من لدن حاكم عسكري هو الرئيس (محمد حلمي جمعة) وكان هـذا اول حاكم تولى شؤون ذلك القطاع باسم المصريين بعد انسحاب البريطانيين . وكان يستعين على تمشية الامور باثنين من كبار الموظفين الفلسطينيين كانوا هناك من عهد الانتداب هما : عبد الرزاق قليبو (مساعد الحاكم) ومحمد عبد الهادي (القائمقام) .

حدثني اثنان من كبار المناضلين في بير السبع (عبد الله ابوستة ورشاد السقا) ان احمد عبد العزيز رفض ، عندما هبط مدينة بير السبع ، ان يتعاون مع الفلسطينيين او أن يقبلهم في صفوفه ليقاتلوا مع الأخوان المسلمين المصريين ، قائلاً انهم (اي الفلسطينيين) لايحسنون (؟) القتال . وكذلك فعل المواوي قائد الجيش النظامي المصري عندما دخل فلسطين في ١٥ أيار ، وقابله عند الحدود (الشيخ زويد) الشيخ عبد الله ابو ستة ، فعرض عليه نفسه ومئة من المناضلين الذين كانوا يعملون تحت قيادته. فرفضهم المواوي ورفض الافادة من اسلحتهم . لا ، بل ورفض استخدامهم ادلة يرشدونه الى مداخل البلاد ومعابرها ! . .

ليس هذا فحسب . فقد صادر المصريون اسلحة المناضلين من ابناء بير السبع . واليك بيان ما اخذوه يومئذ منهم .

٢ هوشكس ٥ برن ٦ مدافع مضادة للدبابات ٦ صناديق ت . ن . ت .

٤٠ بندقية ٤٠٠ قنبلة يدوية (ايطالية) . ٣ صناديق ديناميت .

١٤ آلة تلفون ميدان ٤ ماكنات لاسلكي ٤ مسدسات اشارة .

٥٠ لغماً كهربائياً ٢٠٠٠ كيس رمل ٥ مسدسات ومقادير كبيرة من العتاد والقنابل المضيئة .

ومكث الجنود المصريون الذين هبطوا المدينة اسبوعاً كاملا لايكلمون احداً من ابناء بير السبع . لا ، ولم يخالطوهم . ولم يستشيروا احداً منهم : لا من المدنيين ، ولامن المناضلين ؛ حتى ولامن اعضاء اللجنة القومية . اتاهم بدوي ليخبرهم عن احتشاد اليهود في احد المواضع القريبة من المدينة ، فاتهموه بالغدر والتجسس ، واعتقلوه .

ولما جرح الحاكم العسكري المصري (محمد جمعة) نقلوه الى مستشفى بيت لحم . حيث قضى نحبه ، ودفن على مقربة من قبة راحيل . وكان ذلك قبل سقوط بئر السبع بخمسة ايام . واقاموا في بئر السبع بدلا منه حاكما عسكريا آخر هو الرئيس (شاكر ابو السبع) وعهدوا بحماية المدينة إلى البكباشي (ابراهيم شهيب) . ولكن التدابير التي اتخذت يومئذ للدفاع عن المدينة كانت هزيلة للغاية . والاغرب من هذا ان القائد العام للقوات المصرية (المواوي) سحب من المدينة خيرة جنوده[1] ومعظم الاسلحة التي كانت هناك[2] . ولما ابدى آمر الحامية اسفه ، اعتذر المواوي بقوله انه مضطر لهذا العمل بسبب اشتداد المعارك في الناحية الاخرى من الجبهة .

ولم يبق في المدينة سوى مدفعين من عيار ستة ارطال ، ومدفع واحد من عيار ثلاث بوصات وبعض المدافع الصغيرة من عيار بوصتين . والانكى من هذا ان هذه المدافع نصبت بعضها عند المحطة الى الشمال من المدينة ، والبعض الاخر في الحرج الكائن بين المدرسة والمقبرة العسكرية الى الغرب من المدينة . ولم تنصب على التلال المرتفعة المحيطة بها ، ولا حفرت على التلال خطوط للدفاع . وانما حفرت خطوط في نقاط ملاصقة للعمران . واقيم على هذه الخطوط اسلاك شائكة . وفتحت ثغرتان لدخول الناس وخروجهم : واحدة على طريق الخليل ، والأخرى على طريق غزة .

يبدو ان هذه التدابير اتخذت بالأضافة الى التدابير المماثلة التي كان المناضلون المحليون قبل وصول المصرين ، قد اتخذوها : يوم حفروا الخنادق حول المدينة ، ونصبوا الاسلاك الشائكة على ثلاثة خطوط ، وبثوا الالغام ، وأنشأوا الأستحكامات (الدشم) ٢٦ دشمة بالاسمنت المسلح ، وبنوا حول المدينة ستة ابراج ، وفتحوا ثلاثة معابر لدخول المدينة والخروج منها : واحد باتجاه غزة ، وثان باتجاه الخليل ، وثالث باتجاه عصلوج .

ولقد كلفهتم هذه التدابير الفي جنيه ، هي التي كانت لجنة المعارف المحلية قد جمعتها لفتح بستان للا طفال في عهد الانتداب .

---

١) قيل ان حامية بئر السبع كانت يومئذ قد نافت على الاربعمئة . وانه سحب منها ر مئتين وخمسين مقاتلا ، ارسل مئتين منهم الى الخليل والقطاع الجنوبي في القدس بقيادة (سيف اليزل خليفة) وخمسين الى الفالوجة .

٢) من الاسلحة التي اخذها ، خمسين ماكنة تعرف بفيكرز ، وكانت هناك منها عشرة .

ليس هذا فحسب ، فان ذلك القطاع المترامي الاطراف والذي تزيد مساحته على نصف مساحة فلسطين كان خالياً من وسائل الدفاع . يعيش فيه عربان متجولون ، يسودهم الفقر والجهل ، وقد فقدوا في فترة الاحتلال البريطاني ـ الشيء الكثير من مميزاتهم البدوية ، كالفروسية والكرم واصابة الهدف . فلا خيل عندهم ، ولا مال ولاسلاح . وكانوا محاطين بعدد من المستعمرات اليهودية ، كروخاما في الجمامة . والدفقور على مقربة من رفح ، وبيت ايشل الى الشرق من بئر السبع وغيرها من المستعمرات [1] .

وكانت هذه المستعمرات رابضة في مواضع استراتيجية هامة ، بشكل يعرقل سير القوافل العربية . كالمستعمرة القائمة على الطريق بين غزة وبير السبع : (بيروت اسحق) والتي حالت دون اتصال سكان هاتين المدينتين . وقد سدت تلك الطريق فور انسحاب البريطانيين من البلاد [2] . (١٤ أيار سنة ١٩٤٨) . وامتنع العرب عن اجتيازها بعد ذلك التاريخ .

راح الناس ، بعد امتناع طريق بير السبع ـ غزة ، يسلكون طريقاً اطول هي التي تمر من بير السبع ـ عصلوج ـ العوجا ـ رفح ـ خان يونس ـ دير البلح ـ غزة . وطول هذه الطريق لايقل عن مئتي كيلومتراً .

وبعد ان احتل اليهود عصلوجاً ـ كما ذكرنا ذلك في غير هذا المكان ـ انقطع الاتصال بين غزة وبير السبع وراح سكان هاتين المدينتين يتصلون عن طريق بير السبع ـ الخليل ـ بيت جبرين ـ الفالوجة ـ المجدل ـ غزة .

وامل الناس ان يحتل الجيش المصري هذه المستعمرات وينسفها نسفا ، عندما اجتاز الحدود في اليوم الخامس عشر من شهر ايار . ولكن شيئاً من هذا لم يقع . اذ انه اكتفي بضربها من بعيد . وتركها خلف الخطوط ، بينما راح يزحف الى الامام . وكانت هذه غلطة عسكرية كبرى . لم يدرك المسؤولون فداحتها الا بعد حين .

---

١) اكد لي بعض المطلعين انه كان لليهود عند انتهاء الانتداب ست وثلاثون مستعمرة . ولم يكن هناك ، في عام ١٩٣٨ ، سوى مستعمرة واحدة هي روخاما (الجمامة)

٢) انسحب الجيش البريطاني من هناك عن طريق سينا وقنال السويس .

قلنا في غير هذا الموضع ان معارك النقب الاولى بدأت في ١٤ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ ، يوم شن اليهود هجوماً على اسدود والمجدل فاحتلوهما . ومضوا في زحفهم تاركين وراءهم الفالوجة بعد أن ضربوا نطاقاً حولها «١» . فاحتلوا عراق سويدان وبربرة والقرى الكائنة في ذلك القطاع بين الفالوجة وغزة . وعندما وصلوا الى دير اسنيد ، وقفوا على ابواب غزة يبغون احتلالها .

وان مجلس الامن ، عندما وصلته هذه الاخبار وتلقى تقرير الكونت رالف بانش القائم باعمال الوساطة والقائل بان اليهود هم البادئون ، اصدر أمره بوقف القتال وطلب الى الفريقين المتحاربين (المصريين واليهود) أن يسحبا قواتهما الى حيث كانت في الساعة الثانية من بعد ظهر اليوم الرابع عشر من شهر تشرين الاول . وأناب مجلس الامن عنه الدكتور رالف بانش كي ينفذ هذا القرار . فضرب هذا الساعة الثانية من بعد ظهر الجمعة الموافق ٢٢ تشرين الاول موعداً لتنفيذ القرار ووقف القتال . ورغم ان كلا الفريقين قالا في جوابها انه اصدر الاوامر اللازمة لجيشه بالانسحاب . فقد قام اليهود غداة اليوم الذي صدر فيه القرار بهجوم عنيف على بئر السبع ، فاحتلوها (٢٢ تشرين الاول سنة ١٩٤٨) وسنحدثك في السطور التالية كيف احتلوها ؟

في ١٨ تشرين الاول سنة ١٩٤٨ بدأ اليهود هجومهم على بئر السبع ، بعد ان شنوا عليها حرب اعصاب . فراحوا يمطرون سكانها بالمناشير تلقيها عليهم طائراتهم .

قال اليهود في منشوراتهم هذه ان طائراتهم ستقذف المدينة من الجو وان غاراتهم هذه ستتكرر سبع مرار في تلك الليلة . وسقطت هذه المنشورات رزمة واحدة في وادي السبع عند جسر السكة الحديدية القديمة . فالتقطها رجال السلطة ومزقوها قبل ان تصل الى ايدي السكان ، ولم يعرف السكان بالامر الا عندما بدأت الغارة الاولى في تمام الساعة الثانية من مساء ذلك اليوم (١٩٤٨/١٠/١٨) . فالقى اليهود على المدينة عشرين قنبلة . ولسوء حظ المدينة انه لم يكن فيها يومئذ مدافع مضادة للطائرات . لا ولا كان فيها ملاجيء لايواء النساء والاطفال .

وراحت الطائرات المقاتلة تقذفها من الجو قذفاً شديداً . وكانت تلك الطائرات تقذف حممها في الوقت نفسه ، على غزة والفالوجة وبيت جبرين وما بين هذه المدن من قرى .

«١» رفض السيد طه الامر الذي اصدره المواوي بالانسحاب من الفالوجة قبل حصارها التوجه الى بير السبع ولو انسحب اليها لما سقطت هذه .

واما القائد المسؤول عن الحامية فقد كان يومئذ الصاغ ابراهيم شهيب . وراح آمر الحامية يلح في طلب السلاح من القيادة المصرية العامة (المواوي في المجدل) وبدلا من ان تعطيه هذه ما يطلب امرته ان يرسل اليها المدافع الثمانية التي كانت لديه من طراز فيكرز ، كما امرته أن يرسل اليها اربعة من المدافع الستة التي كانت لديه من عيار ستة ارطال . ولم يبق في المدينة سوى مدفعين من هذا العيار وبنادق اعتيادية هي التي كانت بيد المشاة ، وبضعة برنات .

قدر عدد اليهود الذين هاجموا بئر السبع يومئذ بخمسة آلاف مقاتل . وكانوا مزودين بالمصفحات والمدافع الثقيلة وراجمات الالغام . وكانت اسلحتهم متنوعة بين روسية وفرنسية . وكان معظم المقاتلين من يهود فرنسا [١] وكان يقودهم جنرال من يهود المانيا اسمه شنتهايم [٢] . يساعده عدد من اليهود المدربين على القتال من ابناء البلاد نذكر منهم موشه دايان [٣] ومخائيل نقبى (٤) وغيرهما كثيرين . وكان اليهود قد مهدوا لهجومهم هذا بغارات جوية دامت خمس ليال . وكانت طائراتهم تهاجم المدينة من مطار انشأوه فوق ارض واقعة بين خربة (زبالة) من اراضي عشيرة الهزيل وخربة (ام وبكل) من اراضي عرب البدينات على بعد عشرة اميال من بئر السبع .

قذف اليهود من الجو في الليلة الاولى (٢٠/٢١ـ١٠/٤٨) ثماني قذائف ، فتهدم من جراء ذلك عشرة منازل ، وقتل سبعة اشخاص . وكانت الساعة قد دقت الثامنة من مساء ذلك اليوم (العشرين من شهر تشرين الاول) .

وقبل ان يزحف المشاة كانت المدافع اليهودية (الهاون والمورتر) تقصف المدينة بشدة . وكان هذا (أي قصف المدينة بالمدافع) عبارة عن تمهيد لزحف المشاة . وقابلهم المصريون بنيران مدافعهم التي نصبوها على مقربة من محطة السكة الحديدية التركية (٥) .

ولم يكتف اليهود بهذا . بل راحوا يقصفون المدينة براجمات الالغام التي نصبوها على طريق العمارة ، وعلى تل (ام صميدع) الى الجنوب الغربي من المدينة . وراح المشاة يزحفون صوب المدينة .

«١» اقرأ ما كتبناه في هذا الصدد عند ذكرنا لمعارك النقب الاولى .

«٢» قتل هذا الجنرال في المعركة نفسها .

«٣» رقي هذا بعد وقف القتال فأصبح رئيساً لاركان الجيش الاسرائيلي .

«٤» كان هذا في اواخر عهد الانتداب مختاراً لمستعمرة نقبا اليهودية من اعمال غزة .

«٥» كان للمصريين فوق تل مرتفع ما بين بئر السبع وعصلوج حامية من المصريين النظاميين ولكنهما لم تنفع في صد اليهود عن بئر السبع

وكانوا عند البدء عبارة عن الف مقاتل ثم تبعهم كثيرون ، جاءوا في عدد كبير من من السيارات الميكانيكية من طراز (جيب)[1] بعضها اعد لحمل الجنود، والبعض الآخر كان مصفحاً . في كل منها برج للمراقبة ، ومدفع من طراز برن . وفي بعضها مدافع مقاومة للطائرات . وكانت الساعة قد دقت العاشرة والدقيقة الثلاثين .

ولكن الهجوم من هذه الناحية صُد بسهولة . وثبت بعد قليل انه كان هجوما مصطنعاً القصد منه التضليل . اذ ما كادت راجمات الالغام هنا تسكت،حتى بدأ الهجوم الحقيقي من النواحي الاخرى ولا سيما من الشمال والشمال الغربي حيث المطار وضربة الشرباص . وعبثاً حاولت حامية المدينة الاستنجاد بالقيادة المصرية . فلم تأتها اية نجدة . هذا رغم البرقيات التي تلقاها آمر الحامية من المواوي بالمجدل،ومن سيف اليزل بالخليل بان النجدة آتية ، والطائرات المصرية قادمة .

والغريب في الامر انه وصلت المدينة في عصر ذلك اليوم (١٩٤٨/١٠/٢٠) قوة مصرية عن طريق عصلوج . ففرح بها سكان بئر السبع ، كما فرح المناضلون . وظنوها قوة آتية للنجدة . ولكنهم ما عتموا ان استولى عليهم اليأس ، عندما رأوها تغادر المدينة في طريقها الى الخليل . وكانت فور وصولها بئر السبع تلقت من القيادة المصرية بالمجدل امراً بمغادرة بئر السبع الى الخليل .

فدب الرعب في قلوب الاهلين . وأرادوا ترحيل نساءهم واطفالهم . الا ان المصريين لم يسمحوا لهم بذلك . وفيما كان الناس في حيرة من امرهم كان اليهود يتابعون قصف المدينة من البر والجو . واشتد القصف بعد قليل . فاصيب عدد غير قليل من الجنود والسكان. وانتشرت الفوضى في المدينة . فراح الناس ، شيوخاً ونساء واطفالاً ، يرحلون.

وفي قول ان اليهود القوا في تلك الليلة ٢٥٧ قنبلة كان اعنفها القنابل السبع الاخيرة.
وراح اليهود بعدئذ يزحفون صوب المدينة الساعة الواحدة والدقيقة الثلاثين من بعد نصف الليل (٢٠ــ٤٨/١٠/٢١) : فريق منهم جاء من ناحية الفالوجة ، وآخرون من طريق غزة . تدعمهم المصفحات ، وقد قدرها بعضهم بمئة . ولقد احاطوا بالمدينة من ثلاث جهات : من الشمال والجنوب والغرب . وجاء بعد منتصف الليل بقليل ،عدد من المصفحات اليهودية من مستعمرات بيت ايشل (السر) ومن وادي الحمام الى الشرق من المدينة . فاكتمل الحصار . واصبحت بئر السبع محاطة بالاعداء من اربع جهات .

«١» استطاع الاستاذ عبد الله الخطيب مدير المدرسة ان يحصي منها مالا يقل عن مئة سيارة .

وبلغ عدد اليهود ثلاثة آلاف ولم يكن فيها يومئذ سوى ٢١٦ مقاتلا من العرب : ١١٦ منهم مصريون و١٠٠ مناضلون فلسطينيون .

وان بالغ بعضهم فقال انه كان فيه يومئذ الف مقاتل : ثمانمئة جنود نظاميون (مصريون) ومئتان مناضلون فلسطينيون ! .. والحقيقة انهم ما كانوا يزيدوا على المئتين الا قليلا .

اما الجنود النظاميون من المصريين فكانوا من الناحية الغربية ، وأما المتطوعون من المصريين والليبيين فكانوا في شرق المدينة وشمالها على طريق الخليل ، واما المناضلون الفلسطينيون فكانوا في شمال المدينة وجنوبها . وانه وان كان هناك بعض المدافع المصرية (اربعة) منصوبة في الحرج الكائن بين المدرسة والمقترة على طريق غزة ؛ الا انه لم يكن بين هذه المدافع ، ولو مدفع واحد من النوع الذي يستعمل لمقاومة الطائرات .

ولقد دام تبادل النيران الليل بأكمله . واطلق اليهود بضع طلقات من مدفع نصبوه في بيت ايشل . فظن المصريون ان اليهود يبتغون الزحف من تلك الناحية ، وان لهم فيها مدافع كثيرة . فراحوا يصوبون نيران مدافعهم بالاكثر على تلك الناحية . بينما كان اليهود يزحفون صوب المدينة من النواحي الاخرى .

في الساعة الثانية صباحاً (٤٨/١٠/٢١) تقدمت دبابة يهودية من طراز شيرمان من ناحية خربة الشرباص ، كما تقدم عدد كبير من المصفحات من طريق الخليل . فدخلوا — اول ما دخلوا — سوق الحيوانات . ثم احتلوا مقبرة المدينة . ثم المستشفى . وكانت الساعة قد دقت الرابعة والنصف . وما كاد الفجر يبزغ حتى كان اليهود قد احتلوا النصف الشمالي للمدينة . يفصل بينهم وبين المصريين المرابطين في النصف الجنوبي الشارع العام . وفي تمام الساعة السادسة والنصف احتلوا مدرسة الاناث والمسجد .

ونصبوا في ساحة المسجد مدفعاً من مدافع الميدان . واستعاد اليهود من المدافع المصرية ، فاستعملوها لاخضاع ما تبقى من المدينة وراحوا يقاتلون بقية الحامية التي تحصنت في مركز البوليس (تيجارت) . وثبتت حامية هذا المركز . فراحت تقاتل اليهود قتالا عنيفاً ، وكانت مؤلفة من ثلاثة وخمسين مقاتلا : — بعضهم مصريون وسودانيون ، والبعض الآخر من رجال البوليس الفلسطيني ، وبينهم احد عشر مناضلا ينتمون الى فرق الجهاد المقدس . وكان هؤلاء قبل ثلاثة ايام — سُجنوا هناك بامر من

المصريين الذين ارتابوا في امرهم ، فسجنوهم . ولما جد الجد . وجاء اليهود اشتركوا في القتال . وأبلو فيه بلاء حسنا .

ظلت حاميه المدينة ، التي انكمشت في مركز البوليس كما قدمنا ، تقاتل الاعداء حتى نفد كل ما كان لديها من ذخيرة . وعبثاً حاولت حامية المدينة اقناع القيادة العامة في انجادها . ذلك لان القيادة كانت يومئذ مشغولة بتثبيت اقدامها في غزة . وكان الجيش قد انسحب اليها (اي الى غزة) بعد ان تخلى عن قطاعي المجدل والفالوجة . وكان اليهود يشاغلون المصريين المرابطين فيها بغارات وهمية : تارة من البحر وطوراً من الجو ، الامر الذي جعل هؤلاء يظنون انهم سيُهاجمون . ولهذا لم يستطيعوا انجاد بئر السبع بجندي واحد .

انذر اليهود رجال الحاميـــة العربية الذين تحصنوا في مركز البوليس كي يستسلموا ، وامهلوهم ربع ساعة ، ولقد ارسلوا انذارهم الخطي مع عربي اعتقلوه في المستشفى يدعى (يحيى بسيسو) وهو ممرض . فام هذا المركز حامـــلا علماً ابيض . واختلف رجال الحامية في الامر . فمنهم من اراد ان ينصاع للانذار . ومنهم من رفض . والذين رفضوا انقسموا الى شطرين . شطر فر من العمارة ، وشطر آثر الصمود فيها والمقاومة حتى النفس الاخير . والذين فروا (زهاء مئة شخص) تعرضوا لنيران اليهود من مدرسة الاناث . فقتل منهم ثلاثون . بعضهم مصريون والبعض الآخر فلسطينيون ونجا الآخرون ومن الناجين آمر الحامية ابراهيم شهيب و١٣ من جنوده . ولما انتهى الوقت المحدد في الانذار ولم يأت الجواب قصف اليهود البرج بمدفعهم الذين نصبوه في ساحة المسجد . فهدم البرج واصابت قنبلة خزان الماء ، فانفجر وجرت المياه المتدفقة المدافعين . فسقطوا الى اسفل العمارة . وبهذا انهارت قوة الدفاع ، فرفع المصريون العلم الابيض ، وفتحوا باب العمارة . فجاء اليهود واحتلوها . وكانت الساعة قد دقت الثامنة والدقيقـــة الخامسة والاربعين (٢١ تشرين الاول ١٩٤٨) .

ويؤكد محمد عبد الهادي ان حامية المدينة ارسلت الى القيادة العامة ٨٥ برقية لم تتلق جوابا الا على الاخيرة منها . وقد قال المواوي :

« الخط كله مشغول . والضرب في كل مكان : لا يمكن ارسال نجدة » وختم المواوي برقيته بقوله :

« ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً ، بل احياء عند ربهم يرزقون . »
وهكذا لم يكن بد من التسليم . فسقطت بئر السبع بيد الاعداء . .

لا نعرف بالضبط كم عدد الذين نالوا الشهادة في معارك بئر السبع ، لا من المناضلين ولا من الاهلين . وان كنا سمعنا ، من صديق شهد الواقعة بنفسه يوم الاحتلال ، ان عدد الشهداء اربعون وان اليهود قتلوا في ناحية واحدة عشرة من العرب [1] : سبعة رجال وثلاث نساء . وتمكن من الافلات ثلاثة هم : الاستاذ عبد الله الخطيب (مدير المدرسة) وحمدي حرز الله (موظف البريد) وشاب من عائلة حرارة (مباشر المحكمة الشرعية) وكان هؤلاء جميعاً مختبئين في بئر كانت قد حفرت هناك الي جانب احدى المباني الجديدة .

وقال ان عدد الشهداء العرب ، يوم سقوط بئر السبع ، ناف على السبعين . منهم توفيق السودة ، حسن النابلسي ، علي ابو عيشه ، هاشم الشوا ، الحاج علي جراده ، عبد الله هنية وامرأته وأولاده الصغار وعددهم أربعة (ولدان وبنتان) ، حسن عويضة وولده وبنته ، وحمام أبو بيض ، وامرأة من دار الغزالي ، وشخصان من دار ابي عيشه ،

رش اليهود رجال الحامية ، عند استسلامهم ، بمدفع من طراز (طومي غن) . فقتلوا أربعة منهم وجرحوا سبعة . رشوهم ، رغم انهم كانوا رافعين ايديهم علامة الاستسلام .

وهدم عدد كبير من منازل المدينة ، اثناء القتال . وجمع اليهود في صباح اليوم التالي (١٩٤٧/١٠/٢٢) سكان المدينة من رجال ونساء في ساحة السرايا ، داخل السلك الشائك . وكان عددهم يقرب من الف . معظمهم فلسطينيون [2] . ولم يكن بينهم سوى عدد لا يزيد عن المئة من المصريين .

اما الشباب من هؤلاء فقد اسرهم اليهود .

اسر اليهود ٥٣٥ رجلا : ٣٥٠ منهم جنود مصريون و١٨٥ من سكان المدينة ، بعضهم

«١» المختار الحاج علي جرادة وولداه . الشيخ علي بسيسو وزوجته . شخص من آل الشوا « كان في جيبه سبعة الاف جنيه » لحام من بئر السبع . وفلاحتان .

«٢» كان يقطن في مدينة بئر السبع قبل ان يحتلها اليهود ، زهاء ستة آلاف وسبعماية نسمة ، بعضهم « زهاء المئة » من اللاجئين . والبعض الاخر موظفون والباقون من سكان المدينة الاصليين . نزح خمسهم قبل الهجوم ببضعة ايام ، اثر ضرب المدينة من الجو بالطائرات وحالت السلطة دون نزوح الاخرين . وكان فريق من هؤلاء يقضون لياليهم علي طريق عصلوج وطريق الخليل . ويعودون لمباشرة اعمالهم في النهار . ولما اشتد القتال نزح معظمهم رغم انف السلطة حتى لم يبق منهم فيها الا الاقلون . ولم يستطع الهاربون انقاذ شيء من اموالهم وامتعتهم . والقليل الذي استطاعوا انقاذه وحملوه معهم نهبه منهم البدو في الطريق .

مناضلون والبعض الآخر مدنيون . نذكر منهم الاستاذ عبد الله ابراهيم الخطيب مدير المدرسة (١٩٣٩ـ١٩٤٨) . ولما كان مجروحاً فقد أبقاه اليهود مـدة في المستشفى بيافا ثم نقلوه مع الاسري الآخرين الى معتقل الاسرى في (جليل) إلى الشمال مـن يافا . وكذلك قل عن الاسرى الآخرين الذين بعد أن ابقوهم في المدينة بضعة ايام ، نقلوهم الى المعتقل المذكور .

وحمل اليهود الشيوخ والنساء والاطفال الذين بقوا في المدينة ولم يبرحوها . حملوهم في سياراتهم . فنقلوهم إلى مستعمرة (بيروت اسحق) القريبة من غزه . وهناك تركوهم دون ان يسمحوا لهم بحمل شيء من امتعتهم . فجاء المصريون واخذوهم الى غزة .

حدثني الاستاذ عبد الله الخطيب مدير مدرسة بئر السبع ان المصريين رفضوا ، بادىء ذي بـدء قبول هؤلاء الشيوخ والنساء والاطفال خشية ان يكون قـد اندس بينهم الجواسيس . ولكنهم عادوا فعدلوا عن رأيهم . وقبلوهم . وقال محمد عبد الهادي قائمقام بئر السبع ان حاكم الخليل المصري عبد المحسن أبو النور أيضاً رفض ، في بادىء الامر ، أن يسمح للاجئي بئر السبع بدخول منطقته . ولكنه عاد فوافق على ادخالهم .

وما فتيء القوم ، الى يومنا هذا ، يتحدثون عن سقوط بئر السبع . تلك المدينة التي بسقوطها تمكن اليهود من الاستيلاء على جنوب فلسطين (النقب) ، ويعزون ذلك الى ان الجيش المصري اهمل الدفاع عنها ولم يرسل لها خلال المعركة اية نجدة خـلا المئتين وخمسين من المصريين والليبيين المتطوعين . ولم تظهر في سمائها أية طائرة لترد كيـد الطائرات اليهودية التي ظلت تعمل ، كما أسلفنا خمس ليال دون انقطاع .

وفي عصر ذلك اليوم الذي سقطت فيه بئر السبع ظهرت في سماء المدينة طائرة مصرية واحدة القت قنبلة واحدة على مستعمرة بيت ايشل . فسقطت هذه في العراء بعيدة عن المستعمرة ، ولم تحدث ضرراً . وعادت الطائرة بعدئذ ادراجها .

فقد قال بعضهم : ـ ان الطائرات المصرية كانت مشغولة بتغطية انسحاب المصرية من قطاع المجدل . وترك المستعمرات خلف الخطوط المصرية وقال آخرون ان في الامر لسراً . والا فلماذا سحب اللواء المواوي بك ثلاثمئة وخمسين جندياً من رجال الحامية .

ومن الانصاف أيضاً أن نعترف ، من اجل الحقيقة والتاريخ ، أن الجيوش العربية الاخرى (ولا سيما الجيش الاردني والجيش العـراقي) وقفت ، والمعركة قائمـة في

ذلك القطاع ، صامتة . لم تحـرك ساكناً . وكانت المصلحة تقضي باشغال العـدو في الجبهات الاخرى ليخفف الضغط عن تلك الجبهة .

وأما البدو وسكان ذلك القطاع ، فحدث عنهم وعن جمودهم ولا حرج ، فلقـد كانوا عادمي النفع بالمرة ، لا من الناحية الحربية فحسب ، بـل من النواحي الوطنيـة والاقتصادية والادبية والاجتماعية أيضاً ، ولا بدع فقد كانوا من الجهـل بسبب فقدان المدارس ، والفقر بسبب المحول المتواصلة ، على جانب عظيم . الا من عصم ربي منهم ، وكانوا قليلين ، فانهم لم يقصروا في واجبهم نحو امتهم وبلادهم .

ووصل هؤلاء من سوء الحظ إلى درجة أن المصريين أنفسهم لم يسمحوا لهم بأي نشاط حربي . ليس هذا فحسب ، بل انهم حظروا عليهم دخول المدينة لاعتقادهم بانهم جواسيس ، ولئن صحت هذه التهمة على عـدد ضئيل منهم ، فانهـا لا تصح على الاكثرين [1] وفوق كل ذي علم عليم .

وهكذا سقطت (بئر السبع) ... المدينة التاريخية التي ملكها الفلسطينيون منذ احقاب وقرون ... وسكنها جد الانبياء ابراهيم ، فعقد مع ابيمالك ملك الفلسطينيين ميثاقاً حلاً بموجبه الخلاف الذي كان قائماً من اجل الماء . وكانت في يوم من الايام الحـد الجنوبي لارض كنعان [2] . كما كانت منزلا للعمالقة وملوك الرعاة (الهيكسوس) .

واكتسحها الاشوريون ، والبابليون ، والفرس والأنباط . كما اكتسحها اليونان . وتاه في وديانها جند الرومان . والبيزنطيون . ولهؤلاء واولئك فيها وفيما حولها من ديار آثار وخرائب وسدود وآبار .

ونزلها قبل الاسلام (جرهم) من بني قحطان ، كما نزلها عدد من القبائل الاخرى من بني كنانه وبني حمير وكلاب .

ودخلت في حوزة الاسلام على عهد الخليفة الثاني عمر بن الخطاب . وأقام فيها عمرو ابن العاصي عندما عزله عثمان بن عفان بعد أن ولاه مصر [3] وفي أرضها توفى عبد الله بن عمرو .

واحتلها الصليبيون ،وكان لريكاردوس قلب الأسد جولات في سهولها ، واستردها منهم صلاح الدين .

«١» اقرأ ما كتبناه عن بدو بئر السبع في موضع آخر من هذا الكتاب .

«٢» اقرأ الاصحاحين ٢١ و٢٢ من سفر التكوين .

«٣» (معجم البلدان) لياقوت الحموي .

ودانت لسلطان الأتراك في زمن السلطان سليم الملقب بـ (ياووز) كما دانت لوالي مصر محمد علي باشا يوم اجتازها جيشه يقوده ولده ابراهيم .

وكانت مسرحاً لقتال عنيف قام بين الأتراك والانكليز في الحرب الكونية الاولى (١٩١٧م) وما كان الجيش الانكليزي ليستولي على غزه (وكان قد حاول الاستيلاء عليها مرتين : مرة في ٢٦ آذار سنة ١٩١٧ واخرى في ١٩ نيسان ١٩١٧ ولكنه فشل في المرتين) لولا انه استولى أولا على بئر السبع . ولما استولى عليها (في ٣١ تشرين الأول ١٩١٧) سقطت غزة أيضاً بيده وكان ذلك في ٧ تشرين الثاني ١٩١٧ .

ولله الامر من قبل ومن بعد .

عصلوج

سقطت (عصلوج) بيد اليهود مرتين : الاولى في ١١ حزيران ١٩٤٨ وقبل الموعد المضروب لبدء الهدنة بساعتين ، والثانية في ٢٥ كانون الأول ١٩٤٨ عندما قاموا بهجومهم الذي ذكرناه في الفصل السابق ، ولهذين الاحتلالين قصة نرويها في السطور التالية : —

١ — لم يعن أحد من العرب ، لا من المناضلين الفلسطينيين ، ولا من الاخوان المسلمين المصريين الذين تطوعوا للقتال وراحوا يصولون في جنوب فلسطين ، حتى ولا الجيش المصري الذي كانت تلك البقعة من الارض — بموجب الخطة العربية العامة — داخلة في نطاق تصرفه ؛ أجل ، لم يعن احد من هؤلاء بهذه البلدة الصغيرة . عصلوج . رغم انها واقعة على الطريق التي تربط مصر بالقطاع الجنوبي من فلسطين ، ولها قيمة من الناحية الاستراتيجية ، تبعد عن بئر السبع أربعة وثلاثين كيلومتراً إلى الجنوب ، تربطها بها وبالحدود المصرية طريق معبدة ، وفيها ثلاثة آبار ، مياهها عذبة ، انها من ديرة العزازمة . ولها مكانة في التاريخ ، أحرقها العمالقة ، وسكنها بنو يهودا بعد السبي ، وبنى الرومان فيها سداً ، واتخذها الاتراك مركزاً للتموين في حملتهم على قناة السويس (١٩١٤) ومنها هاجم الانكليز بئر السبع في الحرب الكونية الاولى ، وكانت مقراً لفيلق خيالة الصحراء (١٩١٧) . وأقاموا فيها بعد الاحتلال مخفراً كان من أهم المخافر التي تسيطر على صحراء النقب .

٢ — كان أول من اعتنى بها في حرب فلسطين البكباشي أحمد عبد العزيز الذي سبق

وقلنا أنه قاد الكتيبة الاولى من كتائب الأخوان المسلمين الذين تطوعوا للقتال في فلسطين ودخلوها في اليوم الخامس والعشرين من شهر نيسان ١٩٤٨ .

فقد أقام فيها خمسين جندياً يقودهم اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) وجعلها نقطة للمواصلات . ذلك لأن المؤن والذخائر كانت تأتي من مصر عن طريقها .

وظلت عصلوج بيد المصريين حتى اليوم العاشر من شهر حزيران .

٣ ـ حدثني الملازم الاول عمر عمر البنبلي التونسي انه في اليوم العاشر من شهر حزيران تلقى أمراً من أحمد عبد العزيز بالتوجه نحو العريش ، واحضار الذخائر التى كانت بانتظاره . فاخذ هذا سبع سيارات للشحن . وحرساً مؤلفاً من واحد وعشرين جندياً وسبعة مدافع رشاشة من طراز برن . وسافر إلى العريش . وبعد أن قام بالمهمة التي بعث من أجلها وعاد إلى عصلوج كان الليل قد انتصف (١٠/ ١١ حزيران) . وكم كان استغرابه شديداً عندما شعر بحركة غير اعتيادية في التلال التي تحيط بها . وكانت تلك الحركة على أن اليهود ينوون مهاجمتها . فأراد أن يغادرها لئلا تقع الذخائر التي في حوزته بيد الأعداء . ولكن اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) منعه ، واستبقاه حتى الصباح . وفيما كان الاثنان يتباحثان ماذا يفعلان راح اليهود يقصفون المكان . قصفوه بمدافعهم التي نصبوها وراء التل ، وما عتما أن تلقيا نبأ آخر يقول انهم (أي اليهود) قطعوا الطريق التي تربط عصلوج ببئر السبع . كما قطعوا الطريق التي تربطها بالعوجا . وراحوا بعدئذ يهاجمون عصلوج . وقد طوقوها من كل جهة . ودام القتال في الليل وكان عددهم كبيراً .

هذا ما رواه الاخوان المسلمون المصريون عن سقوط عصلوج . وأما السيد محمد عبد الهادي الذي كان يقود فريقاً من المناضلين من البدو في ذلك القطاع ، وكان في أواخر عهد الانتداب قائمقاماً هناك فانه يقول [١] : ـ

« ان قوة يهودية قوامها ثلاثمئة مقاتل هاجمت عصلوج [٢] في منتصف الليلة التي

«١» اقرأ حديثه المنشور في العدد ٦٥ من جريدة « الجهاد المقدسية بتاريخ ١١/١٠/١٩٥٣

«٢» قرية صغيرة واقعة على طريق بير السبع ـ العوجا . تبعد عن الاولى اربعة وثلاثين كيلو متراً وعن الثانية ٤٣ كيلومتراً . وهي من المراكز الاستراتيجية الهامة في جنوب فلسطين ، فيها دائماً مخفر البوليس ، وثلاثة آبار ذات مياه عذبة يردها جنود المخفر والعربان المجاورون وهم من العصيات والفراحين والصبيحات والمسعوديين وما الى ذلك من افخاذ العزازمة .

سبقت اعلان الهدنة الاولى (١٩٤٨/١١/١٠) . وكانت حاميتها يومئذ عبارة عن مئة متطوع من الليبيين والمصريين يقودهم اليوزباشي عبد الرؤوف عبد المنعم ، وهو من ضباط الجيش المصري النظامي ؛ وانه كان هناك تسعة من افراد البوليس (الهجانة) من البدو يرأسهم عريف اسمه عيد ابو خليل . وكان مع الحامية آلة لاسلكية يديرها عريف من البدو أيضاً يدعى سالم البلوى . وان هذه الحامية كانت تأتمر باوامر البكباشي ابراهيم الورداني في بئر السبع ؛ وان اليهود لم يجدوا صعوبة في الوصول الى عصلوج ، اذ كانت حاميتها قليلة العدد ، كما كانت قليلة العتاد والمؤن . ولهذا تقهقرت الحامية . ودخل اليهود القرية . وعندما وصلوا إلى المكان الذي كان قد تحصن فيه الهجانة من أبناء البدو ، حاصروه ، وما لبثوا أن نسفوه على من فيه[١] .

« وأبرق البكباشي ابراهيم الورداني ، بوصفه القائد المسؤول عن ذلك القطاع ، وكان ساعة وقوع الحادث في بئر السبع ، الى القائد العام المواوى يقول : « ان اليهود احتلوا عصلوج ، وانهم ما كانوا ليستطيعوا احتلالها لولا أن أفراد البوليس هربوا من اماكنهم ، وبهربهم فتحت ثغرة ، ودخل منها العدو . »

ويؤكد السيد عبد الهادي : « ان ما جاء فى تقرير الورداني غير صحيح ، وان الهجانة من أبناء البدو المحصورين في داخل المركز قاوموا اليهود الذين حاصروهم بكل ما اوتو من قوة ، وانهم ظلوا يقاومون إلى أن نفد عتادهم ؛ وان اليهود نسفوا المركز على من فيه ، فمات منهم من مات ، واسر من اسر ؛ ولم يسلم منهم إلا عامل اللاسلكي سالم البلوي الذي كان قد غادر المركز قبل تطويقه بمهمة انتدبه لها رفاقه الآخرون .. »

ولقد أيد هذا الحديث مناضل آخر هو السيد جواد شحيبر ، إذ قال :

« ان الهجانة البدو أبدوا بسالة منقطعة النظير ، وانهم ، عندما شن اليهود هجومهم على عصلوج ، انقسموا إلى شطرين ؛ شطر تحصن في مركز البوليس ، وآخر صعد الى مئذنة الجامع وراح من هناك يقام اليهود . واستمر الفريقان في المقاومة الى ان تغلب اليهود عليهما ، فهدموا الجامع ومئذنته ؛ وأخذوا جميع الهجانة اسرى . فلم ينج منهم سوى سالم البلوي عامل اللاسلكي الذي عريفه بمهمة من المركز الى الجامع ، فلم يتمكن من الوصول اليه ؛ لا ، ولا تمكن من العودة الى مركزه . ففر الى بئر السبع .

ومن الذين قتلوا في معركة عصلوج هذه (وضفي علي الوزني) من سكان بئر السبع .

«١» وهناك رواية اخرى تقول ان المحصورين انفسهم ، عندما نفد عتادهم وايقنوا انهم لا محالة واقعون في شرك اعدائهم ، نسفوا المركز ، متذكرين قول شمشون الجبار : بي ، وباعدائي يا رب ! ...

وماكان باستطاعة المصريين ان يصدوهم . وراح اليهود من مستعمرة بيت ايشل يشاغلون المصريين المرابطين في بئر السبع بنيران مدافعهم القوية ليحولوا دون نجـدة عصلوج . وما كادت تدق السادسة صباحاً (١١ حزيران) حتى كان اليهود قد احتلوا عصلوج . ولم يبق لموعد البدء بالهدنة سوى ساعتين .

وقتل من المصريين في تلك الليلة زهاء اربعين جندياً . ولم يبق من حاميتها سوى ثلاثين والضابطين . فاسرهم اليهود . الا الضابط عبد المنعم عبد الرؤوف فقد عاد الى العوجا سالماً ، ويظهر ان عودته على هذا الشكل احدث بعض الريبة في قلب رئيسه فقد أمر هذا بسوقه إلى مصر محفوظاً .

٤ ـ نسف اليهود بعد أن تم لهم احتلال عصلوج مستودع الذخيرة الذي كان فيها ولحادث النسف هذا قصة يرويها لك الاخوان المسلمون . فيقولون :

ان ثلاثة مـن الاخوان المجاهدين (وهم رشاد زكي ومحمود حامد ماهر وعبد الله البتاتوني) عندما رأوا أن عصلوج لا محالة واقعة بيد اليهود وانهـم واقعون في شرك الاسر ، وان مستودع الذخائر الذي كان في حراستهم سوف يستولي عليـه الاعـداء فيستعملونه ضد امتهم . قرروا أن ينسفوه ولو أدى ذلك إلى هلاكهم . فقبعـوا في المستودع ، واختبأوا خلف كومة من الصناديق . ولما دخل اليهود المستودع اشعل الثلاثة المختبأون النار في صناديق المفرقعات . وفي اقل من لمح البصر كان البناء كله قد استحال إلى كومة من الانقاض . فهلك اليهود الذين دخلوه ، وقضى ، في الوقت نفسه ، الابطال الثلاثة نحبهم ، قضوا ولسان حالهم يردد ما قالة شمشون الجبار في سالف الزمان :
(بي وباعدائي يا رب ...)

يعتبر سقوط عصلوج بيد اليهود كارثة لا تقدر ، ذلك لانه يعني قطع مواصلات الجيش المصري في الجبهة الشرقية . ولهذا قررت هيئة الأركان العامة استردادها مهـما كلف ذلك من ثمن وارسلت هذه الى المواوي برقية بهذا المعنى . فأمر المواوي بارسال قوة من الجيش النظامي . وارسلت القوة في اليوم التالي (١٢ حزيران) . ولكنهـا فشلت في مهمتها ، رغم انها كانت مزودة بالمدافـع والسيارات المصفحة ، واستمات اليهود في الدفاع عنها . فاستنجد المواوى باحمـد عبد العزيز . وعهد هذا بالمهمة الى اليوزباشي (محمود عبده) قائد الأخوان في صور باهر . فأرسل قوة من الاخوان يقودها

ضابط برتبة ملازم هو (يحيى عبد الحليم) من اخوان القاهرة . فاحتلها وجرح في في المعركة .

عندئذ ، وعندئذ فقط ، أخذت القيادة المصرية تعنى باحمد عبـد العزيز ورجاله . فراحت تمدهم بالاسلحة والذخائر ، كما أمدتهم بعدد من الجنود النظاميين .

٥ ـ ظلت عصلوج بيد المصريين الى أن قام اليهود بهجومهم الكبـير على القطاع الكائن بين بئر السبع والعوجا ، واحتلوا معظم المواضع الحربية الكائنة في ذلك القطاع . وكان ذلك في ٢٥ كانون الاول ١٩٤٨ .

معارك النقب الثانية

ما كادت انباء القاهرة ، وما قاله رؤساء الأركان العرب في ذلك المؤتمر ، تصل إلى اليهود ، حتى قرروا القيام بهجوم عـام على المواضع المصرية في النقب ، وكادوا ينجحون ، لولا أن انقذت مصر ، وانقذ الجزء الجنوبي من فلسطين في اللحظة الأخيرة.

وتفصيل الخبر ان الحكومة المصرية اقتنعت ، بعد انتهاء معارك النقب الاولى ، ان المسؤولية تقع في الدرجة الاولى على عاتق القائد المصري اللواء علي المواوي . فاعفته من منصبه . وعهدت بقيادة الجيش إلى اللواء أحمد فؤاد صادق باشا ، وكان ذلك في ١٩ تشرين الثاني ١٩٤٨ وأصدر اللواء أحمد فؤاد أمره إلى اللواء العاشر، فتولى هـذا مهمة الدفاع . وكان اللواء يومئذ مؤلفاً من أربعة أفواج من المشاة وقوات من المدفعية والدبابات والمهندسين . وكان يقوده محمد نجيب . وانضم اليه بعد اسبوعين لواء آخر ، هو اللواء الرابع للمشاة .

بدأ اليهود هجومهم في ٢٢ كانون الأول١٩٤٨ ، فانقضوا على خط القتال المصري إلى الجنوب من غزة ؛ بين دير البلح وخان يونس . واحتلوا التل ذا الرقم ٨٦ . ومن ذلك المرتفع راحوا يقصفون قرية دير البلح ومدينة خـان يونس . وفي الوقت الذي كان اليهود يقصفون فيه هذين البلدين بنيران مدافعهم من التل ٨٦ راحوا يقصفونهـا بقنابل طائراتهم من الجو . وكر المصريون على ذلك التل في ساعة مبكرة مـن صباح اليوم التالي (٢٣ كانون الأول) بثلاث فصائل من الجنود وخمس دبابات . ولكنهم في بادىء الأمر فشلوا ، وتعطلت دباباتهم لأن بطارياتها لم تكن صالحة لتسيير محركاتها . وأضاعت القوة المصرية المهاجمة وقتاً طويلا في استبدال تلك البطاريات . فقلتت مـن يدها فرصة المباغتة .

واصيب القائد محمد نجيب بجروح مختلفة في صدره وفي خاصرته اليمنى .

فتسلم الميرآلاي محمود رفعت قائد القطاع تلك المهمة .. مهمة استرداد ذلك التل .

وقد نجح في استرداده . فطرد اليهود منه ، ومن المواضيع التي كانوا قد احتلوها امام دير البلح وخان يونس .

خسر اليهود في هذه المعركة التي سميت فيما بعد : (معركة دير البلح) عدداً كبيراً من مقاتليهم . وقد ارتدوا إلى الوراء . وكذلك قل عن المعركتين الكبيرتين اللتين وقعتا بينهم وبين المصريين في (العوجا) و (رفح) . ويقدر الخبراء خسائر اليهود في هاتين المعركتين بما لا يقل عن أحد عشر الف مقاتل . والفضل في بقاء ذلك القطاع الكائن في جنوب فلسطين من غزة إلى رفح بيد العرب راجع إلى ذلك القائد المصري النبيل الذي ذكرناه في السطور المتقدمة : اللواء احمد فؤاد صادق باشا . وقد رقي بعدئذ الى رتبة (فريق) .

واستغرب القوم : لماذا لم يقم الجيشان العربيان المجاوران للجيش المصري باية حركة ولم تقصد مشاغلة الجيش الاسرائيلي ليخفف هذا ضغطه عن المصريين ، ولو شاغلاه لما تمكن اليهود من سحب قطعات كبيرة من جيشهم المرابط في شمال فلسطين الى جنوبها ، كذلط كان الوضع في معارك النقب الاولى والثانية .

فقد جاء في ملفات وزارة الدفاع العراقية أن الذي كان يقود القوات العراقية يومئذ في فلسطين هو الفريق الركن نور الدين محمود باشا . وقد رفض هذا الامر الذي اصدره اليه رئيس الوزراء مزاحم الباجهجي كي يقاتل اليهود . وكان ذلك في شهر كانون الاول ١٩٤٨ .

وكذلك فعل الاردن . فان الجيش العربي الاردني الذى كان يتحرق شوقاً إلى القتال ، ولا بدع فان جنوده وضباطه من خيرة الرجال واكثرهم اخلاصاً لقضية بلادهم ؛ الا ان قياده كان بيد فئة من الأغيار . وفي طليعتهم غلوب باشا الانكليزي صاحب الكلمة الاولى . وقد ابى هذا ان يحرك ساكناً أو يساعد الجيش المصري في قتاله .

وكان مجلس الجامعة العربية قد أشار على كل من الجيوش العربية الثلاثة العراقي والسوري والاردني ، ان ينجد الجبهة المصرية بكتيبة من كتائبه . ولكن غلوب باشا

رفض الانصياع لهذه الخطة . وقد اعتبرها سقيمة . قائلا ان الجيش العربي وحده قادر على تنفيذها إذا ما رضي الجيش العراقي أن يتسلم منــه قطاع اللطرون . ويقول غلوب الذي نقلنا عنه هذه الرواية [١] : ان العراقيين رفضوا اقتراحه قائلين : انــه ليس في مقدورهم أن يفعلوا ذلك . ولكنه (أي غلوب) ما لبث ان اعترف في الصفحة نفسها ان العراقيين ساقوا كتيبة من كتائبهم صوب بيت لحم تنفيذاً لقرار الجامعة [٢] وكل ما فعله هو انه حشد في مكان ما الى الشمال من مدينة القدس قوة صغيرة مؤلفة من سريتين من المشاة ومن عدد من السيارات المصفحة ، مجموع رجالها ٣٥٠ مقاتلا ، وبعد قليـــل أرسلها شرقاً حيث راحت ترابط في قطاع بيت لحم ، ولم تكن مزودة بأي نوع مـــن انواع المدافع . سُئل فيما إذا كان يتوقع خيراً (؟) من وجود قوة مثل هذة القوة الضعيفة في مكان كهذا بعيد عن الجبهة المصرية .. ودون عمل في جنوب فلسطين اجاب انــه لا يستطيع الاستغناء عن قوة اكثر من ذلك وانه ارسل تلك القوة وهو يعلم انها لا تفي بالمرام [٣] .. وقال ايضاً ان لدى المصريين في جنوب فلسطين قوة تكاد تعـــادل القوة الاسرائيلية هناك ، وقد قدرها بخمسة عشر الفاً .. وأضاف غلوب الى ما تقدم قوله : ان المصريين أنفسهم عندما نزلوا قطاع الخليل وبيت لحم خلال النصف الثاني من شهر ايار ، طلبوا انسحاب الجيش العربي من ذلك القطاع قائلين انهم هم المسؤولون عــن ذلك القطاع ؟ وان الحكومة الاردنية وافقت ، بناء على اقتراحه ، على الانسحاب من هناك . وقد انسحب «٤» ولكن هذا القول لا يخلصه من المسؤولية ، كما لا يخلصه قوله : انه ما كان يعرف (؟) شيئاً عن انهزام الجيش المصري في تلك الجبهة ، الا (؟) بعـــد وقوع الانهزام ! ..

بدو بئر السبع بعد سقوطها

عندما وطد اليهود اقدامهم في قطاع بئر السبع راحوا يطردون مـــن لم يغادر ذلك

«١» اقرأ الصفحة ٢١ من كتابه . **A solotier With thu Hrads**

«٢» يقول العراقيون ان تلك الكتيبة وصلت الى مدينة الخليل . وانها ظلت ترابط شهراً كامـــلا . ولما لم يطلب المصريون منها أن تقوم بعمل «؟» عادت ادراجها !. ولكن هذا القول لا ينقذ قادة الجيش العراقي من المسؤولية ، اذ كان بامكانهم ان يشاغلوا الاسرائيليين في القطاع الاوسط بشكل يحول دون سحبهم لقواتهم منه وارسالها الى الجنوب . ولو فعلواذلك لخففوا من ضغط القوات اليهودية في الجنوب .

«٣» وهي في الحقيقة لم تقم بأي عمل هناك .

«٤» اقرأ الصفحة ١٩٩ من كتابه **AS. W the A.**

القطاع من تلقاء نفسه من البدو . فلم يبق سوى عدد ضئيل منهم . وقد استوطن المدينة على الفور عشرة آلاف يهودي ، ثم أضاؤوها بالكهرباء ، وأتوا اليها بالماء من قطاع غزه . جروه في أنابيب قطرها ٢٤ بوصه . وأنشأوا فيها المباني الضخمة والعمارات المعدة للسكن . كما أنشأوا الطرق ، وعبدوا الشوارع . وتأسس فيها بعد ذلك بقليل فروع لبعض الشركات العالمية كشركات السيارات ولوازم البناء والآلات الزراعية .

وحظر على البدو دخول المدينة إلا في أيام معدودة ، ومن طرق معينة .

كما حظر عليهم الاقامة في المربع الكائن بين بيت جبرين والمجدل وغزه وزباله والدوايمه ، وهو ما يسمونه (النقب الشمالي) ، وفي هذا المربع أقاموا عدداً من المستعمرات الزراعية ومعاقل الدفاع .

وأما العشائر التي كانت ضاربة خيامها في مواقع متعددة من قضاء بئر السبع (وعددها سبع وسبعون عشيرة منحدرة من سبع قبائل) فقد تبعثرت . بعضها (وهو القليل) بقي في منازله . والبعض الآخر (وهو الكثير) نزح . والذين نزحوا حطوا رحالهم في جهات مختلفة .

أ ـ أما الذين بقوا في قطاع بئر السبع تحت السيطرة اليهودية (١٩٤٨) الحكوك (الهزيل ، الاسد ، ابو عبدون) ، القديرات (الصانع . أبو كف . الاعسم ، الهواشله) الظلام (أبو جويعد ، أبو ربيعه ، أبو قرينات) . الجراوين (أبو غليون ، أبو يحيى ، ابو صعيليك) . العزازمة (الزربة ، الفراحين ، المسعوديون ، الصبحيون) . الترابين (نجمات الصانع ، نجمات الصوفي ، نجمات أبي صهيبان) . بنو عقبة ، النتوش (عطاونة) . الا بعض أفراد من هذه العشائر . فقد رحلوا مع الراحلين .

ب ـ وأما الذين نزحوا ، فانهم فئتان : فئة رحلت إلى الجزء الذي ظل بيد المصريين من جنوب فلسطين . وهم : القلازين (جبارات) . القطاطوه . والرواشلة (تياها) . غوالي أبي سته ، غوالي أبي ختله . الوحيدات (من الترابين) ، ولم يرحل الحناجره عن منازلهم الواقعة في هذا الجزء وهم ابو مدين ، المصدر ، السميري ، الظواهرة .

وفئة رحلت الى المملكة الاردنية الهاشمية ، وهم : السعيديون (معان) ، البدينات (البلقا) .

واستوطن قطاع الخليل جماعة من التياها (علامات ابي لبه ، ابي شنار ، ابي جقيم ،)

وفريق من البدينات ، وفريق من بني عقبة ، والرماضين (شعور ومسامره) ، والشلالين ومن الجبارات كل من ارتيمات ابي العدوس ، والحسنات ، والوحيدات ، والدقوس والسعادنة ، والولايدة ، والرواوعة . [١] .

والعشائر البدوية التي رضيت بأن تبقى في منازلها خاضعة للحكم اليهودي ، عاد اليهود فضيقوا الخناق عليها ، وأرغموها (وإن شئت فقل أرغموا معظمها) على الرحيل فمنهم من اجبر على الرحيل رغم أنفه كما جرى للمحمديين ولفريق آخر من العزازمة عام ١٩٥٠ ومنهم من لم يستطع البقاء والخضوع للقوانين الصارمة التي فرضها اليهود فغادر منازله من تلقاء نفسه ، كما جرى للقديرات ولفريق آخر من التياها عام ١٩٥١ .

واعترف الاخوان المسلمون المصريون الذين حاربوا في قطاع بئر السبع ان عدداً كبيراً من البدو كانوا مخلصين . وبعضهم حارب اليهود حرباً لا هوادة فيها ، ولا سيما عشائر الترابين ، والتياها والنصيرات والمعالقه . وإذا استثنيا أفراد قلائل منهم «٢» — وفي كل امة أفراد من هذا القبيل — فانه لا صحة للقول القائل أن البدو كانوا يتجسسون لليهود .

استخدم اليوزباشي (عبد المنعم عبد الرؤوف) قائد منطقة عصلوج بدوياً يدعى (ابن عقيل) بعد ان اختبره وأيقن أنه شجاع وخبير بمسالك الصحراء . استخدمه لزرع الألغام على طريق اليهود . فقام الرجل بعمله بامانة واخلاص . وعندما نقل اليوزباشي

«١» بعد هذا اقرأ ما كتبناه عن وقف القتال في جنوب فلسطين في ٤٩/١/٧ وعن اتفاق الهدنة بين مصر واسرائيل في ١٩٤٩/١/١٢ وعن رحيل الجيش المصري عن قطاع بيت المقدس في ١ أيار ١٩٤٩ .

«٢» من هؤلاء الشيخ سلمان الهزيل ، شيخ عشيرة حكوك الهزيل « تياها » فان هذا الرجل الذي لا يعرف من الدنيا سوى المال والخمر والنساء والذي تزوج في حياته من ست وعشرين امرأة اسماهن لي باسمائهم يوم كنت حاكماً لبئر السبع «١٩٣٨» والذي لا يعبأ كثيراً بهموم هذه الحياة ولا يهمه ان عمرت الدنيا ام خربت ، وان عاش الناس او ماتو فقدساير اليهود الى ابعد حدود المسايرة ، حتى رضوا عنه وأولوه ثقتهم ، وافسحوا له المجال فوضع يده على كل ما تركه بنو قومه بعد رحيلهم بسبب استيلاء اليهود على منازلهم من مال ومتاع . حتى اصبح من اغنى الاغنياء .

ويقول بعض المطلعين على بواطن الامور في ذلك القطاع انه ما كان باستطاعة الشيخ سلمان الهزيل ان يفعل ما فعل . لوقوع منازله ومزارعه بين مستعمرتين من اقوى المستعمرات اليهودية الواقعة في ذلك القطاع حتى انه اضطر لمسايرتهم . ولولا ذلك لاصابه ما اصاب غيره من العشائر من فقر وشتات .

بفرقته إلى مكان آخر ، وحل محلهم آخرون استمر ابن عقيل في تأدية رسالته . وتمكن من نزع عدد من الالغام وضعها اليهود في طريق الجيش المصري وحملهافخوراً في كيس على كتفه وأم مقر القيادة المصرية ليسلمها إلى ولاة الامور ولكن .. مـــا كاد الحراس يرونه حاملا الغاماً ، حتى راحوا يصرخون : جاسوس ! جاسوس !

وسرعان ما أدين من لدن محكمة عسكرية مصرية بالخيانةالعظمى وحكم عليه بالاعدام وشاء ربك أن يسمع الخبر شيخ من البدو ، كان مطلعاً على حقيقة الحال فقص على ولاة الامور قصة ذلك البدوي الشجاع المخلص الامين ، فاعيدت محاكمته . وطلب البدوي شهادة الضابط الذي استخدمه في بداية الامر ألاوهو اليوزباشي عبد المنعم عبد الرؤوف؛ فجاء هذا وأدى شهادته بعد أن أقسم على صحة قوله بالقرآن ، وكان مما قاله انه لو لا ابن عقيل لقضي على أحمد سالم باشا ورتل من السيارات العسكرية التي كانت معه نحبهم اذ أنه هو الذي أرشدهم إلى اللغم الهائل الذي وضعه اليهود في طريقهم ، فما كان مـــن المحكمة العسكرية إلا ان برأته . ولولا ذلك لقضى المسكين نحبة ، وراح ضحية الوهم وسوء الظن شأنه في ذلك شأن الكثيرين مـــن ابناء فلسطين الذين صورتهم الدعايات اليهودية الخبيثة في أدمغة الكثيرين من رجالات الأقطار العربية الشقيقة خونة وجواسيس. وقد ذكر ذلك بالتفصيل السيد كامل اسماعيل الشريف في كتابه (الاخوان المسلمون في حرب فلسطين) ص ٦٣ ــ ٦٦ فليرجع اليه من شاء .

وهكذا عاش البدو المساكين بين حجري الطاحون ؛ فلا ارضوا أعداءهم ، ولا أرضوا أصدقاءهم . أما الذين غادروا منازلهم واستوطنوا الأراضي المجاورة لهم فقد كان بنو قومهم من الحضر الذين عاشوا بين ظهرانيهم ينظرون اليهم نظرات كلهـــا استهتار وإحتقار . وأما الذين بقوا في منازلهم ولم يبرحوها ، فقد ذاقوا الامرين تحت حكم اليهود وغطرستهم . وراح هؤلاء (أي اليهود) يشددون الخناق عليهم ويفعلون كل ما في استطاعتهم ليجبروهم على الرحيل ، والذين رحلوا قبل سقوط ذلك القطاع بيد اليهود وأرادوا العودة إلى منازلهم ، منعهم اليهود بحجة انهم مـــن أصل مصري ، وانهم تسللوا عبر الحدود إلى فلسطين ، وهذا ما أصاب الكثيرين منهم نذكر على سبيل المثال لا الحصر عشيرة المحمديين) من قبيلة العزازمة ؛

فقد رفض اليهود أن يعود هؤلاء إلى منازلهم ، وعبثاً حاول المصريون اقناعهم ان المحمديين كامثالهم من فروع العزازمة قبائل فلسطينية ، وانهم كعرب رحل كانوا قبل بدء

القتال قد ظعنوا الى سينا ، وان من حقهم الرجوع الى منازلهم . ولما لم يصل الفريقان الى اتفاق في هذا الصدد رفع الأمر الى مجلس الأمن . واستشهد المصريون بكتابي (القضاء بين البدو) و (تاريخ بئر السبع وقبائلها) وفيهما ما فيهما من معلومات وأسماء وأرقام تثبت أنهم (أي العزازمة والمحمديين خاصة) من فلسطين ، وان لهم في قضاء بئر السبع من الأراضي والآبار والمنازل ما لا يدع مجالا للشك . وأرسل الي الجنرال رايلي اربعة من مساعديه مستطلعاً رأيي في هذا الصدد ، فابديت لهم رأيي ، وأطلعتهم على كتبي وتراجمها الى اللغتين الانكليزيه والعبريــة . وبعد لؤي اقتنعوا ، وسمحوا لهم بالرجوع إلى منازلهم .

ولما رأوا ان هــذا الضرب من التعذيب لا يجدي ، راحوا يخترعون من الأساليب الشيطانية مالا يعلم بهــا إلا الله لتعذيب البدو وارغامهم على الرحيل . من ذلك انهم حرموا على البدو ان يغادروا منازلهم طلباً للماء والكلاء ، وخصصوا لكل بدوى مساحة من الأراضي قالوا انها تكفي لمعيشته . ولا يجوز له ان يغادرهــا بالمرة . الا مر الذي يكرهه هذا كرهاً لا مزيد عليه . وهو الذي اعتاد الظعن والرحيل إلى حيث يشاء ، وفي أي وقت شاء . وكانت نتيجة هذا الضغط ان راحت قبائل بئر السبع وعشائرها تغادر منازلها وانفها في الرغام .

قام اليهود ، في اوائل عام ١٩٥٤ باحصاء البدو الضاربين خيامهم في النقب ، فكان عددهم ١١,٤٣٣ نسمة ، ينتمون الى تسع عشرة عشيرة ، ذكروا منها عشيرة ابو رقيق (٢٠٠٠ نسمة) من القديرات (تياها) وعشيرة ابي ربيعة (١٦٠٠) من الظلام (تياها) وعشيرة الهزيــل (١٤٥٠) من الحكوك (تياهــا) . ولا يعلم شيئاً عــن العشائر الاخرى .

زعماء العرب يظهرون ما لا يبطنون

في ٢٣ تشرين الأول ١٩٤٨ (أي بعد سقوط بئر السبع بيوم واحد) عقد في عمان اجتماع حضره رهط من ساسة العرب وقادتهم، منهم : الملك عبدالله بن الحسين ورئيس وزارته توفيق باشا ابو الهدى ووزير الدفاع الاردني فوزي باشا الملقي ، والأمير عبد الاله الوصي على عرش العراق والسيد شاكر الوادي وزير الدفاع العراقي وامير اللواء

صالح صائب باشا رئيس اركان حرب الجيش العراقي ، ورئيس الوزارة السورية جميل مردم بـك ورئيس اركان حرب الجيش السوري حسني الزعيم ، ورئيس وزراء مصر محمود فهمي النقراشي باشا .

وتابع المؤتمرون عملهم ، بعد ذلك بيومين ، في دمشق ، فعقدوا فيها مؤتمراً حضره الرؤساء انفسهم (خلا الملك عبدالله والنقراشي باشا) . وقيل ، بعد انفضاض المؤتمر ، ان قرارات خطيرة ذات صلة بالقضية الفلسطينية من الناحية العسكرية بحثت في بغداد ، ووضعت في عمان ، ووقع عليها في الشام . وبات الناس يأملون خيراً .

إلا ان الملك عبدالله أكد لفريق من زعماء الشعب الفلسطيني الذين دعاهم أثر ذلك لمواجهته ان المؤتمرين لم يصلوا إلى اتفاق ما في أي شأن من الشؤون التي بحثوهـا ، وان رجال الحكم في الأقطار الشقيقة يخشون ان يجابهوا شعوبهم بذكر الحقائق . وفهم القادة من كلام الملك انه متخوف من الوضع الحالي ، وانـه مقتنع بأن العرب لا يستطيعون قهر اليهود لقلة مـا في أيديهم من سلاح ، وانـه - لهذا - أصبح ميالا للتسليم بالأمر الواقع .

ولكن . سرعان ما نهض في اليوم التالي (١ تشرين الثاني ١٩٤٨) فالقى في مجلس الأمة الأردني خطاب العرش . وقد جاء فيه : ان الدول العربية متفقة ، وانه لا خلاف بينها ؛ وان النصر مضمون . وان فلسطين ستنقذ من الصهيونيين ، وان الركود الذي طرأ على الحركات الحربية في ساحة القتال ليس إلا ركوداً مؤقتاً . . .

وكذلك فعل النقراشي في مجلس النواب المصري . وحذا حذوهمـا باقي الرؤساء والملوك والزعماء في سائر الأقطار العربية . فانهم لم يظهروا لشعوبهم ما كانوا يبطنون[1] .

---

(١) قال الوسيط الدولي ، الكونت برنادوت في مذكراته التي نشرت بعد وفاته ان زعماء العرب وان ثابروا على المضي في بياناتهم التي يشتم منها انهم معتزمون مقاومة اليهود حتى النهاية ، الا ان مسلكهم هذا كان من باب ذر الرمان في اعين شعوبهم . واني في الواقع فهمت من محادثاتي الشخصية مع هؤلاء الزعماء ، ومن محادثات الدكتور بانش مع عزام باشا ، انهم يبطنون غير ما يبدون . وانهم ، في الحقيقة لا يؤمنون بما يقولونه لشعوبهم وصحفهم .

وقال الوسيط ، في موضع اخر من مذكراته ، ان الصالاته الاخيرة بزعماء العرب دلته على انهم شعروا

حتى ان اللجنة السياسية المنبثقة عن جامعة الدول العربية التي راحت تعالج الموقف بنشاط خلال النصف الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨ لم تنجح في عملها ولم تصل الى هدفها .

وفيما كانت هذه المهازل تمثل على مسارح السياسة العربية كانت فضائح الرجال الممثلين لهذه المهازل تتسرب إلى الاوساط الشعبية . فعلم السوريون ان رئيس وزرائهم جميل مردم بك انتدب احد اقاربه ليشتري السلاح للجيش السوري من اوروبا ؛ وان السلاح الذي اشتراه هذا بمبلغ كبير من المال وشحنه إلى سوريا وصل، بصورة من الصور، إلى تل ابيب . كما علموا ان صديقه الشراباتي الذي ولاه وزارة الدفاع متزوج من امرأة اجنبية ، وانه شريك لاحد اليهود الدمشقيين في تجارة . فهاجموا متجره ، وحرقوه . ثم راحوا يبحثون عنه ليمزقوه . ولكنه كان قد ولى الأدبار . وعلم اللبنانيون ان وزير دفاعهم الامير مجيد ارسلان ، عهد الى صديقه الجاسوس اليهودي المعروف كامل الحسين بحراسة حصن لبناني قائم على الحدود ، فسلمه الى اليهود ، وهذا ما دعا عدداً من السوريين لقتله . فغضب رئيس الوزراء رياض بك الصلح لهذا القتل ، معتبراً اياه امراً ماساً بكرامة الحكومة اللبنانية . مع ان هذه الحكومة التي يرأسها لم تغضب مثل هذا الغضب عندما احتل اليهود عشرين قرية من قرى لبنان . لا ، ولا غضب عندما سمع ان هؤلاء اليهود قد فتكوا بسكان تلك القرى ، وهتكوا اعراضها . لا ، ولا غضب

بان التقسيم احسن حل لمشكلة فلسطين . ولكنهم يرفضون المجاهرة بذلك .

وقال عبد الرحمن عزام ، الذي ملأ الدنيا صراخا بوصفه السكرتير العام لجامعة الدول العربية ، وكان يطالب باخراج اليهود من فلسطين . وكان يقول ان فلسطين العربية لا تستوعب غير العرب من سكانها الفلسطينيين ، اعترف في حديث جرى له مع الكاتب المصري المعروف لطفي رضوان (١) انه « بذل جهده من اجل الوصول الى حل وسط يرضي اليهود من حيث اقامة دولة تمثل اليهودية العالمية . ويرضى العرب من حيث الاحتفاظ بفلسطين في جملتها عربية .» ولهذا اقترح . في مؤتمر فلسطين (٢) « ان يسمح لليهود باقامة دولة في فلسطين تشبه دولة الفاتيكان بايطاليا وان تعطى هذه الدولة من الارض والسكان ما يتناسب مع حاجتها الرمزية » .

(١) اقرا العدد ١٤٨٤ من مجلة (المصور) المصرية بتاريخ ٢٠ آذار (مارس) ١٩٥٣

(٢) ذلك المؤتمر الذي عقد في لندن سنة ١٩٣٩

غندما رأى المطران مبارك يزود اللبنانيين والمسافرين من لبنان الى الجزء الذي احتله اليهود من فلسطين بجواز سفر[1] رغم قيام حالة الحرب بين البلدين .

وعلم المصريون ان عشرة من رجالهم الذين يشار اليهم بالبنان قد اقترفوا افظع جريمة عرفها الجيش المصري واشتروا ـ عن علم ومعرفة ـ اسلحة فاسدة لجيشهم ، قدرت قيمتها بخمسة ملايين دولار ، مع انها لا تنفع القتال ، كما ذكرنا ذلك في موضع آخر من هذا الكتاب .

وادرك الفلسطينيون ان رجال الحكم فيما وراء الاردن يريدون بهم شراً . فهاجوا ، وماجوا . وراحوا يسلقون اولئك الرجال بالسنة حداد . ولاولئك على مبلغ غضبهم أريد ان اذكر لك الحادث التالي الذي جرى في الاسبوع الاخير من شهر تشرين الاول (اكتوبر) ١٩٤٨ : ـ

ذهب الى عمان ، اثر تقهقر القوات المصرية في جنوب فلسطين وفد من الخليل مؤلف من مئة وعشرة اشخاص ، يتقدمهم رئيس البلدية ورئيس اللجنة القومية[2] الشيخ محمد علي الحصري ، وقد قابلوا الملك عبدالله ورئيس وزارته توفيق ابو الهدى ووزير الدفاع فوزي الملقي . ومما قاله الحصري للملك في الخطاب الذي القاه بين يديه : « اذا لم تشدوا ازرنا وتدافعوا عن وطننا ، فانا سنمد ايدينا الى اليهود ، وسنحارب دول الجامعة العربية . »

ولقد وعدهم الملك خيراً . ولكنه لم يفعل شيئاً .

وقطع الفلسطينيون كل أمل سواء من الملوك او الدول . وراحت كل مدينة من مدنهم تفكر في نفسها ، وتعد العدة للذود عن حياضها . ولكن هذه الجهود لم تؤت اكلها ، لأنها جهود متفرقة . لم تنلها يد التنظيم .

---

(١) هذا ما ذكرته جريدة (كل شيء) اللبنانية في عددها الصادر بتاريخ ١٠ تموز ١٩٤٩

(٢) تألفت هذه اللجنة قبل صدور قرار التقسيم بقليل . وقد ألفت من الشيخ محمد علي الحصري ، الشيخ عبد الحي عرفة ، رشاد الخطيب ، طلال عابدين ، عثمان التكروري . كمال بدر . الحاج علي حامد العريري الحاج احمد الشراباتي . حجازي الدويك . عمران طهبوب . حكمت الحموري . عبد الرحيم الشريف . الدكتور محمد شادر . رشاد البكري . انور نيروخ . عبد الغني ابو خلف .

وفي ٤ تشرين الثاني ١٩٤٨ بحث مجلس الأمن حوادث خرق الهدنة، فاصدر قراره التالي:

« حيث ان مجلس الأمن قرر في ١٥ تموز بان الهدنة يجب ان تبقى قائمة المفعول، ما لم يتخذ المجلس والجمعية العمومية قراراً جديداً بموجب قرار ١٥ تموز و ٢١ أيار سنة ١٩٤٨ حتى تحل مشكلة فلسطين حلا سلمياً.

« وحيث انه قرر في ١٩ آب انه لا يجوز لاحد الفريقين خرق الهدنة بذريعة الانتقام والرد بالمثل وانه ليس لاحدهما الحق بالحصول على فوائد عسكرية وسياسية بخرق الهدنة.

« وحيث انه قرر في ٢٩ أيار انه إذا خرقت الهدنة أو رفضت من قبل احد الفريقين أو كلاهما، فان الحالة في فلسطين تبحث ثانية لايجاد التدابير المنطبقة على الفصل السابع من الميثاق.

« لذلك يأخذ علما بالطلب المبلغ من الوسيط بالوكالة الى حكومة مصر وحكومة اسرائيل، ويطلب اليهما سحب قواتهما العسكرية الى المراكز التي كانتا تحتلانها في ١٤ تشرين الاول، ليتسنى ايجاد خط دائم للهدنة، دون ان يكون في ذلك أي ضرر على الحقوق والمطالب أو على حل المشكلة في المستقبل أو على موقف احدى الدول اعضاء المنظمة.

« ويقرر تشكيل لجنة من مجلس الامن مؤلفة من اعضائه الخمسة الدائمين بالاضافة الى بلجيكا وكولومبيا لتزويد الوسيط بالآراء التي قد يطلبها في اثناء توليه العبء الملقى عليه بموجب هذا القرار. وإذا لم يتقيد احد الفريقين او كلاهما باحكام الفقرة السابعة من القرار المذكور فى المهلة التي يراها الوسيط بالوكالة كافية فانه يشرع في درس التدابير الخاصة في نطاق الفصل السابع من الميثاق، ويرفع تقريراً بها الى المجلس.»

رضي المصريون بهذا القرار. واما اليهود فلم يرضوا به. وكان جوابهم عليه انهم اخذوا علما به.. وبموجب هذا القرار اصدر الدكتور بانش، القائم باعمال الوساطة، امره الى اليهود بالانسحاب الى المراكز التي كانوا فيها قبل ١٤ تشرين الفائت. وضرب لانسحابهم موعداً ينتهي في ١٩ / ١١ / ١٩٤٨ إلا انهم لم ينسحبوا.

مؤتمر القاهرة

عندمـــا اجتمع مجلس الأمـــن في ٤ تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ وأصدر قراره القاضي بانسحاب الفريقين (الجيش المصري والجيش الاسرائيلي) الى حيث كانا قبل بدء القتال في ١٦ تشرين الأول (اكتوبر) ، ضرب لانسحابهما موعـــدا نهايتـــه اليوم التاسع عشر من شهر تشرين الثاني . عندئذ تنادى القائمون على الأمر في بـــلاد العرب فعقدوا في (كوبرى القبة) بالقاهرة، في اليوم العاشرمن شهر تشرين الثاني مؤتمراً حضره رؤساء اركان الجيش العرب : الزعيم حسني الزعيم عن سوريا ، الجنرال فؤاد شهاب عن لبنان . المقدم احمد صدقي الجندي عن الاردن . عثمان المهدي باشا عن مصر . اسماعيل صفوت باشا عن العراق . وما لا يقل عن خمسة من كبار الضباط ذوي الرتب العليا من لواء وزعيم وعقيد . ودام المؤتمر أربعـــة أيام (١٠ ــ ١٣ / ١١ / ١٩٤٨) تـــدارس الرؤساء خلالها الوضع الراهن في فلسطين ليروا أي موقف يقفون فيما اذا تأزمت الامور وكان لا بد من استئناف القتال وبعد أخذ ورد طويلين رفعوا الى اللجنة السياسية التابعة لمجلس الجامعة العربية تقريرهم . وقد جاء فيه ما يلي[١] :

أ ــ اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث العدد .

ب ــ اليهود يتفوقون على القوات العربية من حيث السلاح بجميع انواعه خلا مدفعية الميدان . القوات العربية مفتقرة الى ذخيرة لهذه المدفعية .

ج ــ القوات الجوية العربية ، ولا سيما المصريـــة ، كانت في باديء الأمر متفوقـــة ومسيطرة على الجو . وانزلت بالعدو خسائرة فادحة . ولكن وصل الى العدو بعد ذلك عدد كبير من الطائرات والطيارين المدربين . وبذلك انتقلت السيطرة الجويـــة إلى يده .

---

(١) اقتبسنا كل ما جاء في هذا الفصل عن (مؤتمر القاهرة) من تقرير وضعه اللواء اسماعيل صفوت باشا بوصفه معاونا لرئيس اركان الجيش . وقد رفعه الى وزير الدفاع بتاريخ ٦ كانون الاول (ديسمبر) ١٩٤٨ ٩١٨٨ وهو الذي اطلعني عليه عندما زرت بغداد مستطلعاً طلع الخبر .

د ـ موقف الذخيرة في الجيوش العربيـــة خطر جبدا . على عكس اليهود . فقـد وصلتهم امدادات كثيرة . ولا تزال الامدادات تأتيهم بالاضافة الى مصانعهم المحلية .

هـ ـ المستعمرات اليهودية محصنة تحصيناً تاماً. تربطها طرق مواصلات كثيرة تمكنهم من التنقل بسرعة .

و ـ جميع القوات اليهودية على اخلاف أنواعها تسيطر عليها قيادة واحـدة . بينما ليس للجيوش العربية قيادة موحدة . وليس بين هذه الجيوش تعاون وثيق .

ز ـ اليهود متفوقون في قواتهم البحرية

للاسباب المتقدمة كلها ولا سيما قلة السلاح الجيوش العربية مضطرة لاتخـاذ خطة الدفاع في الوقت الحاضر .

والدفاع لا يؤدى الي انتصار عسكري . وبقاء الحال معناه خسران الحرب .

وعالج التقرير الأسباب الرئيسية التى أدت الى هذه النتيجة فقال :

أ ـ لم تكن الجيوش العربية قبل بدء القتال مستعدة لحرب طويلة الاجل .

ب ـ لم تستطع الدول العربية منذ بدء القتال الى الآن ان تحشد قوات كافية للتغلب على العدو . ولم يكن باستطاعتهـا الحصول على السلاح والعتاد لرد الخطر المفروض عليها . والذي لم يطبق بصورة فعلية الا عليها .

ج ـ الدول العربية لم تستخدم جميع مواردها لأغراض الحرب .

د ـ لم تؤلف قيادة موحدة .

هـ ـ لم تستطع الحكومات العربيـــة الاستفادة من الهدنتين الاولى والثانية لا كمال نواقصها . على النقيض من ذلك اليهود الذين لم يضيعوا لحظة واحدة الا استغلوهـا .

وعالج التقرير ما يجب على الحكومات العربية ان تعمله بعد اليوم ، فقال : ـ

أ ـ الحصول على ما تحتاجه الجيوش العربية من اسلحة وذخائر ومهمات وطائرات وقوة بحرية . والتغلب على جميع الصعوبات .

ب ـ تسخر كل ما في البلاد من موارد وامكانيات لاغراض الحرب ، ولو ادى

ذلك الى اعلان التعبئة العامة .

ج – ترك حرية العمل للعسكريين . وحصر جهود الحكومات في تأمين احتياجات الجيوش .

د – على السياسيين قبل اتخاذ أي قرار عسكري ان يحيطوا العسكريين بالموقف السيامي الذي يتطلب تدخل الجيوش . كي تكون قراراتهم متناسبة وامكانيات الجيوش ومقدرتها ١١ نوفمبر ١٩٤٨

هذا هو التقرير . وقد ارفق المؤتمرون به سبعة ملاحق ، ذاكرين في كل ملحق على حده ما يملكه كل جيش من الجيوش العربية التي في الميدان ، من سلاح وعتاد . والمدة التي يستطيع كل جيش من هذه الجيوش ان يصمد فيها ، في حالتي الهجوم والدفاع ، وكذلك قل عن الجيش الاسرائيلي وفيما يلي محتويات كل ملحق من الملاحق المذكورة كما وردت في التقرير :–

ملحق مؤتمر القاهرء ١١ – ١١ – ٤٨ – الجيش المصري

٤ ألوية عاملة . كل لواء ٣ كتائب . الكتيبة ٨٠٠ جندي

٨ كتائب احتياط . وقوتها ٦٠٠ حندي

٤ كتائب من القوات المرابطة . وقوتها ٦٠٠ جندي

آلاي واحد سيارات حدود خفيفة تنقل المشاة .

ثلاث كتائب رشاش فيكرس كل واحدة ٤٨ رشاشة .

٣ آلايات مدفعية ميدان . يؤلف كل منها من ٣ بطريات .

آلاي ٢٥ رطل

آلاي ٧ ر ٣ بوصه

آلاي مختلط
آلاي مضاد للدبابات + آلاي مضاد للطائرات (بوفرس ٧ ر ٣)
آلاي هاون (٨١ ملم) + آلاي استطلاع + آلاي دبابات خفيفة .
أربعة مستشفيات ميدان .

٥ سرايا سعودية + ٥ سرايا سودانية + ١٥٠٠ متطوع في بيت لحم .

القوة الجوية : سرب سبت فاير (عدد ٦) + سرب (٩ ـ ١٢) سرب مختلط ٦ ـ ٨ واكوتا وكوماندو .

٦ طائرات و ٦ خالية من التسلح .

القوة البحريـــة : ١١ قطعة ، ٣ للحراسة و ٧ كاشفات الغـــام وواحدة مسلحة ومستعدة للعمل .

عجز في العتاذ . لا يكفي لاكثر من ١١ يوماً + العتاد الجوي لاسبوعين . القنابـــل اليدوية والالغام متيسرة من صنع محلي .

الموقف :	من العوجا ـ رفع ـ غزه :	١٢٠ كيلو متر
	من الفالوجه ـ عراق المنشية	١٢ كيلو متر
	الخليل ـ بيت لحم	٢٥ كيلو متر

ملحق مؤتمر القاهره ١١ ـ ١١ ـ ٤٨ ـ الجيش الاردني

ثلاثة الوية اللواء ثلاثة كتائب ـ الكتائب نوعان : كتيبة آلية : مؤلفــة من ثلاث سرايا مشاة + سرية مدرعة (١٥ عدد) + سرية اسناد مدافع (٦ رطل) + فيكرس ٣ عقدة موجودها ٨٠٠ عدد الكتائب بهذا التنظيم ٣

كتيبة مشاة : ٣ سرايا مشاة + سرية اسناد + سرية قيادة . موجود ١٠٠
كتيبة مدفعية ٢٥ رطل (٢٤ مدفع)
بطرية هاون ٢ ر ٤ عقدة (٨ مدافع)
كتيبة مدفعية خفيفة مضادة للطائرات اولكن .
سرية هندسية .

العتاد يكفي للدفاع لمدة اسبوع . العتاد يبايع بواسطة الأهلين .

الموقف : كتيبة في خربثا + كتييبة في اللطرون + كتيبة في باب الواد + كتيبة في المثلث عند بيت سيرا تقوم بواجب الارتباط بين اللطرون وخربثا + كتيبة في بدو والنبي صمويل + كتيبة في بيت لحم ومعها سرية فرسان وسرية هجانة وسرية هندسية .

المدفعية : بطرية في خربثا ـ اللطرون ـ باب الواد .

بطرية في منطقة القدس ـ بدو

٢ ر ٤ في منطقة خربثا .

لا يتمكن الجيش الاردني من الهجوم لسعة الجبهة وعدم وجود الاحتياط وقلة العتاد .

ملحق لمؤتمر القاهره ١١ ـ ١١ ـ ٤٨ ـ الجيش العراقي

٤ جحافل : كل جحفل يتألف من لواء مشاة + كتيبة مدفعية + مستشفى ميدان + والاسلحة المساعدة .

القوة الآلية ومؤلفة من : فوج مشاة ينقلون باللوريات ، بطرية ضد الجو

كتيبة مدرعات ، كتيبة مدفعية (٢٥ رطل)

بطرية متوسطة

قوات شرطة في جسر المجامع . وفوجان في موضع آخر .

مناضلون يحتلون خطاً أمام القواطع .

القوة الجوية . سرب مستعملة كثيراً ، لا يمكن استخدامها لمدة طويلة . ثمانية طيارات فيوري . كان عشرة . مزقت واحدة وتحطمت اخرى . طلباتنا الاخرى لم تصل من انكلترا رغم الاحتياج . حجز الانكليز في الهند ١٨ طائرة .

لايستطيع القيام بحرب لمدة ثلاثة شهور .

عندهم مصنع للعتاد ولكن انتاجه محدود جداً لقلة المواد الابتدائية وقلة الصناع الماهرين . عتادهم قليل .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨ -الجيش السوري

٣ ألوية ، اللواء من ٣ أفواج .
فوج مدفعية من بطريتين
فوج مدرعات من سريتين (٢٢ مدرعة)
سرية هندسة
فوج هجانة
٣ كتائب خيالة ٤ سرايا
القوة الجوية ١٤ هارفارد
العتاد يكفي لاسبوعين
عتاد الطائرات قليل وهو اميركي
يعملون على املاء الظروف الفارغة ، الانتاج يومياً عشرة آلاف طلقة .
الموقف في الجهات من بانياس الى الحمة :
في الشمال من بانياس : لواء فوجين في الجبهة وفوج احتياط مع المدفعيةوالمدرعات .
في الوسط في جسر بنات يعقوب : لواء كامل يحتل مشمار هاياردن .
في الجنوب من الحمة إلى الشجرة : فوج من قوة البادية .
احتياط : لواء . أرسل فوجان منه للاشتراك في حركات الجليـــل ، والباقي فوج واحد مع فوج مدرعات وفوج مدفعية في الاحتياط .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨-الجيش اللبناني

أربعة أفواج نظامية : قوة الفوج ٥٠٠ التسليح ضعيف .
فوج واحد غير نظامي
بطرية ١٠٥ ملم + بطرية ٧٥ ملم
كتيبة مصفحات (٩ عدد)
كتيبة دبابات (٩ عدد)
سرية خيالة (تستخدم داخل البلاد لمقاصد الامن)
زوارق صغيرة مسلحة .
صرفوا ثلث العتاد مع أنهـــم لم يقاتلوا سوى في المالكية وقدس وتجـاه الكومندو

العتاد الباقي يكفي لثلاثة أيام في حالة الهجوم ، ولسبعة ايام في حالة الدفاع
الجيش : قسم في الناقورة ، وقسم في مرجعيون ، وليس له احتياط .
دخل اليهود لبنان ، وتغلغلوا كيلو مترين ، وبامكانهم أن يتغلغلوا الى عشرين كيلومتراً .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨ - الجيش السعودي

ست سرايا : السرية ٣ فصائل مشاة + وفصيل رشاش .
فصيلان مصفحان : الفصيل ٥ مصفحات .
سرية رشاشات (عيار نصف عقدة) مؤلفه من ٣ فصائل كل فصيل ٣ رشاشات ورشاشة احتياط في قيادة السرية .
الجيش السعودي مؤلف من جيش نظامي وجيش القبيلة ، والجيش النظامي مؤلف من ٢٢ سرية ، ست منها في فلسطين والباقي موزع في المملكة ، وفوج مدفعية (الفوج ثلاث سرايا والسرية ٤ مدافع (سكودا للجبال) .
وفوج صحراء ٧٥ ملم .
١٢ طيارة داكوتا مدنية .
٣ سرايا مدرعات ، كل سرية ١٥ مدرعة .
جمع العتاد كله وخصص للرشاشات .
البنادق بدلها الجيش المصري ببنادق انكليزية ، وصرف العتاد اليها منه .
الجيش السعودي يستخدم من لدن الجيش المصري .

ملحق لمؤتمر القاهرة ١١-١١-٤٨ - جيش الانقاذ

ستة أفواج : الفوج ٣ سرايا + وسرية المقر .
٤ رشاشات فكرس وهوجكس .
قوة الفوج ٥٣٠ مقاتل .
لكل فوج : (٢) هاون ٨ هاون (٨١ ملم) . ٢٢ رشاشة الخفيفة المجموع = ٣٠٠٠ مقاتل .
بطرية مدفعية (٤ عدد) أحدها تألف ، لكل مدفع ١٥٠ طلاقة .
١٢ مصفحة يهودية .

مستشفى ميدان .

الجنود مختلفون ، عراقيون ، سوريون ، لبنانيون ، اردنيون ، فلسطينيون .

القيادة ضعيفة .

العتاد يكفي إلى ١٢ يوم قتال جدي ، موارد العتاد من الحكومات . وما يشترى . وقد انقطع المورد الآن .

يحتل الآن خط التلال المشرفة على (عتروب) في الاراضي اللبنانية . وقد أعاد تنظيمه بعد انسحابه الى هذا الخط .

اصيب هذا الجيش بخسائر كبيرة من جراء اندحاره أمام الهجوم اليهودي الاخير . وقد اقترح اعادة تنظيمه على أساس لواء مشاة واحد من ثلاثة أفواج ، وربطه بأقرب قيادة عسكرية ليعمل بامرتها .

ملحق لمؤتمر القاهرة في ١١-١١-٤٨ - الجيش الاسرائيلي

أ - القوة الجوية :

٥٠ قاصفة ، ٥٠ مقاتلة ، ١٠٠ للنقل والتدريب ، ست مطارات (تل ابيب ، عاقر ، اللد ، رامات دافيد ، بئر السبع ، الخ . مدافع مضادة للطائرات في المطارات معامل للتصليح .

ب - القوة البرية :

الجيش : ١٠٠,٠٠٠ مقاتل .

مقادير كبيرة من الهاون والرشاشات + مصفحات ودبابات استخدموا مدافع ثقيلة ، عتاد كثير .

ج - القوة البحرية :

خمس بواخر مسلحة بمدافع ٣ عقدة ومدفع بوفرس ومدافع اورلكن .

باخره كبيرة فرنسية سرعتها ١٦-١٨ .

زوارق في بحر الميت تكفي لنقل ٧٠٠-٨٠٠ شخص دفعة واحدة .

والغريب في الأمر أن أخبار هذا المؤتمر الذي عُقد في القاهرة والذي دام من اليوم العاشر الى اليوم الثالث عشر من شهر تشرين الثاني (نوفمبر) ١٩٤٨ والذي حدد فيه رؤساء أركان الدول العربية امكانيات جيوشهم للقتال وما يملكون من مدافع وبنادق

وطائرات وعتاد والمدة التي تستطيع كل دولة عربية أن نصمد فيها ضد اليهود في حالتي الهجوم والدفاع ... ان هذا القرار وصل ـ ولسنا ندري كيف وصل ؟ ـ الى يد اليهود وهذا ما جعلهم في مطالبهم حدا بهم لمهاجمة المصريين في جنوب فلسطين [1] وهو الذي جعلهم يتصلبون في المؤتمرات التي عقدت بعدئذ في رودس والتي انتهت باتفاقات الهدنة التي ذكرناها في أماكن اخرى من هذا الكتاب .

كيف احتل اليهود وادي العربة والمرشرش على خليج العقبة ؟

ذكرنا في الصفحة ٤٢٧ من الجزء الثاني لكتابنا هذا ، كيف نجا اليهود ، الذين كانوا في مستعمرة كاليه [2] الواقعة على البحر الميت من الشمال من الاسر نتيجة لاهمال غلوب باشا رئيس الاركان ، وقد ذهب الكثيرون يومئذ إلى حد الظن ان في الأمر لنية سوء ! وقلنا أن عدد الذين انسحبوا من شمال البحر إلى جنوبه تسعمائة ، جلهم ـ ان لم نقل كلهم ـ مسلحون وقد انضم هؤلاء إلى أخوانهم المقيمين في الجنوب بين جبل اصدم وغور الصافي ، فأصبحوا قوة لا يستهان بها . وقد قدر الخبراء العسكريون عددهم هناك يومئذ بالف وخمسمائة مقاتل .

وعندما حان الحين ، وسقطت بئر السبع بيد اليهود (٢٢ تشرين اول سنة١٩٤٨) وانسحب الجيش المصري من ذلك القطاع اتصل هؤلاء باولئك في موضع يسمى (الحصب) وهو واقع في الجزء الشمالي من وادي العربة . وراحوا يتحينون الفرص للزحف صوب (العقبة) والاستيلاء على القسم الجنوبي من فلسطين .

وفي شهر شباط سنة ١٩٤٩ راحوا يزحفون ولكن بشيء من الحذر . ذلك لان الحكومة الاردنية كانت قد استجابت لنداء مجلس الامن ، وقررت في العاشر من الشهر الاول الدخول في مفاوضات مع اسرائيل من أجل وقف اطلاق النار واقرار هدنة دائمة . فليس من الحكمة في شيء أن يثيروا غضب الاردن في ذلك الوقت . ولهذا احاطوا حركاتهم بشيء من الكتمان والحذر . ومع ذلك فان الحكومة الاردنية اطلعت على حركاتهم وأرسلت إلى الدكتور رالف بانش القائم باعمال الوساطة في رودس برقية لاسلكية

«١» اقرأ ما كتبناه عن (معارك النقب الثانية) في موضع آخر .

«٢» مقر شركة البوتاس الفلسطينية تلك الشركة اليهودية ملكتها حكومة الانتداب (١٩٢٩) امتيازاً لاستخراج البوتاس من البحر الميت مدته خمس وسبعون سنة .

احتججت فيها على الجيش الاسرائيلي وعلى حركاته في الجزء الشمالي من وادي العربة ذلك الوادي الكائن بين جبال الاردن من الشرق وفلسطين من الغرب والممتد من البحر الميت في الشمال الى خليج العقبة جنوباً «١» .

كان بانش يومئذ في رودس ، وكان الجنرال رايلي هو الذي يمثل الامم المتحدة في القدس ، وعندما تلقى بانش احتجاج الاردن ، ابرق الى رايلي يسأله عن حقيقة الوضع فاجابه هذا : انه بحث الشكوى الاردنية بحثاً دقيقاً (؟) وانه بعد ان قام بتفتيش واسع (؟) في وادي العربة لم يشاهد (؟) اية حركة للجيش الاسرائيلي !..

كان هذا في ٢٥ شباط سنة ١٩٤٩ أي قبل ان يسافر الوفد الاردني إلى رودس . ذلك الوفد الذي انتدب لمفاوضة اسرائيل في موضوع الهدنة . وعندما وصل الوفد إلى رودس (٢٨ شباط) تلقى برقية لاسلكية ثانية من حكومته جاء فيها : (ان حركات الجيش الاسرائيلي في وادي العربة لم تنقطع ... وان قطعات من هذا الجيش تتجمع الآن في جنوب الوادي المذكور إلى الشمال من المواقع الاردنية...) وقد طلبت الحكومة من وفدها ان يبلغ شكواها الى الدكتور بانش . فكان جواب بانش ان الاسرائليين ينكرون وجود أية تحركات لجيشهم في تلك المنطقة .

وفي ٢ آذار ١٩٤٩ أعترف المراقبون الدوليون للاردن انهم على علم بحركات الجيش الاسرائيلي هناك وانهم اخبروا رؤسائهم (المراقبين الدوليين في جيفا) حقيقة الوضع .

---

(١) انه واد عجيب ومخيف . طوله مئة وعشرون كيلو متراً وعرضه يتراوح بين خمسة كيلو مترات واثنى عشر كيلو متراً ليس فيها زرع ولا ضرع . وان كان فيه ثلاثة وثلاثون عينا الا ان ماءها كله اجاج . ويسميه البدو (وادي النار) ويقولون انه كان دائماً وابداً (مجمع القيان) . فما من غزو قام في تلك الديار او حرب نشبت بين مكان المناطق المجاورة الا كان لها نصيب من ضحاياها . عندما ذكرته في كتابي (تاريخ بير السبع وقبائلها) قلت ص ١٥٨ انه (اي وادي العربة) لم يذق طعم الراحة منذ اقل من سمائه نجم الانباط . وكان ذلك في اوائل القرن الثاني للميلاد حتى الرومان الذين تغلبوا على الانباط وتحصنوا في المرتفعات المطلة عليه فانهم لم يتمكنوا من توطيد سلطانهم عليه الا فترات متقطعة . واما الاتراك فان اقدامهم لم تطأ هذا الوادي المحاط بجبال شاهقة يعسر اجتيازها الا من مسالك معدودة ومعابر منيعة يسميها البدو نقابة وواحدها (نقب) . وفي استطاعة من يحتل اي نقب من هذه النقابة ان يصد العدو الذي تحدثه نفسه بالمجيء اليه مهما كان عدده . وهناك ثلاثون نقبا تطل على الوادي ذكرتها في الكتاب .

ولكنهم لم يتلقوا بعد (؟) أي أمر في صدد الخطة التي يجب اتخاذهـا (؟) في هذا الصدد ...

وفيما كانت الحكومة الاردنية تنتظر نتيجة الاجراءات (؟) التي سيتخذها المراقبين الدوليين كان الجيش الاسرائيلي مثابراً على زحفه صوب الجنوب. فعادت الحكومة الى عادتها من حيث الاحتجاج! ... وأبرقت الى وفدهـا في رودس تقول: (اخبروا الدكتور بانش ان قوة كبيرة من سيارات الجيب والمصفحات اليهوديـة اجتازت اليوم خطوطنا في موضع يبعد عن بئر ابن عودة كيلو متراً واحداً .. الوضع خطر ما لم توقف اسرائيل حركات جيشها اثناء المفوضات ...

وبدلا من الانسحاب، قام الجيش الاسرائيلي في اليوم نفسه أي (في ٧ آذار) بهجوم على الجيش العربي المرابط هناك واما الجيش العربي فانه لم يقم بأي عمل لصد العدوان.

وكل ما فعله غلوب والحكومة القائمـة في عمان من ورائـه انهم أرسلوا برقيات في اليوم التالي (٨ آذار) الى وفدهم في رودس قالوا فيها: (ان القوات اليهودية تزحف صوب العقبة باتجاهين: احدهما بيزمليحان، والاخر مليحة. الطيارات اليهوديـة تقوم بغارات متواصلة من الجو على المنطقة كلها. اخبروا الدكتور بانش ان الحكومة الاردنية قلقة للغاية! ... ولا سيا لأن هذا الاعتداء الفاضح يجري في وقت يجتمع فيـه الوفدان الاردني والاسرائيلي للتفاوض في رودس.»

ان هذا الاحتجاج أيضاً كان نصيبه الاهمال. وكل ما فعله الدكتور بانش انه اجاب عن البرقية الاردنية ببرقية تاريخهـا ٩ آذار وقد طلب فيها تزويده بتفصيلات (؟) اخرى! ...

وفيما كانت أمواج الاثير تنقل سؤالا من هنا وجواباً من هناك !!! كان اليهود يسيرون قدماً نحوا أهدافهم.

وبعد ان كانوا ينكرون وجود أية حركة لجيشهم في تلك المنطقـة وظلوا يخاتلون المراقبين الدوليين والمفاوضين الاردنين الجالسين معهم في رودس حتى انهم تمكنوا من تأجيل التوقيع على الاتفـاق القائل بوقف اطلاق النار خمسة ايام صحاح، راحوا في

اليوم العاشر من آذار يصارجون اعضاء الوفد الاردني في رودس ، فقالوا لهم : أنهم يعتبرون المنطقة الواقعة في وادي العربة والممتدة حتى خليج العقبة منطقة يهودية ... خصصت لليهود في قرار التقسيم ... ذلك القرار الذي اصدرته هيأة الامم عام ١٩٤٧ ولهذا فقد قرروا احتلال هذه المنطقة كلها بما فيها القسم الواقع على شاطىء الخليج من أرض فلسطين ..

وقد قرنوا قولهم هذا بالفعل . فراح جيشهم يواصل زحفه حتى استولى على ذلك الجزء من شاطيء خليج العقبة (١٠ آذار سنة ١٩٤٩) ورفعوا العلم الصهيوني على (المرشرش) الذي اسموه (ايلات) .

تلك هي صفحة اخرى من صفحات (المأساة) التي مثلت على مسرح الاحداث في فلسطين ! .. وانها لصفحة مليئة بالخزى والعار .

والغريب في الأمر ان هذه الصفحة كانت تكتب وذلك الاحتلال كان يجري على مرأى ومسمع من الملك عبدالله ومن رئيس وزرائه توفيق ابو الهدى دون ان يحمل احدهما مؤونة الذهاب الى ميدان القتال ، او الى اي موضع قريب منه ليستطلع طلع الخبر .

وكذلك قل عن غلوب باشا .. رئيس الأركان .. الذي كان على علم بتحركات الجيش الاسرائيلي ، وكانت ترسل اليه اخبارها باللاسلكي وقد اشار اليها في احاديثه[1] فانه لم يفعل شيئاً . ولم يحاول مقاومة اليهود بالقوة رغم انه في موضع آخر من كتابه اعترف ان الجيش الذي كان يقوده بلغ يومئذاً عشر الف مقاتل[2] !... ولم يكن الجيش العراقي قد انسحب بعد من قطاع السامرة .

بلى وربك انه (اي غلوب) لم يرسل الى تلك الجبهة جندياً واحداً من اولئك الاحد عشر الفاً لتقوية السرية الوحيدة التي كانت هناك في القسم الجنوبي من وادي العربة ، وهي سرية ضعيفة عدد رجالها لا يزيد على المئة ، لا ، ولا طلب الى الجيش البريطاني الذي

---

(١) اقرا الصفحة ٢٢٩ من كتابه
(٢) اقرأ الصفحة ٢٢١ من كتابه .

كان مرابطاً هناك في العقبة ـ تقوية تلك السرية ، وانقاذ الاردن من الخطر الذي يتهدده من تلك الناحية عملا بالمعاهدة البريطانية الاردنية التي لم يمض على ابرامهـا سوى بضعة شهور ! ...

والأنكى من هذا انه (اي غلوب) كان يدير معركة العقبة من مكتبه الكائن في عمان والبعيد عن ميدان المعركة مئتين وستين ميلا .. ولم يكلف نفسه مؤونـة الذهاب الى العقبة ولو بالطائرة وكان السفر الى العقبة جواً يومئذ سهلا ... كلا انـه لم ير لزوماً لمغادرة مكتبه ! .. ومن ذلك المكتب ارسل امره باللاسلكي الى قائد السرية الذي استشاره فيا يجب ان يفعل فأجابه قائلا : (لك الخيار في ان تفعل ما تشاء)[1] .

ولم يجد المسكين مناصا من الانسحاب بسبب قلة ما لديه من جند وعتاد وانعزاله عن العالم كله ـ وليس عن الاردن وحده في تلك البقعة النائية من الأرض ، فانسحب .

وعندما كان الجيش الاسرائيلي يحتل ذلك الجزء من فلسطين ، ويركز أعلامه على شاطىء خليج العقبة وقد تم له ذلك في مساء اليوم العاشر من شهر آذار سنة ١٩٤٩ ـ كان الأركان الذي سيطر على مقدرات الجيش ثلاثـين عاماً .. كان يجلس على مقعد وثير في احد مباني العاصمة الفخمة يشاهد مناظر قصة عنيفة قـام بتمثيلها فريق من هواة التمثيل من الجالية البريطانية في عمان ! ..

ليست هذه فرية من عندي ! .. وإنما هي حقيقة واقعة .. اقتبستها من كتاب غلوب نفسه ! ، وإذا كنت في شك من قولي هذا فاقرأ الصفحة ٢٣٢ من الكتاب الذي وضعه هو بعد وقف القتال وعنوان ذلك الكتاب : A soldier With The Arabs

وما كاد فجر اليوم التالي (١١ آذار سنة ١٩٤٩) يطل حتى أم صاحبنا ديوانـه بوزارة الدفاع بعمان ليوزع أوامره ذات اليمين وذات اليسار .

ويبدو ان باله كان قلقاً من ناحية المنظمة المعروفة بـ (الجهاد المقدس) تلك المنظمة التي اسسها ابناء فلسطين عند بـدء النضال والتي صدر الأمر بحلهـا في ١٨ كانون الثاني

---

(١) اقرأ السطر ٣١ من الصفحة ٢٣٢ من كتاب غلوب .

(يناير) سنة ١٩٤٩ ـ فقد تلغن الى عملائه في فلسطين وقد اطلق عليها يومئذ (الضفة الغربية) ـ يسالهم عما إذا كانوا قد نفذوا أوامره وجمعوا أسلحة المجاهدين الفلسطينيين الذين ينتمون إلى تلك المنظمة ! وفيما كان يفعل ذلك جاءت من رودس اخبار تقول : « ان الوفد الاردني والاسرائيلي أمضيا اتفاقية تقضي بوقف اطلاق النار »

وكفى الله المؤمنين القتال !...

المعاهدة الاردنية ـ البريطانية ـ

عندما أتم اليهود احتلالهم لوادي العربة ، وحطوا رحلهم على شاطىء خليج العقبة ، عند الموضع المعروف بـ (المرشرش[١]) اصبحت مدينة (العقبة) نفسها ، وهي اردنية ، في خطر . عندئذ طلبت الحكومة الاردنية من الحكومة البريطانية ان تتولى مسؤولية الدفاع عن العقبة وما حولها من بقاع ، عملا بالالتزامات التي فرضتها المعاهدة الاردنية ـ البريطانية . وما لبثت هذه ان لبّت الطلب . فانزلت قواتها في ميناء العقبة . والقت احدى بوارجها البحرية مراسيها أمـام الميناء . وقد تم ذلك في اليوم الأول من شهر تشرين الثاني ١٩٤٨

هذا ولا بد لنا من الاشارة هنا الى المعاهدة التي عقدتها بريطانيا مع الحومة الاردنية ، قبل رحيلها عن فلسطين بشهرين ، لتتمكن من تثبيت اقدامها في هذا الجزء من الشرق بعد ان ازمعت الرحيل عن فلسطين .

في اليوم الخامس عشر من شهر آذار ١٩٤٨ امضى الفريقان (معاهدة تحالف) في عمان . امضاها توفيق باشا ابو الهدى رئيس الوزراء وفوزي باشا الملقي وزير الشؤون الخارجية باسم الملك عبدالله ، والسير اليك كركبير وزير بريطانيا المفوض في عمـان باسم ملك بريطانيا وشمالي ايرلنده والممتلكات البريطانية فيما وراء البحار .

---

(١) موضع يقوم على شاطىء خليج العقبة ، وعلى بعد بضعة اميال من مدينة (العقبة) الاردنية . كان العرب يسمونه : (المرشرش) . وقد اطلق اليهود عليه اسم . (ايلات) وهو الاسم الذي كانوا يطلقونه على العقبة في غابر الازمان .

ونشرت هذه المعاهدة في عدد ممتاز من الجريدة الرسمية (٩٣٩) بتاريخ ١٨ آذار ١٩٤٨ . مدتها عشرون سنة. وهي مؤلفة من سبع مواد ولها ملحق وعشر رسائل . ولهذا الغيت المعاهدة السابقة التي امضاها الفريقان في لندن . بتاريخ ٢٢ آذار ١٩٤٦

لم ارثمة لزوماً لنشر المعاهدة الجديدة كلها ٠ وانما اراني مضطراً لتلخيص اهم البنود فيها ٠٠ سيما تلك التي لها صلة بموضوع كتابي هذا ٠ ليتمكن القارىء من اصدار حكمه فيما اذا كانت بريطانيا تصرفت اثناء القتال الذي نشب بين العرب واليهود ، تصرفاً شريفاً يتلاءم والتعهدات التي اخذتها على نفسها في تلك الوثيقة الدولية ٠

انها (أي معاهدة ١٩٤٨) تقضي بقيام سلم وصداقة من الفريقين ٠٠ وتحالف وثيق ٠٠ وتفاهم ودي ٠٠ وتعهد ان لا يقف اي فريق منها تجاه البلاد الاجنبية موقفاً قد يخلق مصاعب للفريق الآخر ٠٠ (اقرأ المادة الاولى)

واذا نشأ نزاع بين اي من الفريقين ودولة ثالثة يتشاور الفريقان المتعاقدان معاً للنظر في تسوية ذلك النزاع بالوسائل السلمية ٠٠٠ (اقرأ المادة الثانية)

واذا اشتبك احد الفريقين في حرب مع دولة ثالثة رغم احكام المادة الثانية ، فعلى الفريق الآخر ان يبادر فورا الى مساعدته كاجراء للدفاع الاجتماعي بشرط التقيد دائماً باحكام المادة الرابعة من هذه المعاهدة ٠٠ (اقرأ المادة الثالثة)

والمادة الرابعة تقول انه ليس في هذه المعاهدة ما يرمي الى الاخلال بالحقوق والالتزامات المترتبة او التي قد تترتب على اي من الفريقين المتعاقدين وفقاً لميثاق الامم المتحدة او لأية اتفاقات دولية مرعية وعهود ومعاهدات ٠٠

هذه اهم المواد التي ذكرت في صلب المعاهدة ٠

وعلى الرغم من التناقض الملحوظ في المادتين الثالثة والرابعة[1] فقد جاء في المادة

---

(١) هذا التناقض فرضته بريطانيا عن قصد : اذ فيما جعلت الاردن من المادة الثالثة يتوقع من حليفته ان تركض لمساعدته فيما اذا اشتبك في قتال مع اليهود (وهذا هو الغرض المقصود من المعاهدة) عادت ، فتذرعت في المادة الرابعة بالامم المتحدة وميثاقها للتخلص من تعهدها ، ذلك لانها تعلم العلم اليقين تلك الامم ، ولاسيما الكبيرة منها وفي طليعتها اميركا ، لن تسمح للاردن او غير الاردن من الدول العربية بكسر اسرائيل عدوة العرب .. تلك الدولة التي سمح الغرب بوجودها في الشرق جسراً يمر عنه كلما اراد المضي في استعماره ! ..

الاولى (الفقرة ب) من الملحق انه « في حالة اشتباك احد الفريقين في حرب او تعرضه لتهديد عدائي يقوم بدعوة الفريق الآخر لجلب ما يلزم من قواه المسلحة بانواعها الى اراضيه .. »

ودعا ملك الاردن بريطانيا في المادة نفسها (الفقرة د) من الملحق « ان تحتفظ بوحدات من قوة الطيران البريطانية في مطاري عمان والمفرق » وتعهد هو (أي ملك الاردن) « بتقديم جميع التسهيلات اللازمة لاقامة الوحدات المذكورة وتأمينها ، وتقديم التسهيلات اللازمه لخزن الذخائر والتجهيزات .. وتأجيراته ارض لازمة لذلك .. » كما تعهد بمرور القوات البريطانية من الاراضي الاردنية وتزويد السفن البريطانية للموانى الاردنية من شأنها .

وأعفيت القوات البريطانية من دفع اية ضريبة الى الخزانة الاردنية ...

وفي الملحق مادة (هي الثانية) تقضي بتأليف هيئة استشارية عسكرية مشتركة من ممثلين ذوي اختصاص من كلتا الحكومين باعداد متساوية : لوضع خطط استراتيجية يتفق عليها .. والتشاور في حالة تهديد بالحرب .. وتنسيق التدابير على وجه يمكن قوات الفريق من القيام بتعهداتها .. وصيانة المواصلات .. وحراسة المنشآت العسكرية .. والتدريب .. واعداد التجهيزات ..

وفي الملحق ايضاً مادة (هي الثالثة) تقضي على بريطانيا ان تدفع للاردن جميع التكاليف التي تتحملها الحكومة الاردنية في سبيل التسهيلات المتقدم ذكرها .. يستثنى من ذلك « الاضرار الناجمة عن العمليات العسكرية » ...

وتعهد الاردن ايضاً ان لا يستعمل من انواع الاسلحة الا النوع الذي تستعمله القوات البريطانية .. والا يرسل جنوده وضباطه من اجل التدريب في الخارج الا الى مدارس بريطانية ...

وبين الرسائل التي تبادلها الفريقان رسالة تعهد بها الوزير البريطاني المفوض على لسان

حكومته انها (اي الحكومه للبريطانية) ستقوم بتقديم مساعدة مالية للحكومه الاردنية من اجل تمكينها من تنفيذ التزاماتها المنصوص عليها في هذه المعاهدة .

● ●

هذا موجز لاهم البنود التي اتفق عليها في المعاهدة . وسنرى من سير الحوادث التي وقعت بعد توقيعها ان بريطانيا لم تفِ بجميع تعهداتها ، وانه كان لها بهذه المعاهدة الفخ ، وعلى الاردن العز وانها لم تقدم للاردن السلاح والعتاد الذي كان الجيش البري في امس الحاجة اليه عندما كان الجيش الاسرائيلي يتحداه • وقد اشرنا الى ذلك في مواضيع جديدة من هذا الكتاب •

مجلس الامن يدعو الى اقامة هدنة دائمة في فلسطين

وفي ١٦ تشرين الثاني ١٩٤٨ أقر مجلس الامن الاقتراح الذي قدمته كندا وفرنسا والبلجيك والذي يقضي باقامة هدنة دائمة في فلسطين بدلا من الهدنة الموقتة الحالية • ودعا العرب واليهود إلى التفاوض من أجل احلال سلم دائم في فلسطين • وهذا قراره[1]:

« ان مجلس الأمن ، عملا بالقرارات السابقة ومنها قرار ١٥ تموز ١٩٤٨ الذي يعتبر القتال في فلسطين خطراً على السلام في العالم ، ومع علمه بأن الجمعية العامة للامم المتحدة تدرس مسألة الحكم المستقبل فى فلسطين بناء على طلب مجلس الأمن في أول نيسان ١٩٤٨ دون أن تؤثر في ذلك أعمال الوسيط بالوكالة ، وتنفيذاً لقرار ٤ تشرين الجاري ، يقرر : —

رغبة منه في ابعاد الخطر عن السلام العالمي وتسهيل انتقال الحال في فلسطين من هدنة موقتة إلى سلام دائم ، يعلن الهدنة العامة الدائمة في فلسطين كلها ، ويدعو الطرفين إلى اتخاذ كل التدابير للوصول إلى اتفاق سواء بمفاوضات مباشرة أو بوساطة الوسيط لاقامة الهدنة الدائمة فوراً ، وذلك

---

(١) ان الدول التي ايدت هذا الاقتراح هي : كندا وفرنسا والبلجيك واميركا وانكلترا والصين والارجنتين وكولومبيا واوكرانيا . وصوت ضده مندوب سوريا . وامتنع عن التصويت مندوب روسيا .

١ ـ باقامة خطوط للهدنة الدائمة تقف قوات الطرفين خلفها ولا تتحرك

٢ ـ واتخاذ كل التدابير لتخفيض قوى الطرفين العسكرية ، وتجريدها من السلاح بشكل يسمح بحفظ الهدنة تمهيداً للانتقال إلى حالة السلام الدائم في فلسطين ٠»

والغريب في الامر ان مجلس الأمن اصدر قراره هذا وفرض الهدنة الدائمة ولم يستطع تنفيذ قراراته السابقة . اذ ان اليهود لم يمتثلوا اوامره ٠ لا ولا اوامر الوسيط الدولي بالوكالة الدكتور بانش ٠ تلك الأوامر التي تقضي برجوع القوات اليهودية الى حيث كانت قبل ١٤ تشرين الاول ١٩٤٨

ومع ذلك نقد قبلت الدول العربية (مصر والاردن وسوريا ولبنان) قرار مجلس الامن هذا ، ودخلت في مفاوضات مع اسرائيل ، وعقدت في رودس هدنة دائمة ٠ الا العراق ، فقد وكل الأمر الى الاردن، وكان ذلك في ٢٠ آذار ١٩٤٩

فهرس الاماكن

(آ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(د)

(ر)

(ز)

(س)

(ش)

(ص)

(ض)

(ط)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(ن)

فهرس الاعلام

(آ)

(ب)

(ت)

(ج)

(ح)

(خ)

(ش)

(ص)

(ط)

(ظ)

(ع)

(غ)

(ف)

(ق)

(ك)

(ل)

(م)

(هـ)